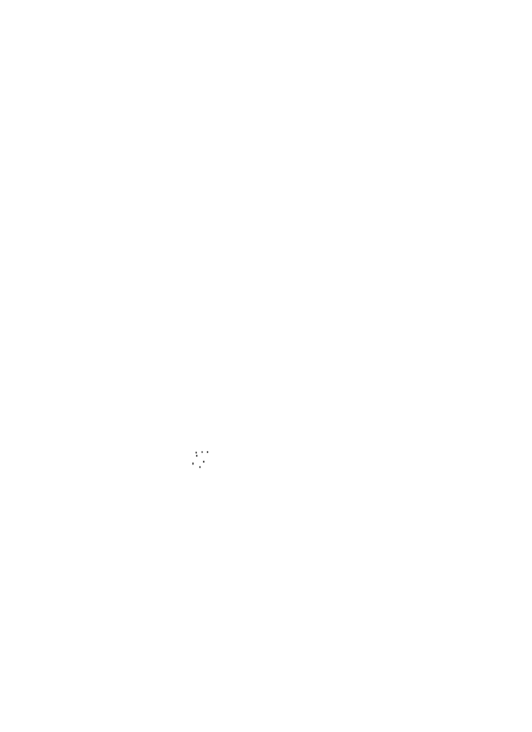


كتاب

شعراء النصرانيّة

بعد الاسلام

القسم الثاني

شعراء الدولة الامويّة

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر تباعاً في مجلة المشرق

طُبع

في المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين

في بيروت

سنة ١٩٢٤

ابن ابي حيّة بن الكاهن وهو سَلَمة اسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان * ثمّ اوصل نسبهُ الى قُضاعة من اكبر قبائل العرب. وفي تاج العروس (١ : ٥١٣) دعا جدّهُ * كُرَيْزًا * وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٣٩) ومثلهُ ابن دُريد في الاشتقاق(ص ٤٢٠) انهُ من بني عُذْرة احدى قبائل قضاعة. وجعل ابنُ دُرَيد ابا الحيّة كاهنًا ليس ابن الكاهن كما ورد في الاغاني

﴿اسمهُ واسرتهُ﴾ قيل انهُ دُعي بهُدْبة وهو اسم طائر وقيل انهُ من هُدْبة الثوب اي خَمَلهِ وطرّتهِ . وكان اسم ابيهِ خَشْرَم والخشرم جماعة النحل واميرُها وكان من وجوه رهطهِ بني عامر . امّا هدبة فكان معروفًا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة. وقال ابو الفرج : «وكان لهدبة ثلثة اخوة كلُّهم شاعر وهم حَوْط وسَيْحان والواسع . وامُّهم حيّة بنت ابي بكر بن ابي حيّة من رَهطهم الأَدنَيْن وكانت شاعرةً ايضًا » وقد دعاها شارح الحماسة (ص ٢٣٤) باسم رَيحانة . وكان لهدبة كذلك اختان تُدعى الواحدة سلمى وهي زوجة زيادة بن زيد الذبياني من بني رَقاش الآتي ذكرهُ والاخرى فاطمة التي تغزَّل فيها زيادةُ فكانت سبب الشرّ بين القبيلتَين

﴿ دينهُ ﴾ كان هُدبة نصرانيًا كما يشهد عليهِ شارح الحماسة (ص ٢٣٥) حيث يدعوهُ زيادةُ هو ورهطهُ بأُمّة المسيح. ولا غرو فانهُ كان من قضاعة التي اثبتنا نصرانيّتها في كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ٢٩,١٣٧,٤٥٨) ونصرانيّةَ فروعها كسَليح وجَرْم وبهراء وكلب . وكان هدبة من رَهط بني عامر النصارى. ولعلّ اسم الكاهن بين اجداده يدلُّ على كهنوت النصارى لا يُراد به الساحر

﴿اخبارهُ﴾ انّ غاية ما اخبرهُ القدماء عن هدبة ما جرى بينهُ وبين صهره زيادة ابن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت بهِ الى قتل زيادة والى ما لحقهُ هو من القصاص بسببهِ فأُقيد بهِ على موجب سُنَن البادية وهي بئس السنن

امّا تفاصيل هذه الرواية المشؤومة فقد وردت في عدّة تآليف كالاغاني (٢١ : ٢٦٤ — ٢٧٠) وشرح الحماسة (٢٣٢—٢٣٦) وكامل المبرّد (٧٦٥—٧٦٨) وغيرهم مختصرها عنهم. روى ابو الفرج (ص٢٦٥) عن عيسى بن اسمعيل : كان اوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط هدبة وبين بني رَقاش وهم بنو

قرّة بن خنيس بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط زيادة بن زيد انّ حوطاً بن خشرم اخا هدبة راهنَ زيادة بن زيد على جمَلَين من إبلهما وكان مَطلَقُها من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزوّدوا المـاء في الروايا والقِرَب . وكانت اخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع اخيها على زوجها فوهّنت اوعية زيادة ففني ماؤه قبل ماء صاحبهِ ففي ذالك يقول زيادة :

قـد جعلَتْ نفسيَ في أديمِ . مُحرَّمِ الدِباغِ ذي هُزومِ (١
ثمَّ رَمَت في عُرُضِ الدَيْمومِ . في بارحٍ من وَهَجِ السَّمومِ
عند اطّلاع وَهْجةِ النُّجومِ

وقال زيادةُ ايضاً :

قـد عَلِمتْ سَلْمةُ بـالعَمِيسِ . ليـلةَ مَرْمارٍ ومَرْمريسِ (٢
أنَّ ابـا المِسْوَرِ ذو شريسِ . يشفي صُداعَ الأبلجِ الدِلّيسِ (٣

(قال) فكان ذالك اوّل ما أثبتَ الضغائن بينهما

ثمَّ انَّ هُدبة وزيادة اصطحبا وهمـا مقبلان من الشام في رَكْبٍ من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالابل وكانت مع هدبة اختهُ فاطمة فنزل زيادة وقال رجزاً اوّلهُ : « عوجي علينا وأرْبَعي يا فاطماً » فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأختهِ فنزل وارتجز باخت زيادة وكان اسمها امّ الحازم وقيل امّ القاسم . فشتمهُ زيادةُ وسبَّهُ هدبة فصاح بهما القوم ووعظوها حتى امسك كلّ واحد منهما على ما في نفسهِ وهدبة اشدُّهما حنقاً لانهُ رأى انَّ زيادة رَجزَ باختهِ وهي تسمعُ واختُ زيادة غائبة لم تسمع رجزهُ فضيا ولم يتحاورا بـكلمةٍ حتى رجعا الى عشائرهما

ثمَّ زاد حنقُ رهطِ هدبة اذ سمعوا أذرع اخا زيادة يرجز بزُفَر عمّ هـدبة فلم يزالوا يترصَّـدونهُ حتى خلَوْا وضربوهُ الحـدَّ ضرباً مبرّحاً فراح بنو رقاش وقـد اضمروا الحرب

---

١) قال اليزيدي: المحرَّم الذي لم يُدبَغ . والهزُوم الشقوق
٢) المِسْوَر ابنُ زيادة فتكنَّى بوابوهُ
٣)العميس موضع . ويروى: الحَميس والحميس. والمَرْمار والمرمريس الشدّة والاختلاط

امّا زيادة وهُدبة فجعلا يتهاديان الاشعار ويتفاخران ويطلب كلّ واحد منهما العلوّ على صاحبه في شعره . فمّا قالهُ زيادة قصيدة اوّلها :

أراكَ خليلًا قد عزمتَ التجنُّبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصحَبا

وفيها يقول متفاخرًا :

انا ابنُ رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي بنى هاديًا يعلو الهَواديَ أهلبا
بنى العزُّ بُنيانًا لقومي فأصبحُوا بأسيافهم عنهُ فأصبحَ مُصعَبا
فما إن ترى في الناس امًّا كأمّنا ولا كأبينا حين ننسبُهُ أبا
أتمَّ وأنمى بالبنينَ الى العُلى وأكرمَ منّا في المناصب منصبا (١
ملَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ كأنَّ لنا حقًّا على الناس ترْتَبا
بآيةِ أنّا لا نرى متوجِّهًا من الناس يعلونا اذا ما تعصَّبا
ولا مَلِكًا الّا اتّقانا بماله ولا سوقةً إلّا على الخَرْجِ أتعَبا
ملكنا الملوك واستبَحنا حِماهمُ وكنّا لهم في الجاهليّة مَوكِبا
ندامى وأرْدافًا فلم تَرَ سُوقةً توازرُنا فاسْئَل ايادًا وتغلبا (٢

ولمّا لجَّ الشرّ بين رهط هُدبة ورهط زيادة قال قوم لزيادة لهُ : اهجُ هُدبة وقومهُ . فقال : اني لم ابسط اساني على قوم قطّ الّا جهدوا على تَبْلي (ويروى : قتلي)من شدّة هجائي ولكن انطلقوا لنضربَهُ . فخرج زيادة في رهط قومهِ فيهم اخوهُ نفّاع يطلبونَ هُدبة فوجدوا الحيَّ خاوفًا ووجدوا هدبة واباهُ خشرمًا فضربوهما بسيوفهم فاصاب خشرمًا شجّاتٌ في رأسهِ ووقع بذراع هدبة حزٌّ وضرب نفّاع برجلهِ ريحانة امّ هدبة فقال قائلهم :

شجَجنا خشرمًا في الرأس سبعًا وخدّعنا هُدبةَ اذ هجانا
كذاك العبدُ انّ العبد يومًا اذا وقَفْتَهُ بالسيف لانا

فاجابهُ هُدبة (من الوافر) :

وانَّ الدهرَ مؤتَنِفٌ طويلٌ وشرُّ الخيلِ اقصرُها عنانا

---

١) ويروى : أوفى . . . في المناصب منسبا
٢) ويروى : فلم تلك سوقةٌ . . فاسْئل زيادًا

وليس اخو الحروب بمن اذا ما   مرتْهُ الحربُ بعدَ العَصْبِ لانا

ثمّ انّ هدبة جمع رهطاً من قومهِ واصحابهِ فقصدوا لزيادةَ وكانت رَيحانة امّ هُدبة نهَتْهُ عن الخروج فلم يَلتهِ واتوهم ليلاً في وادٍ يقال لهُ خَشُوب وزيادةُ وابياتُهُ على ماء يُدعى سَخنة فمضوا حتى بيّتوا زيادة فلمّا غشوْهُ جعل يرتجز ويقول وفي رجزه اشارة الى دين هدبة وقومهِ :

من اينَ جاءت حارسُ القُبوحِ   لا مرحباً بأُمّةِ المسيحِ
لن تقبلوا المَقْلَ مع الفضوحِ   ولن تُبيحوا الحيّ في سَريحِ
حتى تَذوقوا خُدُبَ الصفيحِ (١

وجعل نفّاع اخوهُ يرتجز ويقول :

اني اذا استخفى الجبانُ بالخَدَرْ   وكان بالكفّ شهابٌ كالشَّرَرْ (٢
صَدْقُ القناة غير شعشاع الغَدَرْ   حمّالُ ما حُمّلتُ من خيرٍ وشرّ

وهي طويلة ثمّ التقى هُدبة وزيادة فضرب هدبة زيادةَ فـأطنّ داغضةَ رجلهِ اي عَضلتها فاعتمد على رمح وجعل يُذبّب بسيفهِ عن نفسهِ حتى غشيَهُ هدبة فصرعهُ وزعموا انّ زيادة جدَعَ انفَ هدبة في تذبيبهِ عن نفسهِ وضرب القوم زيادةَ حتى ظنّوا انهم قـد اجهزوا عليـهِ . ثمّ اتوا منزل أَدرَع اخي زيادة فصوّتوا بهِ فخرج عليهم فحاضرَهم ونجا منهم فقال هدبة :

وكانت شِفاء النفس ممّا أصابها   غداتئذٍ لو نلتُ بالسيفِ أدْرَعـا
واقسمُ لو ادركتُـهُ لَـكَسوتُهُ   حُساماً اذا ما خالطَ العظمَ أمرعا

ثمّ رجع الى زيادة فوجدهُ صريعاً بين النساء فضرب عاتقهُ بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه . فانصرف الى اهلهِ فـأخبرهم وشبّت الحرب بين الحيّين ونأى كلّ واحد منهما عن صاحبهِ

١) الخُدُب الضرب الشديد . ضربة خدباء ورجل اخدب اذا كان فيهِ هوَج
٢) قال الشارح : الخَدَر المكان المظلم فسمّي يوم الغيم اليوم الخدر

ثمَّ تنحّى هدبة مخافة السلطان واستعدى اصحابُ زيادة عليهِ والعاملُ على المدينة يومئذٍ سعيد بن العاص فارسل الى ابي نُمير عمّ هدبة واهلهِ فحبسهم بالمدينة. فلمّا بلغ هدبة ذلك اقبلَ فأمكن من نفسهِ وتخلّص عمّهُ واهلهُ

﴿هدبة في الحبس﴾ امر سعيد بن العاص بهدبة الى الحبس فلمّا دخلهُ قال (من الوافر) :

ألا نَعَقَ الغرابُ عليك ظُهرًا ألا مِن فيك من ذاك الترابُ
يخبّرنا الغرابُ بأن ستنأى حبائبُنا فُقِدْتُكَ يا غرابُ

وقال ايضاً يذكر عرسهُ (من الطويل) :

ولمّا دخلتُ السجنَ يا امَّ مالكٍ ذكرتُكِ والاطرافُ في حَلَقٍ سُمْرِ
وعند سعيدٍ (١ غير أن لم أبُحْ بهِ ذكرتُكِ انّ الامر يُذكر بالامرِ

وقال ايضاً يعلل نفسهُ بالخلاص (وافر) :

عسى الكَرْبُ الذي امسيتُ فيهِ يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ
فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ويأتي اهلَهُ النائي الغريبُ

وبقي هدبة في حبسهِ وسعيد بن العاص يكرهُ الحكم بين الحيَّين فرفع امرهما الى معاوية ويعث معهم بهُدْبة فوفد الى معاوية وَفْدُ بني رَقاش وفيهم عبد الرحمان بن زيد اخو القتيل. ووفد بني عامر وفيهم ابو جبر عمّ هدبة . فلمّا صاروا بين يدي معاوية قال لهُ عبد الرحمان اخو زيادة: يا امير المؤمنين اشكو اليك مظلمتي وقتل اخي وترويع نسوتي. وتكلّم ابو جبر كأنهُ يردُّ عليهِ فقال معاوية لهُدبة: أخبرني خبرَك. فقال هدبة: ان شئتَ أن اقصّ عليك قصّتنا كلاماً او شعرًا فعلتُ . قال : أنشدني فعسى ان استغني عن قصصك بشعرك. فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلًا بها

١) سعيد المذكور هنا رجلٌ كان حسن الثغر جدًّا فذكر بهِ ثغر زوجتهِ

ولمعبدٍ غناء في بيتيها الاوَّلين (من الطويل) :

ألا يا لَقومي (١ للنوائب والدهرِ وللمرء يُردي نفسَهُ وهو لا يدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تأكّمت (٢ عليهِ فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ
فلا تتّقي ذا هيبةٍ لجلالهِ ولا ذا ضَياعٍ هنَّ يُترَكنَ للفقرِ

ومنها :

فلمّا رأيتُ انّها هي ضربةٌ من السيفِ او إغضاءُ عينٍ على وِترِ
عَمدتُ لامرٍ لا يُعيّر والدي خزايتهُ ولا يُسَدُّ بهِ قبري (٣
وكم نَكبةٍ لو انَّ أدنى مرورِها على الدهرِ ذلّت عندها نُوَبُ الدهرِ
فان تكُ في اموالنا لا نَضِق بها ذراعاً وان تَقسِر أبينا على القَسْرِ (٤
وان يكُ قتلٌ لا أبا لك نَصطبرْ على القتْل انّا في الحروب أولو صَبْرِ
رُمينا فرامَينا فصادَفَ رَمْيُنا منايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وانتَ اميرُ المؤمنينَ فما لنا وراءكَ من مَعْدًى ولا عنكَ من قَصْرِ

فقال لهُ معاوية : اراك قد أقررت بقتل صاحبهم . قال : هو ذاك . فقال عبدالرحمان : أَقِدْني . فكره ذلك معاوية وضنَّ بهدبة عن القتل فقال معاوية لعبد الرحمان : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم المِسْوَر وهو غلامٌ صغير لم يبلغ وانا عمّهُ ووليّ دم ابيهِ . فقال : « انك لا تؤمَن على اخذ الدِّية او قتْل الرجل بغير حقّ أو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك والمِسْور احقُّ بدم ابيهِ اذا احتلم فان شاء قتَلَ وان شاء أخذ العَقْل » . ثمَّ كتب الى سعيد في المدينة ان يحبس هدبةَ الى ان يبلغ ابن زيادة فضمَّنهُ السِجن

١) ويروى : لقَوْمٍ ٢) ويروى : قد تودَّأت وتلمَّأت
٣) ويروى : ولا تعير . الخَزاية الاستحياء . اي لا يأنف منهُ ولا يخزى
٤) ويروى : وان صبرٌ فنصبر للصبر

وتربّص بلوغ المِسْور بن زيادة فمكث في السجن ثلاث سنين وقيل ستًّا وقيل سبعاً . وقال هدبة في السجن اشعارًا كثيرة منها ما رُوي عنهُ ومنها ما ذهب . ولمَّا شخص هدبة الى المدينة فحُبس بها قالت امُّهُ :

أيا إخوتي اهلَ المدينة أكرِموا اسيرَكُمُ انَّ الاسيرَ كريمُ
فرُبَّ كريمٍ قد قراهُ وضافهُ ورُبَّ امورٍ كلُّهُنَّ عظيمُ
عصا جُلُّها يوماً عليهِ فراضَهُ من القوم عيَّافٌ أشمُّ حليمُ

قال ابو الفرج : فأرسل هدبةُ عشيرتهُ الى عبد الرحمان في اوّل سنةٍ فكلَّموهُ في قبول الدية فامتنع قائلًا :

أبعدَ الذي بالنَّعفِ نعفِ كُوَيكبٍ رهينةِ رمسٍ في تراب وجندلِ
أُذكَّرُ بالبُقيا على من أصابني وبُقيايَ انّي جاهدٌ غيرُ مُؤتلِ

فرجعوا الى هدبة بالابيات فقال : لم يؤيسني بعد . فلمَّا كانت السنة الثالثة . بلغ المِسْور فارسل هُدبة الى عبد الرحمان من كلَّمهُ فأنصتَ حتى فرغوا ثمَّ قام مغضباً وانشأ يقول :

سأكذِبُ اقواماً يقولون انني سآخذ مالًا من دمٍ انا واترُهْ
فاقسمُ لا انسى زيادةَ مرةً من الدهر الّا ريثما انا ذاكرُهْ
وكان ابنُ أمّي لم يُعيَّر بسوءةٍ ولا دَنَسٍ جرَّبتُ فيما أعاشِرُهْ

وقال ايضاً :

يُعزّي من زيادةَ كلُّ صاحٍ (١ خليٍّ لا تأوَّبهُ الهمومُ
وكيف تجلُّد الادنَيْنَ عنهُ ولم يُقتَل بهِ الثارُ المُنيمُ
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا تجرَّدَ (٢ لا ألَفُّ ولا سَؤومُ
ولا جثَّامةٌ في الرحلِ مثلي ولا ضَرِعٌ اذا أمسى نؤومُ
ولا هيَّابةٌ بالليلِ نِكسٌ ولا وَرِعٌ اذا يُلقى جَثُومُ
غشومٌ حين يبصر مُستقادًا وخيرُ الطالبي الوتر الغَشُومُ

ونهض فرجعوا الى المدينة فاخبروهُ الخبر فقال : الآن يئستُ منهُ . وقيل انَّ سعيد

١) ويروى : تعزّى كلُّ مولًى ٢) ويروى : ولو كنتُ المصاب ... لشمَّر

ابن العاص وعده ُ بمائة ناقة حمراء كدية هدبة فلم يقبل وقال: ولو ملأتَ لي قبّتك هذه مالاً ما فديتُهُ لقولهِ(من البسيط) :

لَنَجْدعنَّ بايدينا أُنوفَكُمُ ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدَرَا

فسلّمهُ اليهِ

قال شارح الحماسة (ص ٢٣٥) والمبرّد في الكامل (ص ٧٦٥) : فمكث هدبة في السجن ما شاء الله ان يمكث حتى ادرك المِسْور بن زيادة . وجعل عمّهُ عبد الرحمان بن زياد يقدم المدينةَ فيكلّمهُ القرشيُّون وغيرهم وكان اهل المدينة رقُّوا لهدبــة لوفائهِ وشعرهِ وانّهُ اوّل مصبور رأوهُ في المدينة بعد زمن النبي صلعم وأضعفوا لهُ (وقيل المِسْور)الدِّيةَ حتى بلغت عشر دِيات . وكان ممّن عرض عليهِ الديات الحسين بن عليّ ابن ابي طالب وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عمر بن الخطّاب وسعيد بن العاص وعمرو ابن عثمان بن عفّان ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش . فأبى الّا القوَد

وروى في الاغاني(٢١ : ٢٨٠) انّ جميل بن معمر العُذري دخل على هدبة السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد واهدى لهُ بُردَين من ثيابٍ كساهُ ايّاهما سعيد بن العاص وجاءهُ بنفقةٍ . فلمّا دخل اليهِ عرض ذلك عليهِ وسالهُ ان يقبلَهُ منهُ . وكان جميل هجا قومهُ بني عامر فردَّ هديَّتهُ قائلًا : خُذْ بُرديك ونفقتك فاليك عنّي . فخرج جميل فلمّا صار في باب السجن خارجاً قال : اللهمَّ أغنِ عني أجدَعَ بني عامر . (قال)وكانت بنو عامر قد قلّت فحالفت لإياد

﴿موت هدبة بن الخشرم﴾ قال ابو رياش في الحماسة (ص ٢٣٦) : فمات عبد الرحمان في تلك السنين قبل احتلام مِسْور بن زيادة . فلمّا احتلم خرج بهِ في تلك الليلة الى المدينة . وفي الاغاني(٢١ : ٢٧١) ان عبد الرحمان لم يَمُت بعد قال : « وذهب عبد الرحمان بالمِسْوَر وقد بلغ الى والي المدينة سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم فأخرج هُدبة» . وفي الحماسة «انّ اخوان هُدبة من قُريش ارسلوا اليهِ كفناً وحَنُوطاً فأُخرج في سلطان الوليد بن عُتبة بن ابي سفيان فقال هدبة (من الطويل) :

أَلا عَلِّلاني قبـل نَوْحِ النوائحِ وقبلَ اطّلاعِ النفس بين الجوانحِ (١

١) ويروى : قبل صدح الصوادح . ويروى : قبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

وقبل غَدٍ يا ويل نفسي على غدٍ ... اذا راح اصحابي ولستُ برائحِ (١)

اذا راح اصحابي تُفيض عيونُهم ... وغُودِرتُ في لَحْدٍ عليَّ صفائحي

يقولون هل أصلحتمْ لأخيكمُ ... وماالقبرُ في الارضِ الفضاءِ بصالحِ

وقال لمّا خرج الى القوم وفي قولهِ ما يدلُّ على الورع والتقى المسيحي (من الطويل):

أذا العرشِ انّي لائذٌ بك عائذٌ ... من النار ذو بَثٍّ اليك فقيرُ (٢)

بغيضٌ اليَّ الظلمُ ما لم أُصبْ بهِ ... من الظلم مَشعوفُ الفؤادِ نفيرُ

واني وان قالوا اميرٌ مسلَّطٌ ... وحُجّابُ ابوابٍ لهنَّ صريرُ (٣)

لأعلم انَّ الامر امرُك إن تدِنْ ... فربٌّ وان تغفِر فانتَ غفورُ

وقال الرواة: فلمّا كان في الليلة التي قُتل في صباحها ارسل الى امرأته يستقدمها ليودّعها وكان يحبها ولهُ منها ولدان. فلمّا اتتهُ حادثها وبكى وبكت ولمّا قبّلها سمعت قعقعة الحديد فاضطربت فتنحّى عنها قائلًا (من الطويل):

لقد زعمتْ امُّ الصبيَّين انني ... أفزَّ جَناني وازدهتني المخاوفُ

وأدنيتني حتى اذا ما جعلتني ... لدى القلبِ اذ ذاكِ استقلّكِ راجفْ

فان شئتِ واللهِ انتهيتُ وانّني ... لأنْ لا تريني آخرَ الدهر خائفُ

رأت ساعدي غولٍ وتحت ثيابهِ ... جآجئ يَدمى حدُّها والحراقفُ

وقيل انَّ هدبة بعث الى عائشة يقول لها: استغفري لي. فقالت: ان قُتلتَ استغفرتُ لك. قال المبرّد: ولمّا خرج بهِ ليقاد بالحرّة جعل ينشد الاشعار فقالت لهُ حُبّى المدنيّة: ما رأيتُ قلباً أقسى منك أتنشد الاشعار وانت يُمضى بك لتُقتل وهذه خلفك كأنها

---

١) وقد روى صاحب الحماسة (ص٥٥٨) هذين البيتين لابي الطمحان شرقي بن حنظلة القيني

٢) ويروى: اني مسلم بك. ويروى: اني عائذ بك مؤمنٌ مُقرٌّ بزلّاتي اليك فقيرُ

٣) ويروى: اميرٌ وتابعٌ وحرّاس ابوابٍ

ظبيٌ عطشان تولول (تعني امرأتهُ) . فوقف ووقف الناس معهُ فأقبل على حُبّى فقال (طويل) :

وجدتُ بها ما لم تجدْ أمُّ واحدٍ ولا وَجدَ حُبّى بابن أمِّ كِلابِ (١

واني طويلُ الساعدَين شَمَردَلٌ على ما اشتهتْ من قوّةٍ وشبابِ(٢

فانقمعت حبّى داخلةً الى بيتها فأغلقت الباب في وجهه . وقال في الاغاني: لمّا مُرّ بهدبة على حُبّى قالت لهُ : في سبيل الله شبابُك وجَلَدُك وشعرُك وكرمك فقال (من الطويل) :

تَعجَّبُ حُبّى من أسيرٍ مُقيَّدٍ (٣ صليبِ العصا باقٍ على الرَّسفَانِ

فلا تَعجَبي منّي (٤ حليلةَ مالكٍ كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثانِ

واخبروا انهُ لمّا خرج بهِ صاحب الشرطة ليُقتَل جعل الناس يتعرّضون لهُ ويَخبرون صبرهُ ويستنشدونهُ . فلقيهُ عبدالرحمان بن حسّان بن ثابت الانصاري فقال لهُ : أنشدني يا هُدبة . فقال : أعلى هذه الحال ؟ قال : نعم فانشدهُ (من الطويل) :

وما أتصدّى للخليل وما أرى مُريدًا غِنى ذي الثروةِ المتقطِّبِ

وما أتبعُ الأَلوَى المُدَلّي بودّهِ عليَّ وما أنأى من المتقرِّبِ

ولا أتمنّى (٥ الشرَّ والشرُّ تاركي ولكن متى أُحمَل على الشرّ أركبِ

ولستُ بمِفراحٍ اذا الدهرُ سرّني(٦ ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلّبِ

وما يعرفُ الاقوامُ للدهرِ حقَّهُ وما الدهرُ ممّا يكرهون بمُعْتِبِ

١) ويروى : وما وجدَتْ وَجْدي بها امُّ ٢) ويروى : رأتهُ طويل الساعدين . . كما اشتهت . ويروى : كما انبعثت . فالشمَرْدل الحسَن الخَلْق وقيل السريع

٣) ويروى : مكبَّل ٤) ويروى : منهُ

٥) ويروى : ما ابغّي . ويروى : ولستُ بباغي ٦) ويروى : مسني

وللدهر في اهل الفتى وتِلادهِ ... نصيبٌ كحزّ الجازرِ المتشعِّبِ
وحرَّبني مولايَ حتى غشيتُهُ (١ ... متى ما يُحرِّبْكَ ابنُ عمّكَ تَحْرَبِ

ولمّا قدِم نظر الى امرأتهِ وكانت من اجمل الناس فدخلتهُ غيرةٌ وقد كان جُدع في حربهم فقال (من الطويل) :

أَقِلّي عليَّ اللومَ يا أُمَّ بَوْزَعا ... ولا تَمْجِي ممّا أصاب فأوجعا (٢
فإن يكُ أنفي بانَ منهُ جمالُهُ ... فما حَسَبي في الصالحينَ بأجْدعا
وما حسَّنَتْ نفسي ليَ العجزَ مُذ بَدَتْ ... نَواجذُها يَمْجُجْنَ سُمّاً مُسَلَّعا
فلا تَنْكحي إنْ فرَّق الدهر بيننا ... أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا
كليلاً سوى ما كان من حدّ ضِرْسهِ ... لدَى الزادِ مِبطانَ العشيّاتِ اروعا (٣
ضَروباً بلحيَيْهِ على عظم زَوْرهِ ... اذا الناسُ (٤ هَشُّوا للفَعالِ تَقنَّعا
أُصَيهِبَ لا يُرْضيك في الحيّ قاعدًا ... اذا ما مشى او قال قولًا تَبلَّتَعا
وحُلّي بذي أُكْرومةٍ وحميّةٍ ... وصبرٍ اذا ما الدهر عضَّ فأفجعا (٥
وكوني حبيباً او لأروعَ ماجدٍ ... اذا ضنَّ أعشاشُ الرجال تبرَّعا (٦
وليس اخو الحرب الشديدةِ بالذي ... اذا زبَنَتْهُ جاء (٧ للسِلْم أخضعا
ولكن اخو الحرب الحديدُ سلاحُهُ ... اذا حمَلَتْهُ فوق حالٍ تشجَّعا
أخو الحرب لا ينآدُ للحرب مَتْنُهُ ... ولا يُظهِر الشكوى اذا كان مُوجَعا

---

١) ويروى : خشيتهُ
٢) ويروى : ولا تجزعي . . . وأوجعا ٣) ويروى : من جدّ ضَرْسِهِ أُكَيبِدَ مبطان العشيّة . ويروى : أُعَيبِد مبطان الضحى ٤) ويروى : اذا القوم ٥) ويروى : عضَّ فاسرعا . . ويروى : فاوجعا ٦) ويروى : وكوني حنيناً . جاهدٍ . . . اوباش الرجال
٧) ويروى : اذا ربقَتْهُ كان

رَكوبٌ على أثباجها(١ متخوّفٌ لَعوراتها حتى اذا الثقلُ أضلعا

وختمها بقولهِ :

فانَّ التُّقى خيرُ المَتاع وانَّما نصيبُ الفتى من مالهِ ما تمتَّعا

فأدركهُ عبد الرحمان بن حسَّان فقال لهُ : يا هدبة تأمرني ان اتزوّج هذه بعدك (يعني زوجتهُ وهي تمشي خلفهُ) . قال : نعم ان كنت من شرطها . قال : وما شرطُها . فكرَّر عليهِ الابيات . فالت زوجتهُ الى جزَّار فاخذت شفرتهُ فجدَّعت بها أنفها وجاءتهُ تَدمى مجدَّعةً . فقالت : أتخاف ان يكون بعد هذا نكاح ؟ (قال) فرسف في قيودهِ وقال : الآن طاب الموت . وقيل انها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت لهُ : انَّ لهدبة عندي وديعةً فأمهلهُ حتى آتيهُ بها . فقال : اسرعي فانَّ الناس قد كثُروا . وكان جلس لهم بإزاء دارهِ فمضت الى السوق وانتهت الى قصَّاب وقالت : اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وانا اردُّها عليك . ففعل فقرُبت من حائط وارسلت ملحفتها على وجهها ثمَّ جدَّعت أنفها من اصلهِ وقطعت شفتيها ثمَّ ردَّت الشفرة واقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة اتراني متزوّجة بعد ما ترى . قال : لا . الآن طاب الموت

ثمَّ خرج يرسف في قيودهِ فاذا هو بابوَيه يتوقَّعان الثكل وهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال معرباً عن رجائهِ بالآخرة (من الخفيف) :

أبلِيَاني اليومَ صبرًا منكما انَّ حزناً إنْ بدا باديءُ شرْ(٢

لا أراني اليوم الَّا ميّتاً (٣ انَّ بعد الموت دارَ المستقَرْ

إصبِرا اليوم فاني صابرٌ كلّ حيّ لقضاءٍ (١ وقدَرْ

قال في الاغاني : فدُفع هدبة الى عبد الرحمان اخي زيادة ليقتلهُ فاستأذنَ في ان

١) ويروى : رحوبٌ على اثباجها

٢) ويروى : انَّ حزناً فلكما اليوم يسرّ ٣) ويروى : ما اظنُّ الموتَ الَّا هيّناً

٤) ويروى : لقناءِ

يصلي ركعتين فأذن لهُ فصلّاهما وخفّف ثمّ التفت الى من حضر فقال : لولا أن يُظنّ بي الجزع لأطلتُهما فقد كنتُ محتاجاً الى إطالتهما . ثمّ قال لأهلهِ انهُ بلغني انّ القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسهِ فإنْ عقلتُ فاني قابضٌ رجليّ وباسطهما ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتل . وقال قبل ان يُقتَل (من الطويل) :

إن تقتلوني في الحديد فانّني　　قتلتُ اخاكم مطلقاً لم يُقيَّدِ

فقال عبد الرحمان اخو زيادة : والله لا قتلتهُ الّا مطلقاً من وثاقهِ فأُطلق فقام اليـهِ وهزّ السيف ثمّ قال :

لقد علمَتْ نفسي وانت تعلمُهْ　　لأقتلنّ اليومَ من لا ارحمُهْ

ثمّ قتلهُ . هذه رواية من لم يقل بموت عبد الرحمان . امّا حمّاد الرواية فقال انّ الذي تولّى قتلهُ المِسْوَر دفع اليهِ عمّهُ السيف وقال لهُ : قم فاقتل قاتل ابيك . وفي كامل المبرّد (ص ٧٦٧) انّ هدبة قـال لابن زيادة : أثبتْ قدميك وأجدِ الضربةَ فـاني ايتمتُكَ صغيرًا وراملتُ امّكَ شابّةً . . . مـا اجزعُ من الموت . وفي شرح الحماسة (ص ٢٣٦) : انهُ لمّا برَكَ للقتل قامت امرأة زيادة امّ المسوَر فسأَت السيف ثم قالت لابنها : اضرب بابي انت وامّي . فضربهُ ضربةً أبانت رأسهُ . وفي الاغاني : فضربهُ ضربتين فقتلهُ بهما . ووثب رهطُ هُدبة فنحّوهُ عنهُ حتى دُفن . فقال واسع اخوهُ يرثيهِ (من البسيط) :

يا هُدْبَ يا خيرَ فتيان العشيرةِ مَنْ　　يُفْجَعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا

الله يعـلمُ أنّي لو خشيتُـهمُ　　أوأوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزَعا (١

لم يقتـلوهُ ولم أُسلِمْ اخي لهمُ　　حتّى نعيشَ جميعاً او نموتَ معا (٢

﴿رتبتهُ بين الشعراء﴾ قـال ابو الفرج في الاغاني (٢١ : ٢٦٤) «هدبة شاعر فصيح متقدّم من بادية الحجاز وكان شاعرًا راويةً كان يروي للحطيئة . . وكان جميل

١) ويروى : احسنَ القلب . ويروى : اوجعَ القلب . . . جزعا

٢) هذه الابيات تمثّل بها ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن عليّ بن ابي طالب لمّا بلغهُ قتل اخيهِ محمّد (الاغاني)

(ابن معمر) راوية هُدبة . وقد افادنا ابن النديم في الفهرست (ص ٧٨ و ١٥٩) انَّ السكّري «عمل اشعار جماعة من الفحول» ذكر من جملتهم «هُدبةَ بن الخشرم» وصهرهُ «زيادة بن زيد» ولا بُدَّ ان يكون ديوانهما مفقودًا. ومما رُوي عن مروان بن ابي حفصة وعن حمّاد الراوية قولهما (الاغاني ٢٧٥) «كان هُدبة اشعر الناس منذ دخل السجن الى أن أُقيد» وفي قولهِ هذا شاهد على ما قيل بانَّ اشعر الشعر ما أنشدهُ صاحبهُ متجرّدًا عن الغايات مندفعًا اليهِ بعواطف غريزتهِ . وحدَّث مُصعَب الزبيري قال: «كنّا بالمدينة اهل البيوتات اذا لم يكن عند احدنا خبرُ هُدبةَ وزيادةَ واشعارهما ازدريناه وكنّا نرفع من قَدْر اخبارهما واشعارهما ونُعجَب بها» . وقد امكن القرّاء ان يستدلّوا على شعرهِ المطبوع في ما مرَّ من اخبارهِ وها نحن نضيف اليهِ ما وجدناهُ متفرّقًا في كتب الادباء لئلّا تأخذهُ يدُ الضياع . فمن ذلك ما رواهُ ابو تمّام في حماسته (من الوافر) :

إنّي من قُضاعةَ مَنْ يَكِدْها ... أَكِدْهُ وهي منّي في أمانِ

ولستُ بشاعر السَّفساف فيهمْ ... ولكن مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوانِ (١

سأهجو مَنْ هجاهم من سِواهمْ ... وأُعرِضُ منهمُ عمَّن هجاني

ومن جيّد شعرهِ قصيدتهُ البائيّة التي قالها في الحبس جمعناها من كتب مختلفة كأمالي القالي (١ : ٧٢) والحماسة البصريّة (ص٣٧) وخزانة الادب (٤ : ٨٢—٨٣) (من الوافر) :

طَرِبْتَ وانت احيانًا طَروبُ ... وكيف وقد تعلّاك (٢ المشيبُ

يُجِدُّ النأيُ ذكرَكَ في فؤادي ... اذا ذَهِلَتْ على النأيِ (٣ القلوبُ

يُؤَرِّقني اكتئابُ ابي نُمَيرٍ (٤ ... فقلبي من كآبتهِ كئيبُ

١) السَّفساف ما لا خيرَ فيهِ من الافعال والاقوال . والمِدْرَه السيّد الذي يُدفَع بهِ الشرّ فيَنتظم امور الحرب ٢) ويروى : تشأّك ٣) ويروى : عن النأي

٤) قال اللخميّ : ابو نمير ابنُ عمّهِ كان مسجونًا معهُ . وقيل رجل من قرابتهِ كان يزورهُ في حبسهِ

فقلتُ لهُ هداكَ اللهُ مهلًا … وخيرُ القولِ ذو اللُّبِّ اللبيبُ (١

عَسَى الكَرْبُ (٢ الذي أمسيتُ فيهِ … يكونُ وراءهُ فرَجٌ قريبُ

فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ … ويأتي اهلَهُ الرجلُ الغريبُ

ألا ليتَ الرياحَ مُسخَّراتٌ … بحاجتنا تباكِرُ (٣ او تؤُوبُ

فتُخبِرَنا الشَّمالُ اذا أتتنا … وتُخبِرَ اهلَها (٤ عنَّا الجَنُوبُ

بأنّا قد حَلَلْنا دارَ بَلْوى … فتُخطِئُنا المنايا او تُصيبُ (٥

وقد عَلِمَتْ سُلَيْمَى أنَّ عُودي … على الحَدَثانِ ذو أَيْدٍ صَليبُ

وأنَّ خليقتي (٦ كرمٌ وأني … اذا أبدَتْ نواجِذَها الحروبُ

أُعينُ على مكارمِها وأغشَى … مكارِهَها اذا كَعَّ الهَيُوبُ (٧

وقد ابقى الحوادثُ منك ركناً … صليباً ما تؤيِّسُهُ الخطوبُ

واني في العظائمِ ذو غناءٍ … وأُدعى للفَعالِ (٨ فأستجيبُ

وأني لا يَخافُ الغدرَ جاري … ولا يَخشَى غوائلِيَ القريبُ

وكم من صاحبٍ قد بانَ عنّي … رُميتُ بفَقْدِهِ وهو الحبيبُ

فلم أُبْدِ الذي تحنو ضلوعي … عليهِ واني لأنا الكئيبُ

مخافةَ ان يَرَاني مُسْتَكِيناً … عدوٌّ او يُساءُ بهِ قريبُ

ويَشمَتَ كاشحٌ ويَظُنَّ أني … جَزوعٌ عندَ نائبةٍ تنوبُ

١) ويروى: ذو الصَّبْحِ المصيبُ ٢) ويروى: الهمُّ

٣) ويروى: لحاجتنا تُراوحُ ٤) ويروى: فتُبلغنا الشمالُ اذا أتينا وتبلغ اهلنا

٥) ويروى: فانّا قد نزلنا ... المنيّةُ ٦) ويروى: خلائقي

٧) ويروى: اذا هاب الهَيُوب ٨) ويروى: وادعى للسَّماح

فبَعْـدكَ سَدَّتِ الاعـداءُ طُرْقاً إليَّ ورابَـني دهرٌ يُريبُ
وانكرتُ الزمـانَ وكلَّ اهلي وهرَّتني لغَيبَتِـك الـكَليبُ
وكنتَ تُقطِّع الابصـار دوني وان وغَرَتْ من الغيظِ القلوبُ
على انَّ المنيَّـة قـد تُوافَى لوقتٍ والنوائبُ قـد تنوبُ
فان يكُ صَدْرُ هـذا اليومِ ولّى فـانَّ غـدًا لنـاظرهِ قريبُ

وممّا رواهُ لهدبة في الحماسة البحتريّة (ع ٢٤) قولهُ (من الطويل) :

مشيتُ البَراحَ للرجال شبيبتي الى ان عَـلَتْني كَبْرَةٌ بمَشيبِ
فلا تَفْغَروا افواهـكم إنّني شجاً الى الحَلْقِ والأضراسِ غيرُ حبيبِ
لَعمريَ ما شَتْمي لكم ان شتمتُكم بسِرٍّ ولا مَشْيي لـكم بـدَبيبِ
ولا وُدُّكم عندي بعلْقٍ مَضَنَّـةٍ ولا شرُّكم عندي بجَـدٍّ مَهيبِ
فَمِلآنَ عـاجَلتم رياضـةَ مُصعَبٍ مُدِلٍّ عسيرِ الصُّلب غيرِ رَكُوبِ
وقـاسيتُمُ غَرْباً يَمُـدُّ عِنـانَهُ كغَرْبِ الفُراتِ جاشَ يومَ جَنُوبِ

ومن روايتهِ فيها (ع ٨٨١و١٣٨٨) (من الطويل) :

وبعضُ رجاء المرء ما ليس نائلًا غَناءً وبعضُ الناسِ(١ أعفى وأروَحُ
وآخِرُ ما شيءٍ يَغُولُك والـذي تقـادَمَ تنساهُ وان كان يَفدَحُ

وقد روى ايضاً (ع ١٠٤) وكذلك في اصلاح المنطق(ص١٦٢)(من الطويل) :

وكَـذَّبَ قَولَ العائبينَ سَماحتي وصبري اذ ما الامرُ عُضِّرَ فأَضجرا

١) ويروى : عناء وبعض اليأسِ

وانّي اذا ما الموتُ لم يكُ دونهُ مَدى الشِبرْ(١ أحمي الأنفَ أن اتأخّرا

وفيها يقول :

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهـهِ اذا اختيرَ قالوا لم يَقُلْ مَنْ تَخَيّرا

من الرافعينَ الهمَّ للذكر والعُلَى اذا لم يَبُؤْ الّا الكريمُ ليُذْكَرا

رُزِينا فلم نُعْثِرْ لِوَقْعتهِ بنا ولو كان في حيٍّ سِوانا لَأعثرا

وما دهرُنا إلّا يكونُ أصابنا بنَفْلٍ ولكنّا رُزِينا لنَصْبِرا

وروى لهُ ايضاً (ع ١٣٦٧) في ذمّ المزح قولهُ (من الطويل) :

ورُبَّ كلامٍ قد جرى من مُمازحٍ فساقَ اليهِ سَهْم حَتْفٍ فعجَّلا

فدَعْ عنكَ قُرْبَ المَزْحِ لا تَقرَبَنَّهُ كفى بامرئٍ وعظاً اذا ما تكهّلا

ومن روايتهِ ايضاً (ع ١٧٣) في استطابة الموت قولهُ (من الطويل) :

مَضى قُدُماً يَدعو الحياةَ عَناهُ ويدعو الوفاةَ الخُلدَ ثَبْتٌ مُواقِفُ

ومن البحر والقافية ما جاء في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة يصف عفافهُ (ص ٢٦) :

واني لَأُخلي للفتاة فِراشها وأُكثرهجرَ البيتِ والقلبُ آلِفُ(٢

حَذاري الرَّدى اوخِشيَةً أن يَجُرَّني الى مَوْقِفٍ أرْمَى بهِ او أُقاذَفُ

ومما رواهُ لهُ ايضاً (ع ٥٣٧) (من الطويل) :

صَبورٌ على مكروهِ ما يَجشَمُ الفتى ومرٌّ اذا تُبْغَى المَرارةُ مُمْقِرُ

١) ويروى : قدى الشبر . القيد والقاد والقدَى القَدْر

٢) ويروى : وأصرم ذات الدَّلّ والقلبُ والهُ . ويروى بعد هذا البيت :

يظَلُّ بها العادي يقلّبُ طَرْفهُ من الهول يدعو وَيْلهُ وهو رعفُ

وجاء لهُ في مبادئ اللغة للاسكافي قالهُ وهو سائر الى الموت (من الوافر) (ص ٥١) :

أَشدُّ قِبالَ نَعْلي لا يراني عدوّي للحوادث مستكينا

وفي كتاب مجموع اللفيف (Ms de Paris, 3388, ff. 168ʳ) لهدبة يصف ديكاً صاح في غير وقت الصبح فلمّا رأى الليل كفَّ عن الصياح (من الطويل) :

ومستَجْذِلٍ يدعو الصباحَ وقد رأى عَرانِينَ مشهورٍ من الصبح أَبْلقا
الى غير هَيْجاء ضَحَتْ غير انهُ دجا فوقَهُ ليلُ التِّمامِ فأَطْرقا

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليهِ (٢ : ٢٠٦–٢٠٧) في وصيَّة عبدالله بن شدّاد لابنهِ محمَّد قولهُ : « اي بُنيَّ : اذا احببتَ فلا تُفرط واذا ابغضتَ فلا تُشطط . . . وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري (من الطويل) :

وكُنْ مَعْقِلاً للحِلْم واصفَحْ عن الخَنا فانَّك راءٍ ما حَييتَ وسامعُ
وأَحْبِبْ اذا احببتَ حبًّا مُقارباً فانك لا تدري متى انت نازِعُ
وأَبغِضْ اذا ابغَضْتَ بُغْضاً مُقارباً فانَّك لا تدري متى أَنتَ راجعُ

فترى من هذه الامثلة ما طُبع عليهِ هدبة من البلاغة وجودة القريحة والتفنُّن في المعاني . وعسى ان يعثر احد الادباء على نسخة من ديوانهِ فيغني بنشرها آثار لغتنا القديمة

٢ موسى بن جابر

﴿ اصلهُ ونسبهُ ﴾ هو موسى بن جابر احد شعراء بني حَنيفة اهل اليمامة . روى صاحب الاغاني (١٠ : ١١٣) ان مِسْمع بن مالك قسم سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن جِذْمٍ يقال لهُ الذُّهلان وجذمٍ يقال لهُ اللهازم فالذُّهلان بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم قيس بن ثعلبة وتيم بن

اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم وعنترة بن اسد بن ربيعة . (قال)وقد دخل بنو قيس ابن عُكابة مع اخوتهم بني قيس بن ثعلبة . واما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليامة في وسط دار مُضر . وكانوا لا ينصرون بكرًا ولا يستنصرونهم . فلمَّا جاء الاسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لُجَيْم فتلَهْزَموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن مصعب بن علي فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفي السُّحَيْمي بعد ذلك في الاسلام (من الطويل) :

وَجدْنا أَبانا كان حلَّ ببلدةٍ سوًى بين قَيسٍ قيسَ عَيلانَ والفِزْرِ(١)

برأيتهِ امَّا العدوُّ فحولَنا مُطيفٌ بنا في مثل دائرةِ المُهْرِ

فلمَّا نأتْ عنَّا العشيرَةُ كلُّها أَقَمنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ(٢)

فما أَسْلَمَتنا بعدُ في يوم وَقْعةٍ ولا نحنُ أَغمَدنا السيوفَ على وِتْرِ(٣)

﴿اهلهُ وزمانهُ﴾ لم يُفِدْنا الكتبة شيئاً عن رهط موسى بن جابر . وقد نسبهُ في الاغاني الى سُحَيم وسُحَيْم بطن من حنيفة . ودعاهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٩٥٥) بالعُبَيْدي ولعلَّ في قولهِ اشارة الى بني عُبَيْدة عشيرتهِ . وقال صاحب خزانة الادب(١ : ١٤٦) : «ويقال لهُ ابن الفريعة وهي امّهُ . وجاء لهُ في شعرهِ ذكرُ ابن عمّ يدعى زيدًا وقيل اخوهُ» . وقد ذكر التبريزي في حماسة ابي تمام خالَيهِ مرداساً وعامرًا

١) سوًى صفةٌ لبلدة اي متوسطة . والفِزْر لقب لسعد بن زيد مناة . يريد حلَّ بين مُضَر والفِزْر ونأى عن ربيعة لان قيساً والفزر من مضر ٢) ويروى : أَقمنا قال في خزانة الادب (١ : ١٤٧) يقول : «لمَّا خذلتْنا عشيرتُنا وهم ربيعة اكتفينا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصبر واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر . وهذا مثلٌ ضربهُ لاستقلالهم فيما نهضوا فيهِ بعَدَدهم وعُدَدهم وبلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدين»

٣) ويروى : عند يوم كريهةٍ ولا نحن اغضينا الجفون . . . قال شارح الحماسة (ص١٦) : «اي ما خذلتنا عشيرتنا في يوم حرب ولا نحن اغضينا جفوننا على وتر وحقد . يعني انهم ادركوا كل ثأر» . وهذه الابيات رواها ابو تمَّام في الحماسة ليحيى بن منصور الحنفي وقد غلَّطهُ ابو رياش واثبتها لموسى بن جابر

ابني شمّاس بن لأي من بني انف الناقة وأمهما من بني العنبر فقال موسى يمدحهما (من الطويل) :

اذا ذُكر ابنا العنبريّة لم تضقْ ذِراعي وألقى باسْتِهِ مَنْ أفاخِرُ(١

هِلالان حمّالانِ في كلّ شَتْوَةٍ من الثِقل ما لا تستطيعُ الأباعرُ(٢

امّا زمانهُ الذي عاش فيهِ موسى بن جابر ففي عهد اواخر الخلفاء الراشدين واوائل الدولة الاموية كما يستدلّ على ذلك من بعض اقوالهِ

﴿دينهُ﴾ كانت النصرانيّة شائعة في بني حنيفة كما اثبتنا ذلك بشواهد عديدة في كتاب النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص٧٢,١٢٩,١٤٩ الخ) وبقيتْ على دين النصرانيّة زمناً بعد الاسلام(ص٤٥٦). فلا عجب اذ وافق موسى قومهُ في دينهم. وصرّح صاحب خزانة الادب بنصرانيّتهِ حيث قال(١: ١٤٦) : «ويقال كان نصرانيًّا»

﴿شعرهُ﴾ ذُكر في الخزانة انهُ كان «احد شعراء بني حنيفة المكثرين» الّا انّ ما يُعرف من شعرهِ لايتجاوز بضعَ قِطَع متفرّقة في كتب الادباء الاقدمين وفي المعاجم ما يدلُّ على انّهم كانوا يعوّلون عليهِ في فصاحة اللغة. وها نحن نروي ما عثرنا عليهِ من ابياتهِ. فمن ذلك ما ورد في حماسة ابي تمّام (١: ١٥٧—١٥٨) يصف ترفّع نفسه (من الكامل) :

لا أشتهي يا قومِ الّا كارهاً بابَ الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ(٣

ومنَ الرجالِ اسنّةٌ مَذْروبةٌ ومزنّدونَ حُضورهم كالغائبِ(٤

١) اراد بابني العنبريّة خاليْهِ مرداساً وعامرًا ابني شمّاس وكانت امّهما من بني العنبر. يقول اذا ذُكر هذان الرجلان من اهلي لم يُعيِيني أمرُ مَن أُفاخره بل اردُّه على عقبيهِ مُدبرًا

٢) اي انّ الممدوحَين مشتهران يتكلّفان في سنة الجدب والمحل وفي المغارم وقرى الضيوف اثقالًا ويصطنعان صنائع ما لو صارت اجراماً ووُزنت لعجزت عن النهوض بها الإبل مع صبرها على ثقل حولها لانهُ حِملكها

٣) ويروى : الّا مكرهاً . يقول لا آتي بابَ الامراء ولا اتعرَّض لدفاع الحجّاب الّا كارهاً

٤) ويروى : وشهودهم كالغائب . يقول انّ بين الناس من يشبهون برؤُهم ونفاذهم الأسنّةَ المذروبة اي المحدّدة . ومنهم مزنّدون اي بُخلاء لا فائدة فيهم وسيّان حضورهم او غيبتهم . المزنّد مشتقّ من الزّند الذي يُضرب بهِ المثل في القلّة

منهم ليوثٌ لا تُرامُ وبعضُهم ممَّا قَمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطبِ(١

وممَّا ورد في اماليّ القاليّ (٣: ٧٢-٧٣) ما حرفهُ قال: «كتب الحجّاج الى عبد الملك بن مروان أمرَ قطَريّ بن الفجاءة المازني (٢ . فكتب اليهِ عبدُ الملك: أُوصيك بما أوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا . فلمَّا ورد الكتاب لم يدرِ الحجّاج ما اوصى بهِ البكريّ فقال لحاجبهِ: نادِ في الناس: مَنْ اخبر الاميرَ ما اوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا فلهُ عشرة آلاف درهم (٣ . فقام اعرابيٌّ قد طالت إقامتهُ وقال: انا اعرفُها . فأدخلهُ على الحجاج فقال: ما قالهُ البكريُّ لزيدٍ? . قال: هو موسى بن جابر الحنفيّ قال لابن عمهِ زيد هذه الابيات (من الطويل) :

اقولُ لزَيْــدٍ لا تُتَرْتِرْ فــإنَّهم يرونَ المنايا دون قتلكَ او قتْلي (٤

فان وَضعوا حرباً فضَعْها وإنْ أبَوْا فشُبَّ وَقُودَ الحرب بالحطبِ الجَزْلِ(٥

فان عَضَّت الحربُ الضَّروسُ بنابها فعُرضَةُ نارِ الحربِ مِثْلُكَ اومِثْلي(٦

فقال الحجّاج: وابيك انَّها لهي وقد صَدَق اميرُ المؤمنين «عُرْضةُ نار الحرب مثلي او مثلُه» ثمَّ قضى حاجتهُ . وممَّا رُوي لموسى ايضاً في الحماسة قولهُ(من الطويل) :

---

١) ويروى: منهم أُسود اي منهم كالأُسود الكاسرة المنيعة ومنهم من تَقْمشُهُ اي تلمُّهُ وتجمعهُ في رزمةٍ واحدة كما يَضمُّ الحاطبُ رزمةَ حطَبِهِ جامعًا بين الجيِّد والرديء . يريد انهُ لا غناء عندهم

٢) وفي حماسة ابي تمَّام(ص ١٨٠ انَّ الحجَّاج كتب ذلك لمَّا خلَع عبد الرحمان بن الاشعث ابن قيس

٣) وفي الحماسة: قضيتُ حاجتَهُ

٤) وفي الحماسة: قلتُ لزيدٍ . ويروى: لا تُبَرْبِر . ولا تثَرْثِر . ولا تُبَزْبِز . وكلُّها بمعنى متقارب اي لا تكثر الكلام ولا تُقَلْقِلْ فانَّهم لا يَصلون اليَّ واليك اَلا بعد ان نذيقهم كأس المنون . او يكون المعنى: انَّهم مستعدُّون لتضحية نفوسهم لينالوا أرَبهم منك او مني

٥) في الحماسة روى هذا الشطر هكذا: فعُرْضَةُ عضّ الحرب مثلك او مثلي . فبدلَهُ من ثاني شطر البيت التالي . يقول: ان سالَموا فسالِمْ وان أبوا فأسعِرْ نار الحرب

٦) روى في الحماســة الشطر الاوَّل: وان وَضَعوا الحربَ العوان التي ترى فشُبَّ . . . الحرب الضَّروس الشديدة . والعوان التي قُوتل فيها مرَّةً بعد أُخرى . اي ان انشبت نار الحرب فعُدَّتها مثلك او مثلي . يقال: فلان عُرْضةُ كذا اي مُطيق لهُ قادر عليهِ

أَلَمْ تَرَيا أَنِّي حَمَيْتُ حقيقتي ... وباشرتُ حَدَّ الموتِ والموتُ دُونُها(١

وَجُدْتُ بنفسٍ لا يُجادُ بمثلها ... وقلتُ اطمئِنِّي حين ساءَتْ ظنونُها

وما خيرُ مالٍ لا يفي الذمَّ رَبَّهُ ... بنفسِ امرئٍ في حقِّها لا يُهينُها(٢

وروى ايضاً صاحب الحماسة لموسى (ص ١٨١ — ١٨٢) قولهُ يلوم قومهُ على قعودهم عن نصرتهِ واعتلالهم بالمعاذير الكاذبة (من الطويل) :

ذَهبتُم ولُذْتُم بالأمير وقلتمُ ... تَرَكْنا احاديثاً ولحماً مُوَضَّما (٣

فما زادَني الَّا سَناءً ورفعةً ... وما زادَكم في الناسِ الَّا تَخَضُّعا(٤

فما نَفَرَتْ جِنّي ولا فُلَّ مِبْرَدي ... ولا أصبحَتْ طَيْري من الخوفِ وُقَّعا(٥

وقال يهجو قومهُ لما خذلوهُ (من الكامل) :

كانت حنيفةُ لا أبا لكِ مَرَّةً ... عند اللقاء اسنَّةً لا تَنْكُلُ (٦

فرأتْ حنيفةُ ما رأت أشياعُها ... والريحُ احياناً كذاك تَحوَّلُ (٧

---

١) الحقيقة ما يجب على الانسان حمايتهُ . اي دافعتُ عنها حتى الموت . ودونُها بضمّ النون صفة اي حميتُها والموت قريبٌ منها

٢) اي لا خير في مالٍ لا يصونُ صاحبَهُ من الذمّ

٣) قال شارح الحماسة :«يقول التجأتم الى الامير وقلتم تركْنا قوماً يقولون ولا يفعلون فهم كاللحم المُوَضَّم تتعلَّق الأطماع بتناوُلهِ وأخذهِ . وان رُوِيَت «تُرِكْنا» على البناء على المجهول كان المعنى اذَمْتم علينا لمَّا اردتم مفارقتنا وخُذلاننا وقلتم تُرِكْنا احدوثةً للناس»

٤) قال :«اي فلم يَزِدْني قولكم الا ارتفاعَ محلٍّ ولم يَزِدْكم في الناس الا تذلُّلاً لانَّ من لا يصلح لعشيرتهِ لا يسكن اليهِ الناس البعداء

٥) قال :«يجوز انهُ يريد لم يَنْخزل لمَّا اتيتم واخبرتم اصحابي الذين هم كالجنّ ولا فُلَّ لساني الذي هو كالمبرد ولا ذُعِرَ جأشي فصار طيري واقعةً . يريد ذكاءهُ ونشاطهُ . ويُشبَّه الرجل النافذ في الامور بالجنّي والشيطان . ووقوع الطير كناية عن ضعفهِ »

٦) نكَلَ جبُن وضعف . ولا ابا لكِ تحضيض وليس بدعاء

٧) يقول اصبحت حنيفة بعد مآثرها في الحرب تتقلَّب كبعض مشايعيها وأنصارها كما يعرض للريح التي تتقلَّب احياناً

وروى ياقوت لموسى بن جابر (٤ : ٩٥٥) (من المتقارب) :

فلا يَغُرَّنكَ فيما مَضى مُخيفُ قُرَيشٍ وأكثارُها
غداةَ علا عَرَضنا خالدٌ وسالتْ أُباضٌ وهَدَّارُها

يريد محاربة خالد لمسيلمة الكذّاب في قرية الهدّار وبها كان مولدهُ ونَشأتُهُ فقتلهُ خالد ودخل اهل قرى اليمامة في صُلح الهدّار . وأُباض وادٍ في اليمامة

وروى لهُ صاحب مجموعة المعاني في باب النجدة والبأس (ص٣٨) قولهُ (من الطويل) :

وانّا لوقّافون بالموقِف الذي يُخافُ رَداهُ والنفوسُ تطَلَّعُ
وانّا لَنُعطي المَشرفيّةَ حقَّها فتقطعُ في أيماننا وتُقطَّعُ

وفي حماسة البحتري (ص ٧١) روى قول موسى في ترك قطع الاخ القديم المستطرف (من مجزوء الكامل) :

لا كُلُّ مُطرِف هوايَ ولا من طول صُحبةِ صاحبٍ أقلي

فهذا كلّ ما صبر على الدهر من شعر ذاك «الشاعر المُكثر» والله اعلم

وروى الجاحظ لابن جابر في كتاب الحيوان (٤ : ٩٣) قولهُ (من الرَمَل) :

طرَدَ الأروى فما تقربُهُ ونفى الحيّاتِ عن بيضِ الحَجَلْ

٣ شَمْعَلة التغلبيّ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو شَمْعَلة ويقال شَمْعَل وقد فسّروهُ بالخفيف النشيط . والناقة الشمعلة النشيطة السريعة . والاصحّ على ما نرجح ان هذا الاسم اعجميّ كاسمعيل . وبه عُرف شاعر آخر يُدعى شمعلة بن الاخضر الضبيّ . وامّا نسبُهُ فالشائع انهُ ابن فائد بن ابي حجوة بن خَيْبَرَى من بني حدَس بطن من بني لخم النصارى (اطلب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٧) واختلف بعضهم في هذا النسب . قال ابن حبيب (الاغاني ١٠ : ٩٩) انهُ شَمْعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فائد وهم رهط الفُرس . وسمّاه في مجموعة المعاني : شمعل بن الحصين التغلبيّ

﴿زمانهُ﴾ كان في اواسط عهد بني اميّة اعني في اواخر القرن السابع واوائل القرن

الشامن في ايّام عبد الملك بن مروان وابنَيْهِ الوليد بن عبد الملك وهشام كما سيتّضح من اخباره.

﴿مقامهُ ودينهُ﴾ كان شمعلة رئيساً لبني تغلب ذا قدر عظيم وفضل عميم وهيئة وجمال وبلاغة في المقال وشاعرًا ظريفاً وكان نصرانيًّا عريقاً في دينهِ كقومهِ التغلبيّين الذين ثبتوا بعد الاسلام على دينهم وكانوا يسكنون الجزيرة وعلى حدود الشام. وكان شمعلة بصفةِ رئاستهِ على بني تغلب يتردّد على عاصمة الشام ويدخل على الخلفاء.

﴿ استشهادهُ في سبيل دينهِ ﴾ قال شهاب الدين احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٨م) في كتابهِ مسالك الابصار في ممالك الامصار (من مخطوطات لندن Br. Mus., Ms, 575, p. 103-104) :

«شمعلة بن فائد ذو نخوةٍ دينيّة، وحميّةٍ جاهليّة، وأنفةٍ أساء فيها النيّة، كان نصرانيًّا لهُ أُبّهة باديّة، وقدْر عظيم في البادية، يُشارُ اليهِ ويُسار، ويُغار لهُ من رآهُ من عاقبة البوار، والمصير الى النار، فطالبَهُ هشام بن عبد الملك بالاسلام لما رأى من فضلهِ وجمالهِ، وما أعجبَهُ من هيئتهِ وإضاءة حالهِ، وأحبَّ لهُ الدخول في الدين، وأن يكونَ من المهتدين، فامتنع وأبى، واتّبع هواهُ ليكون لجهنّمَ حطبًا، قال الله تعالى (سورة القصص ع ٥٦) : انّك لا تهدي مَن احببتَ ولكنَّ الله يهدي من يشاء. فقال لهُ هشام : إن لم تفعل لأُطعمنَّك لحمَك فقال شمعلة : « ولو قطّعتني لما أسلمتُ على هذا الوجه. فلمّا خلّى عنهُ قال اعداؤهُ : اطعمَهُ هشامٌ لحمهُ. فقال شمعلة (من الطويل) :

أمِنْ حَزّةٍ في الفَخْذِ منّي تَباشرتْ عِداي(١) ولا نَقْصٌ عليَّ ولا وِتْرُ
وانَّ اميرَ المؤمنين وفعلَهُ لَكالدَّهْرِ لا عارٌ بما صنع الدهرُ

وقد روى المبرّد في الكامل هذا الخبر ونسبَهُ الى عبد الملك بن مروان قال (ص٥٢٤) : «كلّمَ شمعلُ التغلبيّ عبدَ الملك كلاماً لم يُرْضِهِ فرماهُ عبد الملك بالجُرْز فخَدش وهُشِم (ويروى: هُتِم) فقال شمعل (ثم روى البيتين هكذا) :

أمِنْ جَذْبَةٍ بالرِّجلِ منّي تباشرَتْ عُداتي فلا عيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ

(١) جاء في الاصل: غذايَ. وهو تصحيف

فـانَّ اميرَ المؤمنينَ وسيفَـهُ لَكالدَّهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

ويروى: أَمِن خَدشةٍ. ورواهُ في مجموعة المعاني (ص١٠٤) : أَمِنْ ضربة بالرِجْل. وفي كتاب الآداب لِسَنا الملك بن جعفر شمس الخلافة المتوفّى في سنة ٦٠٨هـ(١٢١١م) في نسخة لَندن (ص ٢٢)ذكرَ الخبر كما ورد في كامل المبرّد وروى هنـاك : « أمِن جذبةٍ بالرجل حين تبصَّرت.. وانَّ امير المؤمنين وفعلَهُ ... »

امّا في كتاب الاغاني (١٠ : ٩٩) فروى الخبر في مطاوي اخبار اعشى بني تغلب ونسب اليهِ البيتين على هذه الصورة قال : « قال ابن حبيب كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فـائد وهم رهط الفُرس نصرانيًا وكان ظريفاً. فدخل على بعض خلفاء بني اميَّة فقال: أَسلِم يا شمعلة. قال : « لا والله لا أُسلم كارهاً ابدًا ولا أُسلم الَّا طائعاً اذا شئتُ». فغضب وامر بهِ فقُطعت بَضْعة من فخذهِ وشُوِيَت بالنار وأُطعِمَها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أَمِنْ جَذْوةٍ (١)بالفخذ منك تباشرت عِداكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ
وانَّ أَمير المؤمنين وجَرْحَـهُ لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ

هذا ما رواهُ العرب. وقد ورد ذكر شمعلة في تاريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي من كتبة القرن الثاني عشر قال بعد ذكرهِ لاستشهاد رئيس آخر للتغلبيين يدعى معاذًا قُتِل لعدم جحودهِ دينهُ وهذا نصّهُ بالسريانيَّة (٢ : ٤٥١—٤٥٢ ,éd. Chabot) وهو ينسب محنة شمعلة الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ولعلّهُ هو الصواب :

ܘܫܡܥܠܐ ܡܫܝܚܝܐ ܡܢܗܘܢ ܕܛܝܝ̈ܐ ܐܡܪ ܠܗ ܘܠܝܕ: ܕܟܕ
ܪܝܫܐ ܕܛܝܝ̈ܐ ܐܝܬܝܟ ܒܗܠܠ ܟܠܝ ܐܝܬ ܠܟ ܕܬܗܘܐ ܕܠܡܫܝܚܝܐ
ܦܠܚܬ. ܐܠܐ ܫܒܘܩ ܕܝܢܟ ܘܐܬܗܦܟ. ܗܘ ܕܝܢ ܛܝܝܐ ܐܡܪ:
ܘܟܕ ܡܒܥܝܠܐ ܒܡܫܝܚܝܐ ܕܗܘܐ ܕܢܫܒܘܩ ܠܗ ܡܢ ܡܫܝܚܝܘܬܐ
ܒܟܠܐ (والصواب ܒܥܠܐ) ܐܬܦܩܕ. ܗܘܘ ܕܐܡܪ ܡܡܠܠ ܠܒ ܘܟܠ
ܕܒܣܪܗ ܐܬܦܣܩ ܘܒܢܘܪܐ ܐܬܛܘܝ ܘܐܬܝܗܒ ܠܗ ܕܢܐܟܘܠ

(١) كذا في الاصل . والصواب جذوة بالحاء وهي قطعة اللحم

ܐܗܘܐ ܒܥܠܬ ܐܒܕܢܐ ܠܣܓܝ̈ܐܐ . ܘܟܕ ܘܠܝܕ ܫܡܥ ܡܚܒܠܐ
ܦܩܕ ܕܢܓܪܘܢܝܗܝ ܥܠ ܐܦܘܗܝ ܢܦܩܘܢ . ܘܐܝܡܝ ܕܒܣܪܗ
ܢܣܛܥܡܘܢ . ܘܟܕ ܐܦܠܐ ܒܗܠܝܢ ܐܬܪܦܝ ܗܘ ܓܢܒܪܐ ܦܩܕ ܗܘܐ
ܛܪܘܢܐ ܘܐܬܦܣܩܬ ܡܢ ܥܛܡܗ ܦܣܬܐ ܘܫܘܝܘܗ̇ ܒܢܘܪܐ
ܘܥܠܘܗ̇ ܒܦܘܡܗ . ܘܒܬܪ ܗܠܝܢ ܚܝ ܗܘ ܓܢܒܪܐ ܡܫܒܚܐ
ܗܘܬ ܗܘܬ ܡܚܘܬܐ ܒܦܓܪܗ ܕܣܗܕܐ ܓܢܒܪܐ

وهذا تعريبهُ :

« قال الوليد للطوبوي شمعل احد التغلبيين : انك من حيث كونك رئيساً على العرب فانك توليهم جميعاً خزياً اذ تعبد الصليب فاخضع لمشيئتي وأسلم. فـاجابهُ الطوبوي شمعلة : « انَّ مملكتك باسرها كالتراب بالنسبة الى ما وعدنا بهِ السيّد المسيح . ومـا يزيدني حرصاً على ديني انني رئيس على تغلب كما قلتَ فان جحدتُ ديني اخاف من ان اكون علّة لهلاك كثيرين». فلمّا سمع الوليد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجههِ ويخرجوهُ واقسم بـانهُ سيطعمهُ لحمهُ . الّا ان ذلك البطل لم يفشل لدى سماعهِ هذا الوعيد فامر الملك الظالم بان تُنتزَع من فخذهِ قطعة ثمَّ شووها بالنار ودحروها في فيهِ . وقد عاش بعد ذلك الشهيد البارّ وعلى جسمهِ اثر جرحهِ»

وقد روى ايضاً ابن العبري هذا الخبر في تاريخهِ الدنيوي الذي كتبهُ بالسريانيَّة ونشرهُ المرحوم الاب بيجان اللعــازري بالحرف الكلداني في ليبسيك سنة ١٨٩٠ (ص ١١٥) ودونك تعريبهُ :

«كان شمعل رئيساً على بني تغلب العرب النصارى فقال لهُ الوليد : «بما انك رئيس على العرب فانك تشملهم بالعار اذ تسجد للصليب ومن ثمَّ افعل ما آمرك به وأسلِم» . فاجاب شمعل : «لا بل بما اني رئيسٌ على كلّ بني تغلب فلذلك اخاف ان اكون سبباً لهـلاكهم جميعاً اذ اكفر انا فيكفرون هم بالمسيح » . فلمّا سمع الوليـد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجهـهِ ويخرجوهُ وطردهُ مُقسماً بانهُ ان لم يُسلم يطعمهُ لحمهُ . امّا شمعل فلم يكترث لقولهِ فامر الوليد بان تُجَزَّ من فخذهِ قطعةٌ فشواها بالنار وادخلها في فيهِ . واذ ثبت على هذا ايضاً طردهُ فبقي حيّاً وكان اثر جرحهِ يُرى في جسمهِ»

ومن ثم يترجّح رأي هذين الكاتبين في نسبتهما الى الوليد فِعْلهُ مع شمعلة وهما اعلم بامور النصارى من سواهما ولاسيما انَّ الوليد كان معروفاً بعاداتهِ للنصارى وقد قتل كثيرًا منهم في الجزيرة كمـا روى المؤرّخون من الروم والسريان . بل يقول عنهُ مؤرّخو العرب انهُ كان جبّارًا ظالمًا

٤ أعشى بني تغلب

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ يُطلَق اسم الأعشى على نحوٍ من عشرين شاعراً كما ترى في المزهر للسيوطيّ (٢: ٢٢٩—٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني لهُ (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠: ٢٤٣ ٢٤٤). وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكُناهم وقبائلهم. وربّما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادةٍ في التعريف. وانما اشهرهُم الاعشى المعروف بالاعشى الاكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهليّ(١). واسم الاعشى لقبٌ يُطلق على السيّئ البصر من العِشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تُبصر ليلًا.

واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمهِ. جاء في الاغاني (١٠ : ٩٨): «قال ابو عمرو الشيباني اسمهُ ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمهُ النعمان بن يحيى». وفي الحماسة البصريّة (١: ٨٧) «هو ربيعة بن نجران» وفي محلّ آخر «هو نعمان بن نجوان التغلبيّ واسمهُ ربيعة». وفي المزهر للسيوطي (٢ : ٢٢٩): «الاعشى التغلبيّ اسمهُ نعمان بن نجران» وقال في التاج (٩: ٣٤٤). «هو النعمان ويقال ابن جاوان وهو في الاراقم».

امّا نسبهُ فرفعهُ ابو الفرج في الاغاني الى نزار فقال: «النعمان بن عمرو (بن غنم) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ابي ربيعة ابن نزار». وكثيراً ما اشاروا اليهِ باسم «التغلبيّ» بلا زيادة

﴿زمانهُ وموطنهُ﴾ قال في الاغاني: «هو من شعراء الدولة الامويّة وساكني الشام اذا حضر واذا بَدا نزل في بلاد قومهِ بنواحي الوصل وديار ربيعة». ومن المعلوم انّ ديار تغلب كانت في بلاد ما بين النهرين في جوار ديار بكر في جنوبيّها على ضفّة الفرات الشماليّة من الرقّة والرصافة الى جهات سنجار وانحاء الموصل. عاش في اواخر القرن الاوّل ثمّ اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الاوّل من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفهِ عُمَر بن عبد العزيز

﴿دينهُ﴾ صرّح بهِ ايضاً صاحب الاغاني بقولهِ (١٠: ٩٨): «وكان نصرانيّاً وعلى ذلك مات». ومثلهُ قال صاحب الحماسة البصريّة (١: ٨٧): «وكان نصرانيّاً»

﴿اخبارهُ﴾ لم نعرف من اخبار اعشى بني تغلب الّا النزر القليل. وانّما يُستدلّ

١) اطلب ترجمتهُ في كتابنا شعراء النصرانيّة في الجاهليّة (٣٥٧-٣٩٩)

من هذا القليل على علوّ مرتبتهِ . فمن ذلك انهُ حظي عند خلفاء بني امية وعند اعيان زمانهِ . روى ابو الفرج عن ابن حبيب وابي عمرو (١٠ : ٩٩) انّ الوليد بن عبد الملك كان محسناً الى اعشى بني تغلب . وقد مدح مسلمةَ بن عبد الملك اخا الوليد وصاحب الغزوات الكثيرة المتوفى في سنة ١٢٣ هـ (٧٤٢م) . وكذلك مدح بعض وجوه زمانهِ كمُدْرِك بن عبدالله الكنانيّ

﴿اخلاقهُ﴾ كان اعشى التغلبيّ ابيًّا فظّ الطباع ذا نخوة لا يرضى بالهوان فمن ذلك ما حدّث بهِ محمّد بن حبيب عن ابي عمرو الشيبانيّ (الاغاني ١٠ : ٩٨) قال : « كان اعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم فشربا يوماً في بستان لهُ بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحرُّ بجواريهِ فدخلنَ عليهِ قبّتهُ واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القبّة فمانَعهُ الخدم ودافَعهم حتى كاد ان يهجم على الحرّ مع جواريهِ فلطمَهُ خصيٌّ منهم . فخرج الاعشى الى قومهِ فقال لهم : لطمني الحرُّ فوثب معهُ رجلٌ من بني تغلب يقال لهُ ابن ادعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن ابي سعدة فاقتحما الحائط وهجيا على الحرّ حتى لطمهُ الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى (من الوافر) :

كأنّي وابنَ أدْعجَ اذ دخَلْنا على قُرَشيّكَ الوَرِعِ الجَبَانِ
هِزَبْرًا غابةٍ وَقَصا حمارًا فظلّا حولهُ يتناهشانِ
انا الجُشَميُّ من جُشَم بن بكرٍ عشيّةَ رُعْتُ وجهَكَ بالبَنانِ (١
فما يَسْطيعُ ذو مَلْكٍ عِقابي اذا اجترَمَتْ يدي وجَنَى لساني
عشيّةَ غاب عنك بنو هشامٍ وعثمانُ أَسْتُها وبنو أَبانِ
تروحُ الى منازلنا قريشٌ وانتَ مُخيّمٌ بالزَّرْقانِ (٢

والحرُّ المذكور هو الامير ابن يوسف بن يحيى بن الحكم بن ابي العاص بن امية من وجوه قريش واليهِ يُنسب نهر الحرّ بالموصل لانهُ حفرهُ (التاج) . وقد ولي مصر

١) اي لطمتُك . وقولهُ « انا جُشَميّ » اي مثلي يفعل ذلك بمثلك (الاغاني)
٢) (قال) الزرقان قرية كانت للحرّ بسنجار

ثلاث سنين من قبل هشام سنة ١٠٥—١٠٨ه‍(٧٢٣—٧٢٦م) . وروى ايضاً ابن حبيب عن ابي عمرو قال (الاغاني ١٠ : ٩٩) : «وكان الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليهِ يمدحهُ فلم يعطهِ شيئاً وقال : « ما ارى للشعر في بيت المال حقًّا ولو كان لهم فيهِ حقٌّ لما كان لك لأنك امرؤٌ نصرانيٌّ » فانصرف الاعشى وهو يقول (الحماسة البصريّة ١ : ٨٧) (من الطويل) :

لَعَمري لقد عاش الوليدُ حياتَهُ إمامَ هُدًى لا مُستزادٌ ولا نَزْرُ

كأنَّ بني مَرْوانَ بعد وَليدِهم(١ جَلاميدُ لا تَنْدى(٢ولو بَلَّها القَطْرُ

وكانوا أُناساً يَنْتَحُوْن فأصبحوا وأكثرُ ما يُعطونك النظَرُ الشَّزْرُ

أَلم يكُ عذرًا ما فعلتم بشَمْعَلٍ وقد خاب من كانت أمانيَّهُ القَدْرُ

وكائنْ دفَعْنا عنكمُ من عظيمةٍ ولكن ابيتم لا وفاءٌ ولا شكرُ

فان تكفروا ما قد فعلتم فرُبَّما أُتيحَ لكم قَسْرًا بأسيافنا النَّصرُ

وشَمْعل المذكور هنا هو الشاعر الذي مرَّ وصفهُ الذي امر الخليفة الاموي بقَطْع جذوةٍ من فخذهِ اذ لم يشأ ان يجحد دينهُ النصرانيَّ (راجع الصفحة ١١٨—١٢٠ من العدد السابق) . وفي كتاب الاغاني يُنسب الى أعشى تغلب البيتان اللذان رويناهما هناك (ص ١٨٠)

وممَّا انشده اعشى تغلب قولهُ يذكر وقائع جرت بين بني تغلب وبين شيبان وكان مالك بن مسمع رئيس بني بكر معاوناً في بعضها لبني شيبان فقعد عنهم فقال الاعشى في ذلك (من الطويل) :

بني أُمّنا مهلًا فانَّ نفوسَنا تُميت عليكم عَتْبَها ومَصالَها

وترعى بلا جهلٍ قَرابة بينَنا وبينكمُ لمّا قطعتم وِصالها

جَزى الله شيباناً وتَيماً مَلامةً جزاءَ المُسيء سعيَها وفِعالَها

١) ويروى : بعد وفاتهِ ٢) ويروى : ما ينْدى

أَبَا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نفسُهُ وتَعْجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَهَا
أَأَوْقدتَ نارَ الحربِ حتى اذا بَدا لِنفسِك ما تَجني الحروبُ فَهالَها
نَزعتَ وقد جرَّدتَها ذاتَ منظرٍ قبيحٍ مَهينٍ حيثُ أَلْقت حَلالَها
أَلَسْنا اذا ما الحربُ شُبَّ سعيرُها وكان سفيحُ المشرفيِّ صِلالَها
أَجارَتَنا حِلٌّ لكم ان تُنازِلوا مَحارِمَها وأَنْ تُجيزوا حَلالَها
كذبتم يمينَ اللهِ حتى تُعاوِروا صدورَ العوالي بينَنا ونِصالَها
وحتّى ترى عينُ الذي كان شامتاً مَزاحفَ عَقرى بيننا ومَجالَها

﴿شعر الاعشى التغلبيّ﴾ انَّ القليل ممَّا بقي من شعر الاعشى التغلبيّ ينبئ بحسن ذوقهِ ومتانة نظمهِ ما يجعلُهُ اهلًا بشعراء زمانهِ المفلقين. وقد تغنَّى المغنُّون ببعض ما انتجتهُ قريحتهُ فمن ذلك ما روى لهُ صاحب الاغاني وهما البيتان التابعان (من الكامل) :

دارٌ لِقاتِلَة الغَرانق (١ ما بها غيرُ الوحوشِ خلَت لهُ وخَلا لَها
ظلَّت تُسائِلُ بالمُتيَّمِ ما بهِ (٢ وهي التي فعلَتْ بهِ أفعالَها

قال : «الشعر لاعشى بني تغلب من قصيدةٍ يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريرًا ويُعين الاخطل عليهِ. وفيه صوت والغناء لعبدالله بن العبَّاس . . وقد بقي من القصيدة المذكورة بعض الابيات رُويت في ديوان الاخطل (ص ٣٢٠—٣٢١ من طبعة الاب انطون صالحاني) وفي الحماسة البصريّة (٢ : ١١٧) وهي هذه :

رحلَتْ أُمامَةُ للفِراقِ جِمالَها كَيْما تَبِينُ وما تُحِبُّ (٣ زِيالَها
هذا النهارَ بَدا لها من هَمِّها ما بالُها بالليلِ زال زوالُها

١) ويروى : لقانصة الغرانق ٢) ويروى : ما لهُ ٣) رَحَلَ الجمَلَ حطَّ عليهِ الرحل. ويروى : رحلت سلامة. ورحلت سُمَيَّة. ويروى : فما تُريد

الحُسنُ آلَفها ببيت ضَجيعها   وتظَلُّ قاصِرَةً عليهِ ظِلالَها (١
ولَئن أُمَامَةُ فارقت او بدَّلَتْ   وُدًّا بودّك ما صَرَمْتَ حبالَها
ولَئن أُمامَةُ ودَّعَتْك ولم تَخُنْ   ما قد عَلمتَ لَتُدرِكَنَّ وِصالَها
إرْبَعْ على دِمَنٍ تَقادَم عهدُها   بالجَوْف واستلَبَ الزمانُ حِلالَها (٢
كانت تُريك اذا نظرتَ أمامها   مَجْرى السُّموطِ (٣ ومرَّةً خَلْخالَها
دَعْ ما مضى منها فرُبَّ مُدامةٍ   صهباء عاريةِ القَذى سَلْسالِها (٤
باكرتُها عند الصباح على نُجَى (٥   ووضعتُ غيرَ جِلالِها اثقالَها
صبَّحتُها غُرَّ الوجوهِ غَرانقاً   من تغلبَ الغَلْباء لا أسفالَها
إخسأْ اليك جريرُ انَّا معشرٌ   نِلْنا السماء (٦ نجومَها وهِلالَها
ما رامَنا مَلِكٌ يُقيم قَناتَنا   الَّا استبَحْنا خيلَهُ ورِجالَها

وممَّا رواهُ الجاحظ في البيان والتبيين(١ : ٢١٥)لاعشى بني تغلب (٧ ومثلهُ امين الدولة محمَّد الافطسيّ في كتاب المجموع اللفيف(Ms de Paris, 3388, ff. 147v) قولهُ (من البسيط) :

ما ضرَّ غازي نِزارٍ أن يُفارقَهُ   كلبٌ وجَرْم اذا ابناؤهُ اتَّفقوا
قالت قُضاعَةُ انَّا من ذوي يَمَنٍ   اللهُ يعلمُ ما بَرُّوا (٨ ولا صدَقوا

١) وفي الحماسة البصريّة بعد هذا « ظلَّت تسائل » البيت
٢) إرْبَع اي اعطِفْ وعُجْ . والجَوْف اسم مكان واصلهُ المطمئنّ من الارض . وبعد هذا البيتان اللذان فيهما الصوت «دارٌ لقاتلة . . . »ويروى : دِمَنْ لقاتلة الغرانق . . الّا الوحوش » الغرنوق طائر مائي ابيض يستعار للشاب الحسَن . ويروى : بكرَتْ تسائل والحِلال القوم النزول
٣) مجرى السُّموط اي موضع القلادة والعُنُق
٤) بالاقواء . السلسال الليّنة
٥) النّجى جمع نَجوَة المرتفع من الارض   ٦) ويروى : منّا السماء   ٧) وفي الاصل ابن ثعلبة . وهو غلط اصلحهُ الافطسي   ٨) وفي نسخة باريس : وما برُّوا

يزدادُ لحمُ المناقي (١ في منـازلنا   طِيباً اذا عزّ في اعدائنـا المَرَقُ
ومـا خطَبْنا الى قومٍ بنـاتِهمُ   إلّا بـأَرْعَنَ في حافـاتهِ الخِرَقُ

واليهِ نسب ابن عبد ربّهِ في وصف يوم ذي قار الابيات التالية في العقـد الفريد (٣ : ١١٧) وفيها ابيات تُروى في معلّقة عنترة (من الكامل) :

ولقـد رأيتُ اخاكَ عمرًا مرّةً   يَقْضي وضيعَتِهِ بذات العِجْرِمِ
في غمرة الموت التي لا تشتكي   غَمَراتِهـا الابطـالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
وكأنّمـا أقـدامُهم وأكـفُّهم   سِربٌ تَساقَطَ في خليجٍ مُفْعَمِ
لمّا سمعتُ دُعاةَ مُرّةَ قد علا   وابنَي ربيعةَ في العَجـاجِ الأَقتمِ
ومُحَـلِّمٌ يمشونَ تحت لِوائهم   والموتُ تحت لواءِ آلِ مُحَلِّمِ
لا يَصْرِفون عن الوغى بوجوههم   في كلّ سابغـةٍ كـلون العِظْلِمِ
ودعَتْ بنو امِّ الرقـاع فأقبلوا   عنـد اللقـاء بكل شاكٍ مُعْلَمِ
وسمعتُ يَشْكُرَ تدّعي بحُبَيِّبٍ   تحت العَجاجةِ وهي تقطرُ بالدمِ
يمشونَ في الحَلَقِ الجديد كما مشَتْ   أُسدُ العَرينِ بيومِ نحسٍ مُظْـلِمِ
والجمعُ من ذُهْلٍ كأنّ زُهاءَهم   جُرْبُ الجِمال يقودُها ابنـا قَشْعَمِ
والخيلُ من تحت العَجاج عَوابساً   وعلى مَناسِجِهـا سحائبُ من دمِ

وقال في الجاهليّـة يشكو ضرائب ومكوس ملوك العرب (كتاب الحيوان للجاحظ ٦ : ٤٤) (من الطويل) :

أَلا تستحي منّـا ملوكٌ وتتّقي   محـارِمَنا لا يبرأُ الدمُ بالدمِ

---

١) ويروى : لحمُ المنايا

وفي كلّ اسواقِ العراقِ إتاوةٌ ... وفي كلّ ما باعَ امرؤٌ مَكسُ دِرهمِ

وروى لهُ ايضاً (٥ : ١٦٩) في وصف القطا قال وهي أجود قصيدةٍ قيلَت في القطا (من الطويل) :

ثلاثٌ مَزَوْداتٍ يُجاذبُها القطا ... ترى الفرخَ في حافاتها يتحرّقُ

يظلُّ بها فرخُ القطاة كأنّهُ ... يتيمٌ يناجيهِ مواليهِ مُطرِقُ

بديْمومةٍ قد بات فيها وعينُهُ ... على موتهِ تُغضي مرارًا وتَرفقُ

شبيهٌ بلا شيءٍ هنالك شخصُهُ ... يواريهِ قِنْكٌ حولهُ مُتفلّقُ

لهُ مَحجَرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ ... وشِدقٌ بمِثل الزّعفرانِ مُخلّقُ

تُناجيهِ كحْلاءُ المدامعِ حُرّةٌ ... لها ذنَبٌ ساجٍ وجِيدٌ مطوّقُ

سَماكيّةٌ كُدريّةٌ عَرعريّةٌ ... شكاليّةٌ عفراءُ سمراءُ سَملَقُ

اذا غادرتْهُ تبتغي ما يُعيشُهُ ... كفاها رزاياها النجاءُ المُبنَّقُ

عدَتْ تستقي من منهلٍ ليس دونهُ ... مسيرةُ شهرٍ للقطا مُتعلَّقُ

لأزغبَ مطروحٍ بجَوزِ تَنوفةٍ ... تَلظّى سَموماً قيظُهُ فهو أورَقُ

تراهُ اذا أمسى وقد كاد جِلدُهُ ... من الحرِّ عن أوصالهِ يتمزّقُ

غدَتْ فاستقلّت ثمّ ولّت مُغيرةً ... بها حين تَزهاها الجناحانِ أولَقُ

تيمّمُ ضَحضاحاً من الماء قد بدَتْ ... دعاميصُهُ في الماء أطحَلُ أطرَقُ

فلمّا أتتهُ مُشْدَخِرًّا تقرّبتْ ... تَقرُّبَ مجنونٍ فتطفو وتغرقُ

تجرُّ وتُلقي في سِقاءٍ كأنّهُ ... من الحنظل العاميِّ جزءٌ مُفلّقُ

فلمّا ارتوتْ من مائها لم يكن لها ... اناةٌ وقد كادت من الرمي تبعقُ

طمَتْ طموةً صُعُدًا ومدَّتْ جِرانَها وطار كما طار السحابُ المحلِّقُ

هذا ما أمكننا جمعهُ من آثار ذلك الشاعر وكفى بهِ دليلًا على فضله

٥ أعشى بني ابي ربيعة

﴿اصلهُ ونسبهُ﴾ كان هذا الأعشى معاصرًا الأعشى تغلب يشبههُ في دينهِ وانتمائهِ الى الدولة الامويّة. اسمهُ عبدالله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وقد عُرف باعشى ربيعة او اعشى بني ابي ربيعة. وابو ربيعة احد اجدادهِ عُرف بالمُزْدلف قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٥): «سُمّي المزدلف لانهُ قال لقومهِ وهو في حرب: ازدلِفوا قِيدَ رمحي اي اقتربوا. وينتمي الاعشى الى بني شيبان الذين ثبتوا مدَّةً على نصرانيَّتهم بعد الاسلام. وكنيتهُ ابو عبدالله وجاء في حماسة ابي تمَّام (٢: ٧٧٣): اعشى بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم بنو أمامة. وامَّا السيوطي في المزهر (٢: ٢٢٩) فانهُ زعم انَّ اسم اعشى بني ربيعة صالحُ بن خارجة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (١٦: ١٦٠): «هو شاعر اسلاميّ (اي عاش بعد الجاهليَّة) من ساكني الكوفة وكان مروانيَّ المذهب شديد التعصُّب لبني اميَّة». وقدم الاعشى الشام ودخل على الخلفاء الامويين في دمشق فمدحهم ونال صِلاتهم وقد تردَّد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش الى أيَّام الوليد بن عبد الملك

ومن اخبار اعشى بني ابي ربيعة مع عبد الملك ما اخبرهُ في الاغاني (١٦: ١٦٣) قال: دخل اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشدهُ قولهُ (من الوافر):

رأيتُكَ أمسِ خيرَ بني مَعَدٍّ وانتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

وانت غدًا تزيد الضِعْفَ ضِعْفاً كذاك تزيد سادةُ عبدِ شمسِ

فقال لهُ: من ايّ بني ابي ربيعة انت؟ (قال) فقلت لهُ: من بني أُمامة. قال: فانَّ أُمامة ولد رجلين قيساً وحارثة فاحدُهما نَجَمَ والآخر خَمَلَ. (قال) فقلت: انا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر توَّجتهُ. (قال) فقام بمخصرةٍ في يدهِ فضربها في

بطني ثم قال: يا اخا بني ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا فاذا حدَّثتني فلا تكذبني . فجعلتُ لهُ عهداً ألّا احدّث قرشياً بكذب ابدًا

واخبر ايضاً ان اعشى دخل على عبدالله وهو يتردَّد في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يجدّ فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما لي اراك متلوّماً يُنهضك الحزم ويُقعدك العزم . وتُهمّ بالإقدام وتجنح الى الإحجام . انفُذْ لنصرتك وأمضِ رأيك وتوجّه الى عدوّك فجَدُّك مُقبل وجَدُّهُ مُدبر . واصحابهُ لهُ ماقتون ونحن لك محبُّون . وكَلِمتُهم متفرّقة وكلمتُنا عليك مجتمعة والله ما تُؤْتَى من ضعفِ جنانٍ ولا قلّة اعوان . ولا يثبّطك عنهُ ناصح ولا يحرّضك عليهِ غاشّ وقد قلت في ذلك ابياتاً . فقال : هاتِها فانك تنطق بلسانِ وَدُودٍ وقلب ناصح . فقلتُ (من الكامل) :

آلُ الزُّبَيْرِ من الخِلافة كالتي عجَلَ النتاجُ بحَمْلها فَأَحالَها
او كالضِعافِ من الحُمولةِ حُمِّلَتْ ما لا تُطيق فضيَّعت احمالَها
قوموا اليهم لا تناموا عنهمُ كم للغُواةِ أطلتمُ إمهالَها
انّ الخلافةَ فيكمُ لا فيهمِ ما زلتمُ أركانها وثِمالَها
أمسَوا على الخيرات قفلًا مُغلقاً فانهَضْ بيُمْنك فافتتحْ أقفالَها

فضحك عبد الملك وقال: «صدقت يا ابا عبدالله انَّ أبا خُبَيب (هذه كنية عبد الله ابن زُبير) اقْفَل دون كلّ خير ولا نتأخر عن مناجزتهِ ان شاء الله ونستعين الله عليهِ وهو حسبنا ونعم الوكيل» . وامر لهُ بصلةٍ سنيّة

وروى العبّاس بن هشام عن ابيهِ قال: قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال لهُ عبد الملك: «ما الذي بقيَ منك؟ قال انا الذي اقول(١ (من الطويل):

وما انا في أمري ولا في خصومتي بمهتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي(٢

١) وفي حماسة ابي تمام (ص٧٧٣) ان عبد الملك قال لهُ: يا ابا المغيرة ما بقي من شعرك؟ فقال: يا امير المؤمنين لقد بقي منهُ وذهبَ على انّي الذي اقول . . . ٢) ويروى:

وما انا في حقّي ولا في خليقتي بمهتضمٍ حقّي ولا قارعٍ قِرني

(قال) في حقّي اي في ما استحقّ من الناس

ولا مُسْلِمٍ مولايَ عنـد جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شرّ ما اجني (١

وانّ فؤادًا بين جنبَيَّ عـالمٌ ... بما ابصرَتْ عيني وما سمعَتْ أُذني

وفضّلني في الشعر واللُّبّ أنّني ... اقولُ على علمٍ واعرفُ ما اعني (٢

فاصبحتُ إن فضَّلتُ مَرْوانَ وابنَهُ ... على الناس قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا . وامر لهُ بعشرة آلاف درهم وعشرة تُخوت ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعهُ الف جريب وقال لهُ : امضِ الى زيد الكاتب يكتب لك بها واجرى لهُ على ثلثين عبلًا فاتى زيدًا فقال لهُ : ائتني غدًا . فأتاهُ فجعل يردّدهُ فقال لهُ (من الرجز) :

يا زيـدُ يا فَـداكَ كلُّ كاتبِ ... في النـاس بين حاضرٍ وغـائبِ

هل لك في حقٍّ عليك واجبِ ... في مثلـهِ يرغبُ كلُّ تاعب

وانت عَفٌّ طيّبُ المكـاسبِ ... مُبَرَّأٌ من عيبِ كلِّ عـائبِ

ولستَ ان كفيتَني وصاحبي ... طول غُـدوٍّ ورَواحٍ دائبِ

وسَدَّةُ البـاب وعُنفُ الحاجبِ ... من نعمـةٍ اسديتَهـا بخـائبِ

فأبطأ عليهِ زيد فاتى سفيان بن الابرد الكلبي فكلّمهُ سفيان فأبطأ عليهِ فعاد الى سفيان فقال لهُ (من البسيط) :

عُدْ اذ بدأتَ بحُسْنى فانت لها ... ولا تكنْ من كلام الناس هيّابا

واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فـانّ مِن شُفعـاء النـاس أذنابا

---

١) ويروى : من شرّ ما جرى . ويروى : ما جنى . (قال) اي اذا جنى ابن عمّي جناية لم اخذلهُ ولكني ادفع عنهُ ولا الزمهُ جنايتي . وفي هذين البيتين غناء لابراهيم الموصلي

٢) ويروى : وفضّلني في القول . . من اعني

فالى سفيان زيدًا الكاتب ولم يفارقه حتى قضى حاجتهُ . وذكر البلاذري في كتاب الاشراف (ص ٣٤٠ ,ed. Ahlwardt, Bd XI) انَّ اعشى بني ابي ربيعة قال شعرًا يحث فيهِ عبد الملك على بَيْعة الوليد وخَلع اخيهِ عبد العزيز (من المنسرح):

ابنُك أولى بمُلك والدهِ ... وعمُّهُ إذْ عَصاكَ مُطَّرَحُ

ورَّثت عثمانَ وابنَ حَربٍ ومَرْ ... وانَ وكلٌّ للهِ قد نَصَحوا

فمِشْ حميدًا واعمَلْ بسُنَّتهم ... تَكُنْ بخيرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

(قلنا) وهذه الابيات تُروى مع بعض اختلاف في الرواية لنابغة بني شيبان من جملة قصيدة طويلة (اطلب الصفحة ١٣٨—١٣٩)

وممّا روى ابو فراس عن خداش (الاغاني ١٦ : ١٦٣ حماسة ابي تمّام ٧٧٣) ان اعشى بني ربيعة دخل على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال (من الطويل):

أتينـا سُليمانَ الاميرَ نَزورهُ ... وكان امرءًا يُحْبَى ويُكرَمُ زائرُهْ

اذا كنتَ بالنَّجوى بهِ متفرِّدًا ... فلا الجودُ مُخْليهِ ولا البُخْلُ حاضرُهْ (١

كِلا شافعَيْ سوءالهِ من ضميرهِ ... عن الجهلِ ناهيهِ وبالحِلم آمِرُهْ (٢

فاعطاهُ واكرمهُ وامر كلَّ من كان بحضرتهِ من قومهِ ومواليهِ بصلتهِ فوصلوهُ فخرج وقد ملأ يديهِ

وكان الاعشى في الكوفة لمّا تولّى الحجّاج على العراق سنة ٧٤ هـ فوجد منهُ الحجّاج ما كرههُ . قال ابن حبيب (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : «كان الحجّاج قد جفا الاعشى واطّرحهُ لحالة كانت عند بشر بن مروان . فلمّا فرغ الحجّاج من حرب الجماجم(٣ ذكر فتنة ابن الاشعث وجعل يوبخ اهل العراق ويؤنبهم فقال من حضر من اهل البصرة :

١) قال في الحماسة (٧٧٤) : النجوى المسارّة . يقول : اذا وقعتَ في خاطرهِ وانفردت بمناجاتهِ فالجود نُصب عينيهِ والبخل غائب عن همّهِ

٢) وفي الاغاني : « فلا شافعي » وهو تصحيف . (قال) جعل للسوءال شافعين وكلاهما ينهاهُ عن البخل ويأمرهُ بالبذل

٣) الجماجم مكان قرب الكوفة عندهُ كانت وقعة محمّد ابن الاشعث مع الحجّاج سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) قيل انهُ دُعي بالجماجم لكثرة من قُتل بهِ فبُني من جماجمهم بناء

انَّ الريب والفتنة بدأ من اهل الكوفة وهم اوَّل من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال اهل الكوفة : لا بل اهل البصرة اوَّل مَنْ اظهر المعصية مع جرير بن هميان السّدوسي اذ جاء من الهند . واكثروا من ذلك فقام اعشى بني ابي ربيعة فقال : « أصلح الله الامير لا براءَ من ذنبٍ ولا ادّعاء على الله في عصمةٍ لاحد من المصرَين قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله الّا نصرَك وذلك انهم جزعوا وصبرتَ وكفروا وشكرتَ وغفرتَ اذ قدرتَ فوسعهم عفوُ الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا » . فسُرَّ الحجّاج بكلامهِ وقال لهُ جميلًا وقال : تهيَّأ للوفادة الى امير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحاً

وحدّث حمَّاد بن اسحاق عن ابيهِ قال (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : بلغ الحجّاج ان اعشى بني ابي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود (١ فغضب عليهِ فقال يعتذر اليهِ (من الطويل) :

أبيتُ كأنّي من حذار ابن يوسفٍ طريدُ دمٍ ضاقت عليهِ المَسالكُ
ولو غيرُ حجّاجٍ اراد ظُلامتي حمَتْني من الضيم السيوفُ الفواتكُ
وفِتْيانُ صدقٍ من ربيعةَ قَصْرةٍ اذا اختلفت يومَ اللقاء النيازكُ
يُحامون عن احسابهم بسيوفهم وارماحُهم واليومُ اسودُ حالكُ

فرضي عنهُ . وكان بين اهل الكوفة رجلٌ شهير بفضلهِ وكرمهِ وهو اسماء بن خارجة . اشتهر وفيهِ يقول عبدالله بن زبير يثني على جودهِ :

ألم ترَ انَّ الجود أرسل فانتقى حليفَ صفاء وانتلى لا يزايلهْ
تخيَّرَ اسماء بن حصنٍ فبُطّنت بفعل العلا أيمانُهُ وشمائلُهْ
ولا مَجد الّا مجدُ اسماء فوقَهُ ولا جَرْيَ الّا جَرْيُ اسماء فاضلُهْ
تراهُ اذا ما جئتَهُ متهلّلًا كأنك تعطيهِ الذي انت نائلُهْ

١) عبدالله بن الجارود العبديّ من اهل البصرة خالَفَ الحجّاج بن يوسف والي العراق في امرٍ وتبعهُ وجوه الناس فاقتتلوا قتلاً شديدًا فقُتل ابن الجارود وجماعة من اصحابهِ سنة ٧٥

ولو لم يكن في كفهِ غيرُ روحهِ لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهُ

وقد امتدح اعشى بني ابي ربيعة اسماء المذكور فأعطاهُ وكساهُ فقال (من الوافر) :

لأسماء بنِ خارجةَ بنِ حِصْنٍ على عِبْء النوائبِ والغَرامَهْ
أقلُّ تعلُّلاً يوماً وبُخلاً على السُّؤال من كعب بن مامَهْ (١
ومَصْقَلةَ الذي يبتاعُ بَيْعاً رَبيحاً فوق ناجيةَ بن سامَهْ (٢

ومن شعرهِ ما رواهُ لهُ الطبري في تاريخهِ يذكر يوم ذي قار الذي انتصر فيهِ العرب على العجم (من الوافر) :

ونحنُ غداةَ ذي قارٍ أقمْنا وقد شهدَ القبائلُ مُحْلبينا
وقد جاؤوا بها جَأْواء فَلْقاً مُلَمْلَمَةً كتائبُها طَحُونا
لِيوم كريهةٍ حتى تجلَّت ظِلالُ دُجاهُ عنَّا مُصْلتينا
فولَّوْنا الدوابرَ واتَّقَوْنا بنعمانَ بنِ زُرْعَةَ أكتَعينا
وذُذْنا عارِضَ الأحرارِ ورْدًا كما ورَدَ القَطا الثَّمَدَ المَعينا

واعلم انَّ اعشى بني ابي ربيعة يُدعى ايضاً «اعشى شيبان» فيُنسَب الى هذا ما ينسبهُ آخرون الى ذاك فهذا الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٥١) قد نسب الى اعشى بني شيبان ما رواهُ في الاغاني والحماسة لاعشى بني ابي ربيعة . ومن ثمَّ نظنُّ انَّ ما ينسب في بعض التآليف لاعشى بني شيبان هو لاعشى بني ربيعة الشيباني كالذي جاء مثلًا في تاريخ الطبري (٢ : ١١٧٧) وفي كتاب انساب الاشراف للبلاذري (ص٢١٣) :

١) كعب بن مامه هو الايادي الذي اعطى في البريّة حصّتهُ من الماء رجلًا طلبها منهُ فمات هو عطشاً وضُرب المثل بجودهِ ٢) مصقلة هو مَصْقلة بن هبيرة البكري (اطلب اخبارهُ في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٨٣٨-٨٤٢) . وناجية قبيلة من العرب ينسبون الى ناجية بن سامة وقيل بل ناجية امهم . قال الكلبيّ : جعل الاعشى ناجية رجلًا وهي امرأة لضرورة الشعر . والله اعلم

وهو في معنى مـا ذُكر سابقاً من اقوال اعشى بني ربيعة لعبـد الملك (من مجزوء الكامل) :

عرفَتْ قريشٌ (١ كلُّهـا لبني ابي العاصِ الإمارَهْ
لِأَبَرِّهـا وأحقِّهـا عند المَشورةِ بالإِشارَهْ
المـانِعين (٢ لِمـا وَلُوا والنّافعين ذوي الضرارَهْ
وهمُ احقُّهمُ بهـا (٣ عند الحَلاوةِ والمرارَهْ

وفي حماسة البحتري (ع ٤٨٣) قولهُ في الشماتة وعاقبتها (من الوافر) :

اذا ما المرءُ غالتْهُ شَعُوبٌ فما للشّامتين بهِ خُلودُ
وريبُ الدهر بالانسانِ جمٌّ ولا تُنْجي من التّلَفِ الجُدودُ

والى اعشى بني شيبان ينسَبُ ايضاً في بعض المخطوطات قولهُ في المقايسة بين امور الزمان (من السريع) :

يا أيهـا السائلُ عن مـا مضى من ريبِ هذا الزمنِ الـذاهبِ
ان كنت تبغي الـعلمَ او نحوَهُ او شاهـدًا يُخبر عن غـائبِ
اعـتَبِرِ الارضَ باسمائهـا واعتبرِ الصـاحبَ بالصاحبِ

وكذلك يُنسب الى اعشى شيبان في كتاب الكتّاب للصولي (ص ١٧٧) قولهُ (من البسيط) :

يا عمرو أقصِدْ نواكَ اللهُ بالرَّشَدِ وأقْرِ السلام على الأبقاء والقَصَدِ (٤
وبكِّ عيشاً تولّى بعـد جـدَّتهِ طابت أصائلُـهُ في ذلـك البَلَـدِ

---

١) ويروى : عرفت أُميَّةُ ٢) ويروى : والتابعين

٣) ويروى : وهمُ احقُّ بإرثها

٤) ورد هذا البيت في اللسان (٢٠ : ٣٢٢) وفي التاج (١٠ : ٢٧٩) وروايتهما : يا عمرو أحسِنْ . وروى في الصحاح : على الذُّلْفاء بالثَّمدِ . ويروى الزلفاء بالزاي . . على الأبقاء والثَّمدِ . قالوا : نواك الله اي حفظك وصحبك في سفرك

٦ مَرْقس الطائي

نضيف الى الاعشيَيْن التغلبيّ والشيبانيّ احدَ الطائيّين الذي عُرف في عهدهما وذكر في شعرهِ حرب الحروريّة في ايّام عليّ بن ابي طالب. ألا وهو مَرْقس الطائي . وكفى بأسمهِ دليلًا على نصرانيّتهِ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو احد بني طيّ اليمنيين الذين تكرّر ذكر تنصُّرهم (اطلب كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢ و ١٣٢—١٣٣) . امّا اسم مَرْقس هذا فذكرهُ في التاج (٤ : ١٦٣) فقال : « مَرْقس كمَقْعَد بفتح الميم والقاف ويقال بضمّ القاف مَرْقُس » . (قلنا) وهذا الصواب وهو اسم نصرانيّ صريح وتعريب اسم الانجيليّ الشهير القديس مَرْقُس (١ . (قال) « واسمهُ عبد الرحمان » (قلنا) وفي هذا دليل على انّ النصارى كانوا يتّخذون لهم اسمَين اسماً في العماد يدلّ على نصرانيّتهم واسماً آخر يُعرَفون بهِ . وهكذا كان يفعل بزماننا ايضاً كثيرون من النصارى . وقال في التاج انّ الصواب في اسمه « عبد الرحمان بن مَرْقُس » امّا في الحماسة فقال « انّ اسمهُ عبد الرحمان ولقبهُ مرقس »

وقد ذكر المبرّد نسبهُ في الكامل (٥٦٣—٥٦٤) وابو تمّام في الحماسة (ص٢٩٧) قالا : « كان من طيّ واسمهُ عبد الرحمان احد بني مَعْن بن عَتُود اخي بُحتُر ثم احد حُتَيّ (ويروى حُيَيّ) بن مَعن من بني طيّ كابي زُبيد السابق ذكرهُ وقد أجمع الكتبة كلهم بانهُ « شاعرٌ طائي » لكنّهم لم يرووا لهُ من الشعر الّا ابياتاً من الرجز اثبتها ابو تمّام في حماستهِ (ص ٥٦٣—٥٦٣) قالها في لقاء بني مَعْن الحَروريّة والحروريّة قوم من الخوارج قاتلوا عليّ بن ابي طالب مع نَجدة بن عامر الحنفيّ نُسبوا الى حَرُوراء قرية تبعد ميلَين عن الكوفة كانوا اجتمعوا فيها فقال مرقس يذكر قومهُ (من الرَّجز) :

قد قارَعَتْ مَعنٌ قِراعاً صُلْبا قِراعَ قومٍ يُحسنون الضَّرْبا

(١ ومن الشعراء النصارى الذين ذكرناهم سابقاً في « شعراء النصرانيّة » (ص ٢٨٢) المرقّش الاكبر . ولهُ ابن اخٍ يُعرف بالمرقّش الاصغر قالوا انهُ دُعي بذلك لبيت قالهُ :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَشَ في ظهر أديمٍ قلمْ

واملّ الصواب انّ « المرقّش » صورةٌ اخرى لاسم « مرقس »

تَرَى مع الروعِ الغُلامَ الشَّطْبا ... اذا أحسَّ وَجِعاً او كَرْبا (١

دَنا فما يزدادُ إلّا قُرْباً ... تَمرُّسَ الجَرْباءِ لاقتْ جُرْبا (٢

هذا ما امكنّا الوقوف عليهِ من اخبار وشعر هذا الطائيّ اثبتناهُ هنا مع قلّتهِ

٧ نابغة بني شيبان

﴿ اسمهُ ونسبهُ ﴾ ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) فقال : « اسمهُ عبدالله ابن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس بن سنان بن حمّاد بن جارية بن عمر بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن عليّ بن ابي بكر بن وائل » ثمّ أوصلهُ بربيعة بن نزار . وقد وقع بعض اختلاف باسمهِ ونسبهِ . قال السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) عن ابن دريد « نابغة بني شيبان جمل بن سعدانة » (كذا) . ودعاهُ الزمخشري في الكشّاف (ص ٤١) : « النابغة الذهليّ » وفرق بينهُ وبين النابغة الشيباني الذي يدعوهُ « جمل بن سعد » . ودعاهُ صاحب مجموعة المعاني (ص ١٤٠) « عبيدالله بن مخارق » وسمّاهُ كثيرون « مخارق » . وجاء في تاج العروس (٦ : ٣٢) انهُ « عبدالله بن مخارق بن سليم بن حصرة (وفي ديوانهِ : خضرة) بن قيس بن شيبان (لا سنان كما ورد في الاغاني) بن حمّاد بن حارثة (لا جارية كما ذُكر في الاغاني . وروى في ديوانهِ : « بن حارث ») ولم يذكر « ذهلًا » في السلسلة

﴿ جنسهُ ودينهُ ﴾ قال في الاغاني : انهُ « شاعر بَدَوي » . كان يُقيم كما نظنّ في حدود الشام مع قومهِ بني شيبان ويتردّد على مدنها . فهو يذكر في شعرهِ دمشق وبعلبك . امّا دينهُ فقال عنهُ ابو الفرج : « وكان فيما ارى نصرانيًّا لاني وجدتُهُ في شعرهِ يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى » . وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوَفَيات (Ms de Paris, 2432, f. 79) : « قيل انهُ كان نصرانيًّا » . ويدعوهُ عبد العزيز بن مروان (الاغاني ٦ : ١٥٢) « بابن النصرانيّة »

---

١) الشُطْب السَّبْط العظام الخفيف اللحم . (قال) واكثر ما يستعملون هذا الوصف بالماء يقولون فرسٌ شَطْبة   ٢) اي لا يتأخر عن الدنوّ من العدوّ بل يزداد مع الروع اقترابًا لمحاربتهِ . والتمرُّس التحكُّك . اي تمرُّس المِثْل بمثلهِ كالشاة الجرباء اذا لاقت مثلها

﴿زمانهُ واخبارهُ﴾ نبغ نابغة بني شيبان في اواخر القرن الاوَّل وفي القسم الاوَّل من القرن الثاني للهجرة اعني ختام القرن السابع وفي شطر من القرن الثامن للمسيح . قال صاحب الاغاني : « كان النابغة من شعراء الدولة الامويَّة وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني اميَّة يمدحهم فيجزلون عطاءهُ . . . ومدح عبدالملك بن مروان ومَنْ بعدهُ من ولدهِ »

ومن اخبارهِ مع عبدالملك (٦٥—٨٦ هـ = ٦٨٥—٧٠٥م) ما حدَّث بهِ العُمَري عن العُتْبي (الاغاني ٦ : ١٥١) والصفدي في فوات الوفيات قالا : لمَّا همَّ عبدالملك بخلع اخيهِ عبد العزيز وتولية الوليد ابنهِ العهدَ وكان نابغة بني شيبان منقطعاً الى عبدالملك دخل اليهِ في يوم حَفْل والناس حواليهِ وولدهُ قدَّامهُ فمَثَلَ بين يديهِ وانشدهُ قصيدة طويلة رواها جامع ديوانهِ واقتطف منها ابو الفرج والصفديّ بعضها هذا اوَّلها (من المنسرح) :

اشتَقْتَ وانهلَّ دمعُ عينك إذْ اضحى قِفارًا من اهلهِ (١ طَلَحُ
بسابسٌ دارُها ومَعدِنُها تُمسي خلاءً وما بها شَبَحُ
كأنَّهُ لم يكن بها احدٌ فالقلبُ من قَلْب مَنْ نأى قَرِحُ

ثم انتقل من وصف الاطلال الى ابتعادهِ عنها راكباً ناقتهُ السريعة فبلغت بهِ الى الممدوح فقال وهو يذكر انتصار عبدالملك على ابن الزبير ويحثُّهُ على تولية ابنه الوليد بعدهُ :

فكم وَرَدْنا من منهلٍ أبدٍ اعذبَ ما تستقي بهِ المُتُحُ
آمِلُ فضلًا من سيبِ منتجَعٍ اياهُ يَنوي الثناء والمِدَحُ
أزْحتَ عنَّا آلَ الزُّبَيْر ولو كانوا هم المالكين ما صَلَحوا (٢
تسوسُ اهلَ الإِسلام عُمْلَتُهم (٣ وانت عند الرحمان منتصحُ
إن تَلقَ بَلْوى فانت مُصطبرٌ (٤ وان تُلاقِ النُّعمى فلا فَرِحُ

١) وفي ديوانهِ : انشفتَ . . . من خلقٍ ٢) وفي الديوان : ولو كان امام سواك ما صلحوا ٣) العُمْلة والعمَلة أجر العمل ٤) وفي الديوان : فصابرٌ أنفٌ

ترمي بعَيْنَي أَرْوَى عـلى شُرَفٍ ... لم يُودِهِ عـائرٌ ولا لَمَحوا (١

تبينُ فيـهِ عُنقُ الأعاصي كما ... يبينُ يومـاً للنـاظر الصُّبُحُ

آلُ ابي العـاص اهـلُ مأثرةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخيرِ قـد نَفَحوا (٢

خيرُ قُريشٍ وهم أفـاضلُها ... في الجـدّ جـدٌّ وان هُمُ مَزَحوا

أرحَبُهـا ذَرعـاً وأخبرُهـا ... انتم (٣اذا القومُ في الوغى كَلَحوا

امّـا قُرَيشٌ فـانت وازعُها (٤ ... تكـفُّ من شَغْبهم اذا طَمَحوا

حَفِظتَ مـا ضيَّعوا وزَنـدَهمُ ... أوريتَ إنْ أصلدوا وان قَدَحوا (٥

منـاقبُ الخيرِ انت وارثُهـا ... والحمـدُ ذُخرٌ تُغلَى بهِ الرِبَحُ

آليتُ جُهْـدًا وصـادقٌ قَسَمي ... بربِّ عبدٍ تَجنُّـهُ الـكِرَحُ (٦

يَظَـلُّ يتلو الانجيـلَ يدرسهُ ... من خشيةِ الله قلبُهُ طَفِحُ (٧

لَابنِـكَ أَولى بمُلْـكِ والـدهِ ... وعَمُّهُ ان عصـاكَ مُطَّرَحُ (٨

داوُودُ عَدْلٌ فـاحكُمْ بسيرتهِ ... وآل مَرْوانَ كانوا قد نَصَحوا (٩

فهم خيـارٌ فـاعمَلْ بِسُنَّتهم ... وأحيَ بخيرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

راجع ما قلنا في ما رُوي من هذه الابيات لاعشى بني ربيعة (ص ١٣٢)

(قال) فتبسَّم عبدالملك ولم يتكلَّم في ذلك بإقرار ولا دَفع فعلم الناس انَّ رأيَهُ خَلعُ عبدالعزيز . وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة فقال : لقد ادخَلَ ابنُ النصرانيَّـة نفسهُ

١) وفي الديوان : لعينَيْ أَقنى . . لم يودهِ عائدٌ ولا لحٍ ٢) روى الصفدي : قد لقحوا ٣) وفي الديوان : واصبرها صبرًا ٤) وفي الاغاني : فانت وارثُها . تكفُّ عن صعبهم ٥) وفي الديوان : إذ اصلدوا وقد قدحوا

٦) وفي الاغاني تصفَّح هذا الشطر فرواهُ : لربِّ عبدالله يتصحوا . ورواهُ الصفدي : بربِّ عبدالله يتصحُ . والكِرَح جمع كِرْح وهو الدير وبيت الراهب ٧) وفي الديوان : فهو يتلو . قلبهُ فضحُ . وروى الصفدي : وقلبهُ قَرِحُ . وفي البيت شاهد على نصرانيَّة الشاعر

٨) وفي الاغاني : ونجمُ من قد عصاك ٩) وفي الاغاني : ثمّ ابنُ حرب فانّهم نصحوا

مدخلًا ضيّقاً واوردَها مَوْرِدًا خَطِرًا وباللهِ عليَّ لئن ظفرتُ بهِ لأَخضبنَّ قدمَهُ بدمهِ

وفي السنة ١٠١هـ(٧٢٠م) تولّى الخلافة يزيد بن عبدالملك فارسل اخاهُ مسيلمة لمحاربة يزيد بن المهلّب وكان الخليفة ناقمًا عليهِ وهو قد فرَّ من سجن سَلَفهِ عمر بن عبد العزيز وخرج مع آل المهلّب وتفاقم امرهُ فغلبهُ مسيلمة وقطع رأسهُ وارسلهُ الى يزيد اخيهِ سنة ١٠٢ (٧٢١م) فدخل النابغة الشيباني عليهِ وانشدهُ قصيدةً في تهنئتهِ بالفتح رواها جامع ديوانهِ وهي تزيد عن مئة بيت واختار منها صاحب الاغاني وصاحب الحماسة البصريّة وغيرهما بعض ابياتها . اوّلها (من الوافر) :

ألا طالَ التنظُّرُ والثواءُ ... وجاءَ الصيفُ وانكشَفَ الغِطاءُ

وليس يُقيمُ ذو شَجَنٍ مقيمٌ ... ولا يمضي اذا ابتُغيَ المَضاءُ (١

طِوالَ الدّهرِ إلّا في كتابٍ ... ومِقْدارٍ يوافقُهُ القَضاءُ (٢

فما يُعطى الحريصُ غِنًى لِحِرْصٍ ... وقد يُنْمى لذي الجودِ الثَّراءُ

وفي هذه القصيدة حِكَمٌ جليلة يروي الادباء ابياتاً منها يتمثّلون بها كقولهِ :

غِنى نفسٍ اذا استغنَتْ غَناءٌ ... وفقرُ النفس ما عَمِرَتْ شَقاءُ

اذا أستحيا الفتى ونَشَا بحِلْمٍ ... وسار الحيُّ خالفَهُ السَّناءُ

وليس يَوَدّ ذو ولدٍ ومالٍ ... خفيفَ الحِلم ليس لهُ حَياءُ

ومَنْ يكُ حَيِيّاً لم يلقَ بؤساً ... يُنِخْ يوماً بعَقْوتهِ البَلاءُ (٣

تَعاوَرُهُ بناتُ الدهر حتى ... تُثلِّمَهُ كما انثلَمَ الإناءُ

وكلُّ شديدةٍ نزلَتْ بحيٍّ ... سيأتي بعد شدّتها الرَّخاءُ

١) وفي الديوان : اذا ابتغا (كذا) ٢) وفي التاج(١٠ : ٢٩٦)بقدارٍ (قال) : والقضاء الحكمُ الفصل وأداء الدين ٣) روى في الحماسة البصريّة (١ : ٢٤٠) : ومن يكُ سالمًا . ويروى : ومن يكُ ذا حيًا . ويروى : «بحرمتهِ» بدل عقوتهِ

فقل للمتّقي عَرَضَ المنايا(١ | توَقَّ فليس يَنفعك اتّقاء
ولا تبكِ المصابَ فايُّ حيٍّ | اذا ما ماتَ يُحْييه البكاء
وقُلْ للنفس: مَنْ تُبْقي المنايا ؟ | فكلُّ الناس ليسَ لهم بقاء
تَعزَّيْ بالأسى في كلّ حيٍّ | فذلك حين ينفعها العَزاء
ستَفنى الراسياتُ وكلُّ نفسٍ | ومالٍ سوف يبلغُهُ الفناء
يُعمَّرُ ذو الزمانة وهو كَلٌّ | على الادنى وليس لهُ غَناء
ويَرْدَى المرء وهو عميدُ حيٍّ | ولو فادَوْهُ ما قُبِل الفداء
اذا حانت منيّتُهُ وأوصى | فليس لنفسهِ منها وَقاء
وكلُّ أُخوَّةٍ في الله تَبْقى | وليس يدومُ في الدنيا إخاء
أَصِبْ ذا الحلم منك بسَجْل وُدٍّ | وصِلْهُ لا يكن منك الجَفاء
ولا تَصل السفيهَ ولا تُجِبْهُ | فانَّ وصالَهُ داءٌ عَياء (٢
وانَّ فِراقَهُ في كلّ امرٍ | وصَرْمُ حبال(٣ خلّته شِفاء
وضيفكَ ما عَمرتَ فلا تُهِنْهُ | وآثِرْهُ وان قلَّ العَشاء
ولا تجعلْ طعامَ الليل ذُخرًا | حِذارَ غدٍ لكلّ غدٍ غِذاء
وكلُّ جِراحةٍ تُوسى فتَبرا | ولا يَبْرا اذا جرَحَ الهجاء
يؤثّر في القلوب لهُ كُلومٌ | كداء الموتِ ليس لهُ دواء
من الشعراء أكفاءٌ فُحولٌ | وفرّاثون إنْ نَطقوا أساءوا

١) وفي ديوانه : حَذَث المنايا ٢) كذا في حماسة البحتري (ع ٣٢٢) وفي الديوان : فانّ وصال ذي الخزيات داء ـ الخزية العيب ٣) وفي حماسة البحتري : وقطعُ حبال

فهل شِعْرانِ شعرُ غِناً وحُكمٍ ... وشعرٌ لا يَهيجَ بهِ سَواءُ
فان يكُ شاعرٌ يَعْوي فاني ... وجدتُ الكلبَ يقتُلهُ العَوَاءُ

وفيها يقول يمدح يزيد :

أؤمُّ فتًى من الاعياص مَلْكاً ... أغرَّ كأنَّ غُرَّتهُ ضِياءُ
لأُسمِعَهُ غريبَ الشعر مَدحاً ... وأثني حيث يتَّصلُ الثناءُ (١
يزيدُ الخيرِ وهو يزيدُ خيرًا ... وينمي كلّما ابتُغيَ النَّماءُ
الى الشُّمِّ الشَّمارخ من قُرَيشٍ ... تَجوَّبَ عن ذوائبها العَماءُ (٢
قريشٌ تبتغي المعروفَ قِدْماً ... وليس كما بَنَيتَ لها بناءُ
فَضَضْتَ كتائبَ الازديِّ فضاً ... بكَبْشك حين لَفَّهما اللقاءُ (٣
وعادتُهُ اذا لاقى كباشاً ... فناطَحَهنَّ قتلٌ واحتواءُ
أبدتَ عدوَّهم وعفوتَ عفواً ... به حُقِنَتْ من الناسِ الدماءُ
سَمَكْتَ لهم بإذنِ الله مُلكاً ... كما سُمِكَتْ على الارضِ السماءُ
واحيَيْتَ العطاءَ وكان مَيْتاً ... ولا والله ما يُحمى العطاءُ
ففي كلِّ القبائلِ من مَعَدٍّ ... ومن يَمَنٍ له ايضاً حِباءُ
وَصَلْتَ اخاكَ وهو وليُّ عهدٍ ... وعند الله في الصلة الجزاءُ
نُرَجّي ان تكون لنا إماماً ... وفي مُلكِ الوليد لنا الرجاءُ (٤
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ ... تريد لك الغناءَ لك الفداءُ (٥

١) وفي الديوان : غريب الشعر غرًّا . حيث يتّصلُ ٢) قال ويروى : يجوبُ على دوائبها العماء . والعماء السحاب الرقيق ٣) يريد يزيد بن المهلب . ويروى : بكبشك وهو بغيتهُ اللقاءُ ٤) اراد الوليد ابن الخليفة يرجو لهُ الخلافة بعد ابيهِ بعد حقوق اخوي الخليفة هشام والوليد ابني عبد الملك ٥) في الاغاني : تريد لك الفناء (كذا)

وانت ابنُ الخلائفِ من قُريشٍ نَموكَ وفي عَداوتهم إباءُ
إمامُ الناس لا ضَرْعٌ صغيرٌ ولا قَحْمٌ يُثلِّمُهُ الزكاءُ
على الأَعياص عندك حين تُغني لمتدحٍ من الثمن الغَلاءُ
ومحتبطين من بلدٍ بعيدٍ عَبَأْتَ لهم سِجالكَ حين جاؤُوا
كشفتَ الفقرَ والإقتار عنهم فنالوا الخير وانكشفَ الغطاءُ
فعيصُكَ خيرُ عيص في قريشٍ وهم من كلّ سَيِّئاتٍ بَرَاءُ
أولاك السابقونَ بكل خيرٍ اذا كَذَبَ المسبِّقَةَ البِطاءُ

وقد روى البحتري في حماسته (ع ١٢٢٤) بيتين من هذه القصيدة لم نجدهما في الديوان وهما :

وكائنْ قد تراهُ يُسِرُّ أمرًا عليهِ من سريرتهِ لِوَاءُ
ومُظهرٍ عارفٍ ومُسِرّ سوءٍ وما يَمحو سريرتَهُ الرِّثاءُ

قال ابو الفرج(٦ : ١٥٢) : فامر له (يزيد) بمائة ناقة من نَعَم بني كَلْب وأن تُوقَر لهُ بُرًّا وزبيباً وكساهُ واجزل صِلتَهُ

(قال) ووفد النابغة الى هشام لما وليَ الخلافة (١٠٥—١٢٥هـ = ٧٢٤—٧٤٣م) فلمّا رآهُ زجرهُ وشتمهُ ثمَّ قال : الستَ القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لك الفَناءَ لكَ الفداءُ

أخرجوهُ عني والله لا يرزأني شيئاً ابدًا . وحرمهُ ولم يزل أيامــهُ طريدًا حتى ولي الوليد بن يزيد (١٢٥—١٢٦ هـ = ٧٤٣—٧٤٤ م) فوفد اليــهِ ومدحهُ مدائح كثيرة فأجزل صِلتهُ

وممّا اخبرهُ في الاغاني (٦ : ١٥٣) انَّ ابا كامل مولى الوليــد بن يزيد غنَّى يوماً بحضرتهِ ابياتاً في مديح الخمرة فسأل الوليد عن قائل هذا الشعرفقيل نابغة بني شيبان

فامر باحضارهِ فاحضرهُ فاستنشدهُ القصيدةَ فانشدهُ ايَّاها وظنَّ انَّ فيها مدحاً لهُ فاذا هو يفتخر بقومهِ ويمدحهم فقال لهُ الوليد: لو سَعَدَ جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ. ووصلهُ وانصرف. واوَّل هذه القصيدة (من الرمل):

حلَّ قلبي من سُلَيمى نَبْلُها　　اذ رمَتْني بسِهامٍ لم تَطِشْ

وفيها وصفُ الخمرة:

أيُّها الساقي سقَتْك مُزْنَةٌ (١　　من ربيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشْ
إمدَحِ الكأسَ ومَن أعمَلَها　　واهجُ قوماً قتَلونا بالعطَشْ
انَّما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ　　فاذا ما غابَ عنَّا لم نَعِشْ (٢
وكأنَّ الشَّربَ قومٌ مُوِّتوا　　مَن يَقُم منهم لأَمرٍ يرتعش
خُرُسُ الأَلسُن ممَّا نالَهمَ　　بين مصدوعٍ وصاحٍ مُنتَعِشْ (٣
من حُمَيَّا قَرْقَفٍ حُصِّيَةٍ　　قهوةٍ حَوليَّةٍ لم تمتَحِشْ (٤
ينفعُ المزكومَ منها ريحُها　　ثمَّ تشفي داءهُ ان لم تَنِشْ (٥
كلَّ من يشربُها يألَفُها　　يُنفق الاموالَ فيها كلُّ هَشْ

وفيها يقول مفتخرًا بقومهِ بني شيبان:

---

١) وفي الديوان: سقتْهُ مزنةٌ　　٢) في هذين البيتين غناء لابي كامل قال في الاغاني: «ولحنُهُ المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسمّيهِ الناس اليوم الماخوري»

٣) وفي الديوان: ممّا صاجهم. وفي الاغاني: بين مصروعٍ　　٤) الحُصِّيَّة اي الشبيهة بالحصّ وهو الزعفران. ولم تمتحش لم تصبها النار

٥) وفي الاغاني: تنفي داءهُ. قال في الديوان: لم تَنِش من النَّشوة. وفي قولهِ نظر. لان النَّشوة من نَشَا نَشْوا اي سكر. ونشَّ هنا مضاعف يقال نشَّ النبيذ اذا غلى وذهب ماؤهُ

وبنو شيبـانَ حولي عُصَبٌ ... منهمُ غُلْبٌ وليسوا بالقُمُشْ (١

ورَدوا المَجْد وكانوا اهلَـهُ ... فروَوْا والمجدُ عافٍ لم يُنَشْ (٢

وترى الجُرْدَ لـدى أبياتهم ... كرِبابٍ بين صَلصال وجَشّ (٣

فيها يَحْوون اموال العـدى ... ويصيدون عليها كلّ وَحْشْ

دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم ... بالرُّدَينيّات والخيـلِ النُّجُشْ

نُنْهِل الخَطّيَّ من اعدائنـا ... ثمّ نفري الهامَ إن لم تَفْتَرِشْ (٤

ذاك قولي وثنـائي وهمُ ... اهلُ ودّي خالصاً في غير غِشّ

فسَلُوا شيبانَ ان فارقتُهم ... يوم يمشون الى قبري بنَعْشْ

هل غَشِينا مَحْرماً من قومنا ... او جزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

ما احسن هذا الختام وفيهِ دليل واضح على نصرانيّة شيبان العاملين بوصيّـة السيد المسيح وامرهِ بمحبّة الاعداء.

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٤) وممّا يُغَنّى فيهِ من شعر نابغـة شيبان وذكر يونس انّ فيهِ لحناً آخر لابن عائشة. والقصيدة في ديوان النابغة تُنيف على ستين بيتاً اختار منهـا في الاغاني ثانية وننتقي منها ما يلي (من مجزوء الرمل) :

ذرَفَتْ عيني دموعاً ... من رُسومٍ بحَفِيرِ

مُوحِشاتٍ طامساتٍ ... مثـل آيات الزَّبُورِ

غَيَّرَتها في سُفورٍ ... مَرُّ ايّام الـدهورِ

١) وفي الديوان : حولي منهم تَحالُفٌ . والقُمُش الرعائف ٢) ويروى : والجودُ عافٍ . لم يُنَش اي لم يُنَل ولم ينقص ٣) وفي الديوان : وترى الخيل . . . كلّ جرداء وشاحيٍّ همش ٤) اي نسقي في الحرب رماحَنا الخطّيّة من دماء اعدائنا ثمّ نقطع رؤوسهم ان لم تخضع لنا

جادَها كلُّ مُلِثّ ذي اهاضِيبَ مَطيرِ
واذا النَّكباءُ هاجت لَعِبتْ فيها بِمُورِ
وَجَنُوبٌ وشَمالٌ وَصَباً بعد الدَّبورِ
قد اذاعَتْ برسومٍ لا تَبينُ لِبَصيرِ
بُدِلَ الرَّبعُ وحوشاً من كبيرٍ وصغيرِ
ذاك من بعد حِلالٍ وأنيسٍ وعُمورِ
وهِجانٍ وقيانٍ وقِبابٍ كالقصورِ
وخُيولٍ أرِنَاتٍ من إناثٍ وذكورِ
وَسَماحيجَ سِراعٍ مثلَ عُقبانٍ كُسورِ
وحِسانٍ آنساتٍ وعَذارى في خُدورِ
قاصراتٍ ناعماتٍ في نعيمٍ وسرورِ
ليس من يذكرُ هذا يا لَقومٍ بصَبُورِ
وكهولٍ قد أراهم كخضاريمِ البُحورِ
ورجالٍ لم يَشيبوا وشَباب كالصُقورِ
كم تَرى فيهم نَديّاً من رئيسٍ كالاميرِ
ذي عَطاءٍ وغَناءٍ مُحْسنٍ نَسْجَ الامورِ
قائدٍ جيشاً هُماماً عند حلٍّ ومَسيرِ
لَجِباً يُسمِعُ رِزّاً عند طعنٍ ونفيرِ

فـاذا تَندو شبـاباً كلُّ ميمونٍ هَصُورِ
ركبوا كلَّ عَلَندًى ذي أفانينَ صَبُورِ
فـاذا لاقوا اسودًا أوعدَتْ أسدًا بزيرِ
طاعنوا بعد رِمـاءٍ وضِرابٍ بالذكورِ
ومن النـاسِ غنيٌّ ذو سَوامٍ وقُـدورِ
ووسيطٌ في زَمـاعٍ ذو معـاشٍ وفقيرِ
كلُّ باغي الخير يوماً راكبُ الهَولِ الكبيرِ

﴿شعرهُ﴾ استحقَّ عبدالله بن مخارق الشيبـاني ان يدعوهُ قومهُ نابغةً لجودة شعرهِ الجامع بين المتانة والانسجام . وديوانهُ قد نجا من آفات الـدهر منهُ نسخةٌ في مكتبة مصر المعروفة سابقاً بالخديويَّة عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة . وهي تتألَّف من ٤٦ صحيفة اعني ٩٢ صفحة وفي الصفحة ١٥ بيتاً ومجموع قصائد الديوان عشرون عدًّا . على انَّ هذه النسخة سقيمة لا بُدَّ من نسخةٍ ثانية لإصلاح ما وقع فيها من التصحيف والتحريف . وهـا نحن نروي منها بعض المقاطيع التي تشهد لقائلهـا بالذكاء والقريحة الشعريَّة . وقد وجدنا في كتب الادباء ابياتاً ومقاطيع ليست في هذا الديوان فنروي منها ما نرى من ايرادهِ فائدةً . فمن شعر النابغة الشيباني المختار قصيدتهُ البائيَّة في مديح يزيد بن عبدالملك اوَّلها (من البسيط) :

بان الخَليطُ فشَطُّوا بالرَّعـابيبِ وهنَّ يُؤْبَنَّ بعـد الحسن بالطِيبِ
فهيَّجوا الشوقَ اذ خَفَّتْ نَعامتُهم وأورثوا القلبَ صَدْعاًغيرَ مَشعوبِ

وهي طويلة منها قولهُ في كوارث الدهر :

ما يَطلُبِ الدهرُ تُدرِكْهُ مَخـالبُهُ والدهرُ بالوِترِ ناجٍ غيرُ مغلوبِ

يُبلي الشبابَ فينفي الشيبُ بَهجتَهُ والدهرُ ذو العُوص يأتي بالاعاجيبِ
هل من أُناسٍ أُولي مجدٍ ومأثُرَةٍ إلاَّ يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذيبِ
حتى يُصيبَ على عهدٍ خِيارَهُمُ بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصاييبِ
انّي وجدتُ سهامَ الموتِ مَعْدِنُها بكل حَتْمٍ من الآجال مكتوبِ
والدهرُ حالانِ همٌّ بعدَهُ فَرَحٌ وفَرْحَةٌ بعدها همٌّ بتغييبِ
من يَلْقَ بَلوى يَنَلْهُ بعدَها فرَجٌ والناس من بينِ ذي رَوْحٍ ومكروبِ
وبينِ داعٍ الى رُشْدٍ صحابَتَهُ وبينِ غادٍ وذي مالٍ ومحروبِ
والعيشُ طِبْيانِ طِبْيٌ ثَرٌّ حالِبُهُ وطِبْيٌ جَدّاءُ ذاوٍ غيرُ مَحْلوبِ

ومن حِكَمها المصيبة :

عاتبْ أخاكَ ولا تُكْثِرْ مَلامَتَهُ وزُرْ صديقَكَ رِسْلًا بعد تغييبِ
وان غُنيتَ بمعروفٍ فقُلْ حسناً ولا تَهُنْ عن ذوي ضِغْنٍ لتهييبِ
لا تحمَدَنَّ امرءًا[١] حتى تجرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّهُ من غير تجريبِ
انَّ الغلام مطيعٌ مَن يؤدِّبُهُ ولا يُطيعُك ذو شَيْب لتأديبِ

ومنها في مدح يزيد :

وان رحلتَ الى مَلْكٍ لتمدحَهُ فارْحَلْ بشِعْرٍ نقيٍّ غيرِ مَخشوبِ
وامدَحْ يزيد ولا تَظْهَرْ بمِدْحتِهِ وقُدْ اوائلَها قَوْدًا بتشبيبِ
انَّ الخليفةَ فرعٌ حين تَنسُبُهُ من الأعاصر هَيْجا غيرَ مَنسوبِ
يَنْميهِ حَرْبٌ ومَرْوانٌ وأصلُها الى جراثيمِ مجدٍ غيرِ مأشوبِ

[١] ويروى : لا تمدحنَّ فتًى

نَمَالكَ أَرْبَعَةٌ كانوا ائتَمَنا فكان مُلكك حقًّا ليس بالحُوبِ(١

اعطاكَ مُلكاً وتقوَى انت سائلُهُ بعد الفضائلِ مَن أوخى الى النُّوبِ(٢

أَبلجُ كالبَدْرِ عالي الهمّ مختلِفٌ يُنمَى الى الأَبطحيَّات المصاعيبِ

بحرٌ نمَتْهُ بُحورٌ غيرُ ساجيةٍ تلك المخاصيبُ ابناء المخاصيبِ

قومٌ بمكَّةَ في بطحائها وُلدوا ابناء مكَّةَ ليسوا بالأعاريبِ

الاكثرونَ اذا ما سال مَوجُهمُ بكلِّ أصيَدَ سامي الطَّرفِ هَبهوبِ(٣

والضاربون من الابطال هامَهمُ ضرباً طِلَخْفاً وَوَهْكاً غيرَ تذبيبِ(٤

انت ابن عاتكةَ الميمونِ طائرُها امِّ الملوك بني العزّ المناجيبِ

اذا الملوك جرت يوماً لمَكرُمةٍ جَرْيَ المحاضيرِ حُثَّتْ بالكلاليبِ

جريتَ جَرْيَ عتيقٍ لم يكن وَكِلًا بَذِّ العَناجيجِ سبقاً غيرَ مضروبِ

ومن قصائده الغرّاء داليّتهُ الشهيرة التي اوّلها (من الوافر) :

أتصرِمُ أم تُواصِلُك النَّجُودُ (٥ وليس لها وإن وصلَتْك جُودُ

وفيها يقول في وصف حدثان الدهر :

وعَوضُ الدهر بالانسانِ جَمٌّ فما للشامتين بهِ خُلودُ

وكلُّ مُنعَّمٍ واخي شقاءٍ ومُثْرٍ والمُقِلُّ معاً يَبيدُ

اذا ما ليلةٌ مرَّتْ ويومٌ أتى يومٌ وليلتُهُ جديدُ

---

١) الحوب الإثم ٢) النُّوب النحل ٣) الهبهوب الخفيف

٤) الطلخف والطِلِخْف الشديد . وَهَكَهُ هَذَهُ

٥) النجود المرأة العاقلة النبيلة

أَباد الأَوَّلين وكلَّ قِرْنٍ ... وعادًا مثل ما بادت ثَمُودُ

ولا يُنجي من الآجالِ ارضٌ ... يُحَلُّ بها ولا القَصْرُ المَشيدُ

ولا يُحْيي الجبانَ حِذارُ موتٍ ... ويَبلغُ عُمْرَهُ البَطَلُ النَّجيدُ

ومنها في مدح التقى ومصاحبة الأخيار :

ولستُ ارى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ

وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخْرًا ... وعند الله للأتقى مَزيدُ

فصاحِبْ كلَّ أَروعَ دَهْثَميٍّ (١ ... ولا يَصْحَبْكَ ذو الجَهْلِ البَليدُ

يرى ما نال غُنْماً كلَّ يومٍ ... صَفاةٌ حين تَخْبُرُهُ صَليدُ

وشرُّ مُصاحِبٍ خَلْفٌ قَسِيٌّ ... ونِعْمَ الصاحبُ الخُلقُ السديدُ

ومن هجائها :

فما بالي وبالُ بني لَكاعٍ ... عليَّ لهم اذا شَبِعوا فَديدُ

اذا ما غبتُ عنهمُ أَوْعدوني ... وايُّ الناسِ يقتُلُهُ الوَعيدُ

متى ما يسمعوا رِزّي يدينوا (٢ ... كما دانت لسيِّدها اليهودُ

كأَنَّهمُ لقد جَشِعوا وذَلُّوا ... مخافَةَ أن أُجدِّعَهم سُجودُ

بَهَرْتُهمُ وأَفْحِمَ ناطِقوهم ... كما بَهَرَ المُحَمَّلَةَ الصُّعودُ (٣

ومن فخرها قولهُ في بني شيبان :

---

١) الدهثميّ السَّهل الخُلق الليّن العريكة

٢) الرزّ الصوت الخفيف تسمعهُ من بعيد

٣) شبَّه اعداءهُ بالابل الموقورة تكلُّ صعودًا . ويروى : وأُفحمُ ناطقيهم

نفى عني العــدوَّ قُرَاسِياتٌ (١ قُروم من بني شَيبــانَ صِيـدُ
فمنهم حين تَنتطح النواحي اذا اُذْكِرَ المـآثِرُ والعَديـدُ
فقرونٌ وحــارثــةُ بنُ عمروٍ هما الفرعــانِ مجدُهما تَليـدُ (٢
وَبِسْطــامٌ تَغمَّــطَ والمُثنَّى بهِ قُضَّتْ من الفُرْس الجُنودُ (٣
وعوفُ (٤ المأثُرَاتِ وكلِّ عهدٍ وَفيٌّ حين تُنتَقَــضُ العهودُ
وذو المــأنى ابو حربِ بنِ عَوفٍ مَعاذَتُهُ تُفَــكُّ بهــا القُيودُ (٥
وكان الحَوفزانُ شِهــابَ حربٍ رئيسَ النــاس مُتَّبَعــاً يقودُ (٦
وفكــاكُ العُنــاة ابو ثُبَيْتٍ يزيدٌ بعدَهُ منَّــا يزيــدُ (٧
وعُدَّ أبا الوَجيهــةِ في نُجومٍ نجومُ حُمَّةٌ تلــك السعودُ (٨
قَبيصَةُ وابنُ ذي الجَدَّين فيهم (٩ وأشرسُ والمُحَيَّةُ (١٠ والشريدُ (١١
وعمروٌ والأغنُّ عميــدُ حيٍّ وكلٌّ في أَرُومتهِ عَميدُ (١٢

١) القُراسيات الابل الشديدة الضخمة شبَّه بها قومَهُ ٢) هما مفروق من بني ابي ربيعة وحارثة بن عمرو بن ابي ربيعة الشيباني ذو التاج كان على بكر بن وائل يوم أُوارة حين قاتلوا المنذر بن ماء السماء ٣) هو بسطام ذو الجدَّين. والمثنّى هو ابن حارثة الشيباني ٤) عوف من بني هند ٥) جاء في اصل الديوان: المأنى الانتظار. والمأنى جدّ الأناة والحلم. معاذَتهُ اي كان الرجل اذا أَثِرَهُ قال: عُذتُ بفلان وابو حرب هو ابن عوف من بني هند ٦) هو الحوفزان بن شريك واسمهُ الحارث. وابوهُ شريك بن مَطَر من من بن زائدة كان أكبر الناس عند المنذر (الاشتقاق لابن دريد)

٧) ابو ثُبَيت هو يزيد بن مسهر من بني همام بن مرَّة. ويزيد ابو حوشب ابنهُ

٨) ابو الوجيهة ركضة بن ركضة بن النعمن وهو من بني سعيد بن همام بن قبيصة بن ابي ربيعة ٩) قال ابن الاثير في المرصَّع (ص ٧٠): « ذو الجدَّين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني وهو والد بسطام بن قيس سُمّي بهِ لانهُ كان أَسَرَ اسيرًا اهُ فداهُ كبير فقال رجلٌ: انهُ لذو جَدّ في الأَسر اي حظّ فقال آخر: انهُ لذو جَدَّين

١٠) وأشرس من بني هند. والمحيَّة من بني ربيعة ١١) الشريد من بني مرَّة بن همام وهو خالد بن السفاحة من بني مرَّة ١٢) الأغنّ احد بني حارثة بن وهل ابو حماس بن زيد بن خُلَيد احد بني الورثة

وسادَ ابنُ القُرَيمِ وكان قَرْماً أخا حربٍ يُشَبُّ لها الوَقودُ(١
وحَمَّالُ المِئينَ ابو حِماسٍ اناب بها اذا ضَلِعَ اللَّهيدُ
وجادَ ابنُ الحُصَيْنِ وكان بحرًا وللمَزْهازِ عند الجَهْدِ جُودُ (٢
ومَصْقَلَةُ الذي أجدى وأعطى لهُ من مَدِّ عافيَةٍ وُرودُ (٣
بهِ عُتِقَ السَّبايا بعد رِقٍّ اذا أَبْطَتْ فِكاكَهُمُ الوُفودُ
جلودُهُمُ من العَثَراتِ مُلْسٌ نقيَّاتٌ اذا دَنِسَ الجُلودُ
أولئك أُسرتي سأذودُ عنهم اذا ما خامَ عنهمُ مَن يَذُودُ
بغُرٍّ من قوافٍ نافذاتٍ جَوارحَ في الصُّدورِ لها خُدودُ
فخيرُ الشعرِ أكرمُهُ رجالاً وشرُّ الشعرِ ما نطقَ العبيدُ

وللنابغة من قصيدة يذكر فيها الخالق عزَّ وجلَّ ويحضُّ الانسان على الصلاح (من الطويل) :

وتُعجبني اللذّاتُ ثم تَعوجُني وتَسْتُرني عنها من الله ساترُ
فقلتُ وقد مرَّت حتوفٌ بأهلها ألا ليس شيءٌ غيرَ ربّيَ غابرُ
هوالباطنُ الربُّ اللطيفُ مكانُهُ وأوّلُ شيءٍ ربُّنا ثمَّ آخِرُ
كريمٌ حليمٌ لا يُعقَّب حكمُهُ كثيرُ ايادي الخير للذنبِ غافرُ
يُقيم حَصادَ الزرع بعد ارتباعهِ فتفنى قرونٌ وهو للزرع آبرُ
ومن يُعنى بالأخبار عن مَن يَرُومُها فانّي بما قد قلتُ في الشعرِ خابرُ

١) ابن القريم من بني تَيْم بن شيبان وهو سلَمة بن ثمامة
٢) هو عمرو بن الحصين احد الاحلاف من بني عمرو بن همام . والمزهاز من بني ابن همّام
٣) مصقلة من بني ثعلبة بن شيبان . عافٍ وعافية من عفوتُهُ واعتفيتهُ اذا اتيتهُ

أَلا أيُّها الانسانُ هل انت عاملٌ   فانَّك بعد الموت لا بُدَّ ناشِرُ
أَلم ترَ انَّ الخير والشرَّ فتنةٌ   ذخائرُ تَجري بهنَّ ذخائرُ
ومن يَعملِ الخيرات او يَخطَ خاليًا   يُجازَ بها ايَّام تُبلَى السرائرُ
وجدتُ الثَّرا ثمَّ المُصيباتِ كُلَّها   يجيءُ بها بعد الإلهِ المقادِرُ
فإنْ عُسرةٌ يوماً اضرَّت بأهلها   أَتتْ بعدَها من غيرِ شكٍّ مياسرُ (١
ونازلِ دارٍ لا يُريد فِراقَها   ستُظعِنهُ عمَّا يريدُ الجرائرُ
ومن يُنصِفِ الأَقوامَ ما كان قاضياً   وكلُّ امرئٍ لا يُنصِفُ الناسَ جائرُ (٢
ويُعذَرُ ذو الذَّنب المُقرُّ بذنبِهِ   وليس لمن يُغضي على الذنبِ عاذِرُ (٣

ومن جيِّد شعر النابغة لاميَّتهُ التي مدح فيها يزيد اوَّلها (من الخفيف) :

أَذِنَ اليومُ جيرتي بارتحالِ   وبَيْنٍ مودِّعٍ وارتحالِ

وهي طويلة ومن حكمها قولهُ :

يا بُنَيَّ أستمعْ فذا وعظُ شيخٍ   عَجَمَ الدهرَ في السِّنينَ الطوالِ
كلُّ عيشٍ ولذَّةٍ ونعيمٍ   وحياةٍ تودي كفَيْءِ الظِلالِ
كفَّني الحلمُ والمشيبُ وعقلي   ونهى الله عن سبيلِ الضلالِ
وأرى الفقرَ والغِنى بيد الله   م وحَتْفَ النفوسِ في الآجالِ
ليس ماءٌ يَرْوَى بهِ مُنتفوهُ   واتِناً لا يَغُورُ كالأَوشالِ
قد يغيضُ الفتى كما يَنقُصُ البَدْ   رُ وكلٌّ يصيرُ كالمُستحالِ
فمُحاقٌ هذا وهذا كسيرٌ   بعد ما كان ناشئاً كالهلالِ
ليس يُغني عنهُ النسيجُ ولا البُرْ   جُ ولا مُشفقٌ كريمُ الفعالِ

١) ويروى : اتت بعدها عمَّاً وُعِدنا المياسرُ   ٢) ويروى : لم يأتِ قاضيا ... لا يُنصِفُ اللهَ   ٣) هذه رواية حماسة البحتري . وفي الديوان : ويُعذر ذو الدين الطلوب بدينهِ وليس لامرٍ يظلم الناس عاذرُ

ليس حيٌّ يبقى وان بلغ الـكِبْر م ةَ إلّا مَصِيرُهُ لـلزّوالِ
إن تَمُتْ أنفسُ الانام فـانَّ م اللهَ يبقى وصـالحَ الاعمالِ
كلُّ ساعٍ يسعى لِيُـدْرِكَ شيئاً سوف يأتي بسَعْيِـهِ ذا الجَلالِ
فهمُ بين فـائزٍ نال خيرًا وشقيٍّ اصـابَهُ بِنكـالِ
انَّ مَنْ يركبُ الـفواحش سِرًّا حين يخـلو بِسرّهِ غيرُ خـالِ
كيف يَخْـلو وعنـده كاتباهُ شاهـداهُ وربُّهُ ذو المِحـالِ (١
فاتّقِ اللهَ مـا استطعتَ وأحسِنْ انَّ تقوى الإلـهِ خيرُ الخِـلالِ

ومنها في مديح يزيد بن عبدالملك الخليفة :

تبتغي من يزيدَ فضلَ يديهِ اريحيًّا فرْعاً سمينَ الفَعالِ
حَكَماً بين الأعاصي وحربٍ (٢ أبطحيَّ الأعمـام والاخوالِ
امَّـهُ مَلْكـةٌ نَمتْهـا ملوكٌ وهي اهل الإكرام والإجلال
تلـك امٌّ كَسَتْ يزيدَ بهـاءً او جـالًا يَبُذُّ كلَّ جمـالِ
وابوهُ عبـدُ المليـك نمـاهُ زادَ طَوْلًا على الملوك الطِوالِ
فهو مَلْـكٌ نَمَتْهُ ايضاً ملوكٌ خيرُ من يَحْتذي رِقاقَ النِعالِ
حالفَ المجد عَبْشميّاً إمـاماً حلَّ دارًا بها تـكونُ المَعالي
أعطِيَ الحِلْمَ والعَفـافَ معَ الجُو دِ ورأيـاً يفوقُ رأيَ الرجالِ
وحباهُ المليـكُ تقوًى وبرًّا وهو من سُوسِ ناسكٍ وفِعـالِ
يقطَعُ الليلَ آهَـةً وانتحـاباً وابتهـالًا للهِ ايَّ ابتهـالِ
تارةً راكعـاً وطورًا سجودًا ذا دموعٍ تَنهَـلُّ ايَّ انهـلالِ
عادلٌ مُقسِطٌ وميزانُ حقٍّ لم يَحِفْ في قضـائهِ للمَوالي

١) ذو المحال اي شديد العقوبة. ويروى: ذو الجلال. وأراد بالكاتبين ملاكين صالح وطالح يراقبان الانسان لتدوين اعماله الحسنة والسيئة او هما ناكر ونكير ٢) هم اجداد بني اميَّة

مُوفياً بالعهودِ من خَشيـةِ اللّه م ومن يُعْفِهِ يَكُنْ غيرَ قالِ
مُحسنٌ مُجْمِلٌ تقيٌّ قويٌّ وهو اهلُ الاحسانِ والاجمالِ
وهو إن يَعفُهُ فِئامٌ شعوبٌ يبتدي المُعْتَفين قبل السؤالِ
ويَذُدْ عنهم الخَلالةَ منهُ بسِجالٍ تَغْدو أَمامَ سِجالِ

وقال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (من الخفيف) :

نحو عبدِ العزيز ما تَطْعَمُ النَّو مَ ومنها بعد الرَّواح البُكورُ
وهُوَ الثالثُ الخليفةُ للّه م امامٌ للمؤمنين اميرُ
ان ارادوا التُّقى بهِ فتَقيٌّ او ارادوا عدلًا فليس يجورُ
ولدتهُ الملوكُ مَلْكاً هماماً فهو بدرٌ غمَّ النجومَ مُنيرُ
حَكَمياً يُراحُ للمجد فَرْعاً موفياً بالعُهود حين يُجيرُ
معشرٌ مَعْدِنُ الخلافةِ فيهم بدؤها منهمُ وفيهم تحُورُ
لا يرومنَّ مُلْكهم آدميٌّ انَّ من رامَ مُلكَهم مغرورُ
إبنَ أمِّ البنين انت فتى النا سِ وانتَ الموفَّقُ المأجورُ

ومن مديحهِ للخليفة الوليد (من الكامل) :

تنوي وتنتجعُ الوليدَ خليفةً يُعفى بذلك جُهْدُها وجَمامُها
ملكٌ اغرُّ نما لملكٍ كفُّهُ خيرُ العطاء بدورُها وسَوامُها
تَندى اذا بَخُلَ الاكفُّ ولا تُرى تعلو براجمَ كفِّهِ إبهامُها
وهو الذي يُمسي ويُصْبحُ مُحسناً شتّى لهُ نِعَمٌ جَدًا إنعامُها

واذا قريشٌ سابَقَتْك سبقْتها بقديمٍ أُولاها وانت قِوامُها
واذا قناة المجدِ حاوَلَ اخذَها فبطولِ بَسْطتهِ يُبَدُّ جِسامُها
انت الذي بعد الاله هديتَها ان خاطَرَتْكَ بالقداحِ قوامُها
فورثتَ قائدها وفُزْت بقِدْحها وخصمتَ لُدًّا لم تَهُلْكَ خصامُها

قد سبق ما رويناهُ عن ابي الفرج الاصفهاني في نصرانيَّة النابغة الشيباني على انَّ في ديوانهِ قصيدةً تدلُّ على انهُ ارتدَّ للاسلام وذلك في قصيدة فائيَّة قالها في مديح الوليد . ومن المحتمل ان الوليد جذبهُ بالوعد او بالوعيد الى جحود دينهِ ولنا في تاريخهِ ما يُثبت تشدُّدهُ على النصارى والله اعلم . وهذه بعض ابيات تلك القصيدة (من البسيط) :

انَّ الوليدَ اميرَ المؤمنين لهُ حقٌّ من الله تفضيلٌ وتشريفُ
خليفةٌ لم يَزَل يجري على مَهَلٍ اغرُّ تَنمي بهِ البِيضُ الغطاريفُ
لا يُخمِدُ الحربَ إلَّا رَيْثَ يوقدُها في كلّ فجٍّ لهُ خيلٌ مَسانيفُ
يحوي سبيًّا فيُعطيها ويقسمها ومن عطيَّتهِ الجُرْدُ السراعيفُ
اخزى طَرَنْدَةَ منهُ وابلٌ بَرَدٌ وعسكرٌ لم تَفزْهُ العُزْلُ الجُوفُ(١)
مازال مسلمةُ(٢) الميمون يَحصُرها وركنُها بثقال الصخرِ مقذوفُ
وقد احاطت بها ابطالُ ذي لَجَبٍ كما أَحاط برأسِ النَّخلة اللِيفُ
حتَّى علَوْا سُورَها من كلّ ناحيةٍ وحان مَنْ كان فيها وهو ملهوفُ
فاهلُها بين مقتولٍ ومُستَلَبٍ ومنها موثَقٌ في القِدّ مكتوفُ

١) قال في الديوان : « طَرَنْد ملك الروم » والصواب ان طرندة مدينة كانت على ثلث مراحل من مَلَطية . والجُوف جمع أجْوف وهو من لا عقل لهُ ٢) هو مسلمة بن عبدالملك

يا أيها الاجدعُ الباكي لمسلكهم ... هل بأسُ ربّك عن مَن ثام مصروف
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً ... والله يعلمُ ما تخفي الشراسيفُ
قلّعت بيعتهم عن جوف مسجدنا ... فصخرُها عن جديد الارض منسوفُ(١)
كانت اذا قام اهلُ الدين فابتهلوا ... باتت تجاوبنا فيها الأساقيفُ
فاليوم فيهِ صلاةُ الحقّ ظاهرةٌ ... وصادقٌ من كتاب الله معروفُ
فيهِ الزَّبَرْجدُ والياقوتُ موتلفٌ ... والكأسُ والذهبُ العِقْيانُ مرصوفُ
ترى تهاويلَهُ من نحو قُبلتنا ... يلوحُ فيهِ من الالوان تشويفُ
يكادُ يُعشي بصيرَ القوم زِبرِجهُ ... حتى يكادَ سوادُ العين مطروفُ
وفضَّةٌ تُعجبُ الرائينَ بهجتُها ... كريمُها فوق اعلاهنَّ معطوفُ
وقبّةٌ لا تكادُ الطيرُ تبلغُها ... أعلى محاريبها بالساج مسقوفُ
لها مصابيحُ فيها الزيتُ من ذهبٍ ... يُضيء من نورها لُبنانُ والسِيفُ
فكلّ أفنائهِ واللهُ زيَّنهُ ... مُبطَّنٌ برخام الشام محفوفُ
في سُرَّة الارض(٢) مشدودٌ جوانبُهُ ... وقد أحاط بهِ الانهارُ والريفُ
فيهِ المثاني وآياتٌ مفصَّلةٌ ... فيهنّ من رَتَبٍ وعدٌ وتخويفُ
تمّت قصيدة حقٍ غير ذي كذبٍ ... في حوكها من كلام الشعر تأليفُ
قوّمتُ منها فلا زَيغٌ ولا أوَدٌ ... كما اقام قنا الخطّيِّ تثقيفُ

---

١) يشير الى ما فعلهُ الوليد اذ اغتصب نصارى دمشق على كنيستهم الكبرى فحوّلها جامعاً (الجامع الاموي)

٢) سُرّة الارض اي جوفها . ويروى : سُرّة

فهذا الوصف الجميل للجامع الاموي كما اصلحهُ الوليد وجمّلهُ بضروب المحاسن الهندسيّة من اقدم وادقّ ما انشدهُ فيهِ احد الشعراء المعاصرين . ومما قالهُ في سيرهِ في انحاء الشام (من الوافر) :

أَرِقتُ وصاحِبيَّ بِبَعْلَبَكٍّ وأَرَّقني الهمومُ مع التَشكّي

ومنها في رسوم الدار واطلالها :

وكم مِن دونها من خَرْقِ تِيهٍ ومن رَمْـلٍ ومن جبَلٍ ودَكّ
غُشِيتُ لهـا رسومـاً دارساتٍ بأسفَـلَ نَعْلَمٍ من دون أَرْكٍ
تُغيِّرهـا الرياحُ وكلُّ غَيْثٍ لهُ حَبْكٌ رُواءٌ بعدَ حَبْكٍ
وقفتُ بها ودمعُ العين يجري تحادُرَ لؤلؤٍ من وَهْيِ سِلْكٍ
ومَن يَسَلِ الرسومَ فـلا تُجِبْهُ يَحِنُّ كما حننتُ بهـا ويبكي

ومن حِكَمِهِ ايضاً ما ورد في اوّل قصيدة ديوانه التي بدؤها (من الطويل) :

أَرِقتُ وشرُّ الـداء همٌّ مؤرِّقُ كأني اسيرٌ جانبَ النومَ مُوثَقُ

وفيها يقول ويؤخذ منهُ انَّ نابغة بني شيبان هو المدعو بالنابغة البكريّ :

وقال العدوُّ والصديقُ كِلاهما لنابغةَ البكريِّ شعرٌ مُصدَّقُ
فأَحكَمُ أَلبابِ الرجالِ ذوو التُّقى وكلُّ أمرئٍ لا يتَّقي اللهَ احمقُ
وللناسِ أَهواءٌ وشتَّى هُمومُهم تُجمِّعُ احياناً وحيناً تُفرِّقُ
وزرعٌ وكلُّ الزرعِ يُشبِهُ أَصلَهُ همُ وُلِدوا شتَّى مَليسٌ ومُمحَقُ
فذو الصوتِ لا يجني عليهِ لسانُهُ وذو الحِلمِ مَهديٌّ وذو الجهلِ أخرَقُ
ولستُ وان سُرَّ الاعاليَ بهالكٍ وليس يُنَجّيني من الموتِ مُشفِقُ

ومن قوله في بلايا الدهر (من الطويل) :

ما الناسُ الّا في رِماقٍ وصالحٍ وما الدهرُ الّا خِلفةٌ ودُهورُ
مراتبُ إمّا البؤسُ منها فزائلٌ وكلُّ نعيمٍ في الحياةِ غُرورُ
فذو الشرِّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمٌ وكلُّ زمانٍ بالرجال عَثُورُ
متى يَختلفْ يومٌ عليك وليلةٌ يَلُحْ منهما في عارضَيْكَ قَتيرُ
جديدانِ يُبْلَى فيهما كلُّ صالحٍ حثيثانِ هذا رائحٌ وبَكُورُ
وأعلمُ أنْ لا شيءَ يبقى مؤمَّلا خلا أنَّ وجه اللهِ ليس يبورُ
وكلُّ امرئٍ ان صحَّ او طال عمرُهُ الى ميتةٍ لا بُدَّ سوف يصيرُ
يؤمّلُ في الايّام ما ليس مُدركاً وليس لهُ من ان يَنالَ خفيرُ
وكائنْ تَرى من كاملِ العقلِ يُزدرَى ومن ناقصِ المعقولِ وهو جَديرُ(١)
ومنهم قصيرٌ رامَ مجدًا فنالَهُ وآخرُ هَيْقٌ في الحِفاظِ قصيرُ
ومن طالبٍ حقًّا بفُحْشٍ يفوتُهُ ويُدركُهُ بالحقِّ وهو سَتيرُ

ومن اقوالهِ ايضاً في الدهر وحدثانهِ (من البسيط) :

كم من مؤمِّلِ شيءٍ ليس يُدرِكُهُ والمرءُ يُزري بهِ في دهرهِ الأَمَلُ
يرجو الثَّراءَ ويرجو الخُلْدَ مجتهدًا(٢) ودونَ ما يُرتجى الاقدارُ والأَجلُ
والدهرُ يُبلي الفتى حتى يُغيّرَهُ كما تَغيّرُ بعد الجِدَّةِ السَّمَلُ
كلُّ المصائبِ ان جلّتْ وان عَظُمت الّا المصيبةَ في دينِ الفتى جَلَلُ

ومنها في مدح مسلمة بن عبد الملك بن مروان :

١) رواهُ في حماسة البحتري (ع ٦٨٦) : وهو طريرُ
٢) كذا روى البحتريّ في حماستهِ (ع ١٦٦) وفي الديوان : ذو امل

يَنوونَ مُسلمةَ الفيَّاضَ نائلُهُ وكَعْبُهُ في يَفاع المجد معتدِلُ
صُلبُ القَناةِ رباً والحزمُ شيمَتُهُ فليسَ في امرهِ وَهْنٌ ولا هَزَلُ
قضاؤهُ مستقيمٌ غيرُ ذي عِوَجٍ فليس في حكمهِ حَيفٌ ولا مَيَلُ
القائلُ الفَصْلُ والميمونُ طائرُهُ فليس في قولهِ هَذْرٌ ولا خَطَلُ
لا ينقُضُ الامرَ إلّا ريثَ يُبرِمُهُ وليس يَثنيهِ عن أمر التُّقى كَسَلُ
انَّ الذين بهم يرمون صخرتَهُ لن يبلغوهُ وان عزُّوا وان كَمُلوا
لن يُدْركوك ولم يَلحَقْكَ سُوْؤهمُ حتى يُوَلَّجَ سُمَّ الابرةِ الجملُ(١)

ومن قصائده المستحسنة فائيَّتهُ التي اوّلها (من البسيط) :

بانَ السَّفا(٢) وأودى الجهلُ والسَّرَفُ وفي التُّقى بعد إفراط الفتى خَلَفُ
وقد كَساني شيباً قد غنيتُ بهِ مرُّ الليالي مع الايَّام تختلفُ
قالت ليَ النفسُ سِرًّا اذ خلوتُ بها والنفسُ صادقةٌ لو انَّها تَقِفُ
انَّ الشبابَ جنونٌ شَرْخُ باطلهِ يقيمُ غضًّا زماناً ثمَّ ينكشفُ
ذَرِ الشبابَ فلا تتبع لذاذتَهُ انَّ الذي يتبعُ اللذّاتِ مُقترِفُ
من يَعْلُهُ الشيبُ لم يُحدِثْ لهُ عِظَةً فذاك من سُوسهِ الإفراطُ والعَنَفُ
فلا تهابنَّ أسفارًا وإن بَعُدَتْ إن هابها عاجزٌ في عُودهِ قَصَفُ
قد يَرْجِعُ المرء لا تُرجى سلامتُهُ وقد يُصيب طويلَ القِعْدةِ التَّلَفُ

وممَّا يروى لنابغة بني شيبان عبدالله بن مخارق (في حماسة البحتري ع ١٢٧٦) ولم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سكوتهِ عن جواب الجاهل (من الطويل) :

سأمنعُ نفسي رَفْدَ كلّ بخيلِ وأحبِسُ نُطقي عن جواب جَهولِ

١) هو تشبيه مستعارٌ من الانجيل
٢) قال الانباري في الاضداد (ص ٦٥٩) : السَّفاء الخفَّة والطيش ممدود

فـانَّ الجهولَ لا يُرَدُّ كلامُـهُ وليس سبيلُ الجاهلين سَبيلي

وروى لهُ ايضاً البحتري (ع ٢٥٣ و ٨١١) يوصي بمؤاخاة الصالحين والابتعاد عن ذوي النميمة (من الوافر) :

عليـك بكلّ ذي حَسَبٍ ودِينٍ فانّهمُ هُمُ اهـلُ الوفـاء
وإنْ خُيّرتَ بينهـمُ فـلاصِقْ باهـلِ العقـلِ منهمُ والحيـاء
فانَّ العقلَ ليس لهُ اذا مـا تفاضَلَتِ الفضـائلُ من كِفـاء
ولا تَثِـقَنَّ بالنمّـامِ فيما حَباكَ من النصيحةِ في الخَـلاء
وأيْقِنْ أنَّ مـا أُفضِي اليـهِ من الأسرارِ مُنتكِشفُ الغِطـاء

وقال الدينوري في تاريخهِ المعنون بالاخبار الطوال (ed. Guirgas, p. 197) :
«كتب معاوية الى عليّ : انّما مَثَلي ومثل عثمان كما قال مخارق (من الطويل) :

فمَهْما تَسَلْ عن نصريَ السَّيْدَ لا تَجِدْ لدى الحربِ بيتَ السَّيْدِ عندي مُذَمَّما

فكتب اليهِ عليّ : اني عارضٌ عليك ما عرض مُخارق على بني فـالج قال (من الطويل) :

يا راكبـاً إمّـا عرضتَ فبلِّغَنْ بني فالجٍ حيثُ استقرَّ قرارُهـا
هَلُمّوا الينا لا تكونوا كأنّكمْ بَلاقعُ ارضٍ طارَ عنها غُبارُهـا
سُلَيمُ بنُ منصورٍ أُناسٌ أعِزَّةٌ وأرضُهمُ ارضٌ كثيرٌ وَبارُها

وكذلك روى لهُ في اللسان في مادّة نمى (٢٠ : ٢١٨) قولهُ ممّا لا ذكر لـهُ في ديوانهِ يصف ما في شعرهِ من الهجو الحادّ (من الوافر) :

وقافيـةٍ كأنَّ السُمَّ فيهـا وليس سليمُها ابـدًا بنامي
صرفتُ بها لسانَ القوم عنكُم فخَرَّتْ للسنابكِ والحَوامي

(قال) النامي الناجي . وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٧٤٢ و ٣ : ٦١ وفي المشترك ص ٦٦) قولهُ (من البسيط) :

أرى البَنانَةَ أقْوَتْ بعدَ ساكِنِها فـذا شُدَيْدٍ وأقوى منهمُ أُقُرُ

(قال) البنانة ارضٌ من بلاد غطفان . والبنانة ايضاء ماء لبني جَذيمة . والسُدَير موضع في ديار غطفان وقيل قاع بين البصرة والكوفة . وأُقرُ جبل

٨ حُنَين الحيري الشاعر المغنّي

﴿تعريفهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢ : ١٢٠) : « حُنَين بن بلّوع الحيري مختلفٌ في نسبهِ فقيل انهُ من العِباديّين وقيل انهُ من بني الحرث بن كعب وقيل انهُ من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعُدُّوا فيهم . ويكنّى ابا كعب وكان شاعرًا مغنيًا فحلاً من فحول المغنّين ولهُ صنعة فاضلة متقدّمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانيًّا » (١

وقال صاحب مسالك الابصار (Ms du Caire, 336-337) في فصلهِ الذي خصَّهُ بمشاهير اهل الموسيقى : « حُنَين الحيري مُطرِب لا يرتفع اليهِ رأس مُطرِق ، ولا ينتفع معهُ املُ متشوّق ، من سُراة اهل الغناء ، وبُراة الطرب للعناء ، يكاد سامعهُ يخرُج من إهابهِ ، ويُحرَق بالتهابهِ ، ما حرّك عودَهُ الّا فصم ، ولا بثّ شفتيهِ الّا في نَغَم ، لو سمعهُ جبلٌ لتحرّك ، او دخل في أذن سوقةٍ لظنّ انهُ قد تملّك »

﴿اخبارهُ﴾ لحنين الحيري النجفيّ العباديّ اخبار كثيرة تولّى جمعها اسحاق بن ابرهيم الموصلي في كتاب دعاهُ « اخبار حنين الحيري » ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص١٤١) وذكر ايضاً كتاباً آخر مثلهُ (ص١٤٨) لابي أيوب المدائنيّ يُستدلّ بهما على مقام حنين . واليهِ تُنسب الحُنَينيّات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الخزاعي في هجوهِ لابرهيم بن المهديّ المغني الشهير وكان البعض بايعوهُ بالخلافة فأتاهُ قومٌ ينتجعون عطاءهُ وهو لا يستطيع ان يرفدهم بشيء . فقال دعبل يهجو ابرهيم :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَون حُنَينيّةً يلتذُّها الأمردُ والاشمطُ
والمَعبَديّاتُ لقوّادكم لا تدخلُ الكيس ولا تُربَطُ
وهكذا يَرزقُ قوّادَهُ خليفةٌ مُصحَفُهُ البربَطُ

قالوا الحُنَينيّات اغاني منسوبة الى حنين النجفيّ العبادي المغني الشهير . والمَعبَديّات

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة Jour. As., 1872², 425-433

منسوبة الى مَعبَد المغني والبربط آلة تشبهُ العود فارسيّ معرَّب (نزهة الجليس ١: ٢٦٧— ٢٦٨)

سبق قول ابي الفرج انَّ حنيناً كان شاعرًا ومغنياً. امّا شعرهُ فلم يبقَ منهُ الّا القليل. وامّا غناؤهُ فكثير وله الاصوات المتعدّدة التي ذكرها في الاغاني في اماكن عديدة منها. وربّما كان يتغنّى بشعره وهو القائل يصف الحيرة ومنزلهُ فيها قال (من المنسرح):

انا حنينٌ ومَنزلي النَّجَفُ (١ ... وما نَديمي الّا الفتى القَصِفُ

أَقرعُ بالكاس ثَغرَ باطيةٍ (٢ ... مُترَعةٍ تارةً وأغترفُ

من قهوةٍ باكرَ التِّجارُ بها ... بيتَ يهودٍ قرارُها الخزَفُ

والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغذُني شقوةٌ ولا عَنَفُ (٣

فالشعر والغناء كلاهما لحنين

ومن اخبار حنين ما رواهُ عنهُ حمّاد الراوية قال (الاغاني ٢: ١٢٢): قرأتُ على ابي عن المدائني قال: كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيّات. فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقتهُ وحسن قدّه وحلاوتهُ وخفّة روحهِ استحلوهُ واقام عندهم وخفّ لهم. فكان يسمع الغناء ويشتهيهِ ويُصغي اليهِ ويستمعهُ ويطيل الاصغاء اليهِ فلا يكاد ينتفع بهِ في شيء اذا سمعهُ حتى شدا منهُ اصواتاً فأسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناءهُ والاستماع منهُ وعِشرتهُ وشُهر بالغناء وسهر فيه وبلغ منهُ كثيرًا. ثمّ رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكم الوادي واخذ منهما وغنّى لنفسهِ في اشعار الناس فاجاد الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيرهُ فاستولى عليهِ في عصرهِ.

وجاء في اخبار حنين لابي ايوب المدائني. انّ ابن محرز احد كبار المغنين قَدِم وقتئذٍ الكوفة وبها الامير بشير بن مروان وقد بلغهُ انهُ يشرب الشراب ويسمع الغناء فصادفهُ قد خرج الى البصرة وبلغ خبرُهُ حنينَ بن بلّوع فتلطّف لهُ حتى دعاهُ

---

١) روى البكري في معجم ما استعجم: وداريَ النجفُ

٢) ويروى: اقرعُ بالكاس بطنَ باطيةٍ ، ٣) ويروى: فالعيش غضٌّ . . . لم يغزني

فغنّاهُ ابن محرز لحناً من جيّد الاغاني فسمع حنين شيئاً هالهُ وحيّرهُ فخشي ان يعرفهُ الناس فيستحلونهُ ويستولي على البلد فيسقط هو فقال لابن محرز : كم مَنّتك نفسك من العراق. قال: الفَ دينار. فقال : فهذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَودتك وبداءتك ودَع العراق وامضِ مُصاحَباً حيث جئتَ واحلفْ انك لا تعود للعراق. (قال) وكان ابن محرز صغير الهمّة لا يحبّ عِشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فاخذها وانصرف

وقد اخبر حمّاد الراوية عن حنين (الاغاني ٢ : ١٢١) انّ هشام بن عبد الملك حجّ مع عديلهِ الابرش الكلبيّ فوقف لهُ حنين بظهر الكوفة معهُ عودهُ وزامرٌ لهُ وعليهِ قلنسوة طويلة. فلمّا مرّ بهِ هشام عرض لهُ فقال: من هذا ؟ فقيل لهُ: حنين. فأمر بهِ فحُمل في محمل على جمل وعديلهُ زامرُهُ وسيّرهُ امامهُ وهو يتغنّى (من مجزوء الوافر) :

أَمِنْ سَلمى بظَهْر الكو فةِ الآياتُ والطَلَلُ
يلوحُ كما تلوحُ على جفونِ الصَّيقَلِ الخَلَلُ

(قال) فلم يزل هشام يستعيدُ الصوت حتى نزل من النجف فامر لهُ بمائتي دينار وللزامر بمائة

واخبر اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٢—١٢٣) انّ والي العراق خالد بن عبدالله القسري حرّم الغناء بالعراق في ايّامهِ. ثمّ أذِنَ للناس يوماً في الدخول عليهِ فدخل حنين ومعهُ عودهُ تحت ثيابهِ فقال: أصلَحَ الله الامير كانت لي صناعة أعودُ بها على عيالي حرّمها الامير فاضرّ بي وبهم. فقال: وما صناعتك ؟ فكشف عن عودهِ وقال: هذا. فقال: غنِّ. فحرّك اوتارهُ وغنّى (في شعر عدي بن زيد العبادي) :

أيها الشامتُ المعيّرُ بالدهرِ أأنت المُبرّأُ الموفورُ
ام لديكَ العهدُ الوثيق من الأيّامِ بل انت جاهل مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلّدنَ ام مَنْ ذا عليهِ من ان يُضامَ خفيرُ

(قال) فبكى خالد وقال: « قد اذنتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا معربداً ». فكان اذا دُعي قال: أفيكم سفيه او معربد ؟ فاذا قيل لهُ: لا. دخل

ومن طريف ما رُوي عن الشعبيّ انهُ قال (الاغاني ٢ : ١٢٣) : لمّا ولي بشر بن

مروان الكوفة كنتُ على مظالمه فأتيتُهُ عشيّةً وحاجبُهُ أعيَن صاحب «حمّام أعيَن» جالسٌ فقلتُ: «أعلِمْهُ وخلاكَ ذمٌّ فقد حدَثَ امرٌ لا بُدَّ لي من انهائهِ اليهِ» وكان لا يجلس بالشعبيّ. فقال: لا ولكن اكتُبْ ما حاجتكَ في رقعةٍ حتى أوصلها اليهِ. فكتبتُ رقعةً فما لبث ان خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبيّ ممّن يُحتشم منهُ. فأذن لي فقال: ادخل. فدخلتُ فاذا بِشر بن مروان عليه غِلالة رقيقة صفراء ومُلاءة تقوم قيـاماً من شدّة الصِقال وعلى رأسهِ اكليل من ريحان وعلى يمينهِ عِكرمة بن ربعيّ وعلى يسارهِ خالد ابن عتّاب بن ورقاء واذا بين يديهِ حُنين بن بلّوع معهُ عودُهُ. فسلّمتُ فردَّ عليَّ السلام ورحّب وقرّب ثمّ قال: يا ابا عمرو لو كان غيرك لم آذن لهُ على هـــذه الحال. فقلتُ: أصلح الله الامير عندي لك الستر لكلّ ما ارى منك والـــدخول معك فيما لا يُجمل والشكر على مـــا توليني. فقال: كـــذاك الظنُّ بك. ثمّ التفتُّ الى حنين وعودُهُ في حِجرِهِ وعليهِ قباء خشك شوى (وقـــال اسحاق : خشكون) ومِنَشّة حمراء وخُفّان مكعّبان فسلّم عليَّ فقلتُ لهُ: كيف انت يا ابا كعب؟ فقال: بخير ابا عمرو. فقلتُ: أحزِق الزير وأرخِ البمّ. ففعل وضرب فاجاد. فقال بشر لاصحابهِ: تلومونني على ان آذن لهُ في كلّ حال. ثمّ اقبل عليَّ فقال: ابا عمرو ومن اين وقع الـيك حَزق الزير؟ فقلتُ: ظننتُ انّ الامر هناك. قال: فانّ الامر كما ظننتَ هناك كلهُ. ثمّ قال: فمن اين تعرف حنيناً؟ فقلتُ: هذا بَطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفهُ. فضحك وغنّى حنين فاجاد فطرب الامير وامر لهُ بجائزة ثمّ ودّعتُهُ وذلك بعد ان ذكرتُ لهُ ما جئتُ فيهِ فامر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة اثواب فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منهُ وانصرفت

وقد جرى لحنين مع اهل حمص فصلٌ مضحك اخبر بهِ فقال (الاغاني ٢: ١٢٣):
خرجتُ الى حمص التمس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ استفيدُ منهُ شيئاً. فسألتُ عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي: عليك بالحمّامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا. فجئتُ الى احدها فدخلتُ فاذا فيها جماعة منهم فأنِستُ وانبسطتُ واخبرتهم انّي غريب ثمّ خرجوا وخرجتُ معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم. فلمّا قعدنا أُتينا بالطعام فاكلنا وأُتينـــا بالشراب فشربنا فقلتُ لهم: هل لكم في مغنٍّ يغنّيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلـك؟ قلتُ: انا لكم. هاتوا عوداً. فأُتيتُ بهِ فابتدأتُ في هنيّات ابي عُباد مَعبَد. فكأنّمـــا غنّيتُ للحيطان لا فكِهوا لغنائي ولا سُرّوا بهِ. فقلتُ: ثقُلَ عليهم غناء معبد لكثرة

عمله وشدّته وصعوبة مذهبه . فأخذتُ في غناء القريض فاذا هو عنـدهم كلا شيء
وغنّيتُ خفائف ابن سُريج واهزاج حكَم والاغاني التي لي واجتهدتُ في ان يفهموا
فلم يتحرّك من القوم احد وجعلوا يقولون: ليتَ ابا مُنبه قد جاءنا . فقلتُ في نفسي :
أرى انّي سأفتضح اليوم بابي منبّه فضيحةً لم يفتضح بهـا احد قطّ مثلها . فبينـا نحن
كذلك اذ جاء ابو منبّه واذا هو شيخ عليه خفّان احمران كـأنّهُ جمّال فوثبوا جميعاً
اليه وسلّموا عليه وقالوا : يا ابا منبّه ابطأتَ علينا . وقدّموا لهُ الطعام وسقوهُ اقداحاً
وخَنَستُ انا حتى صرتُ كلا شيء خوفاً منهُ . فاخذ العود ثمّ اندفع يغني :

طَربَ البحرُ فاعبري يا سفينه لا تشقّي على رجـال المدينه

واقبلَ القوم يصفّقون ويطربون ويشربون . ثمّ اخذ في نحو هـذا من الغناء .
فقلتُ في نفسي : انتم ها هنا لئن اصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا اصبحتُ
شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً من شراب ورحلتُ متوجّهاً الى الحيرة وقلتُ
(من الخفيف) :

ليت شِعري متى تَخُبُّ بيَ النـا قـةُ بين السَّدير والـصَّنّينِ
مُحقِبـاً رَكوةً وخبزَ رقـاقٍ وبُـقولاً وقطعـةً من نُونِ
لستُ ابغي زادًا سواها من الشا مِ وحسبي عُـلالـةٌ تكفيني
فـاذا أُبتُ سالماً قلتُ سَحْقاً وبِعـادًا لمعشرٍ فـارَقوني

وقد استطرد صاحب الاغاني(٢ : ١٢٥)فروى فصلاً في ذكر الحيرة واهلها ننقلهُ
هنا عنهُ قال: كان بعض ولاة الكوفة يذمُّ الحيرة في أيام بني اميّة فقال لهُ رجلٌ من
اهلها وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضرَب المثل في الجاهليّة والاسلام . قال :
وبماذا تُمدَح؟قال : «بصحّة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلحُ للخُفّ والظِلْف .
سهلٌ وجبل ، وبادية وبستـان ، وبرٌّ وبحر ، محلُّ المـلوك ومزارهم ، ومسكنهم
ومثواهم ، وقد قدِمْتَها اصلحك الله مُخِفًّا فرجعتَ مُثقَلاً ودَرْتَها مُقـلاً فأصارتك
مُكثِرًا » . قال: وكيف تعرّف ما وصفتَها بهِ من الفضل ؟ . قلتُ: بان تصير اليَّ ثمّ
أدعُ ما شئتَ من لذّات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه . قال: فأصنعْ لنا صنيعاً
وأخرج من قولك . قلتُ : أفعل . فصنع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما

صِيدَ من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحُبارى وسقاهم ماءها في قِلالها وخمرَها في آنيتها واجلسهم على رَقْمها وكان يتّخذ بها من الفرش اشياء طريفة ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبدًا الّا من مولّديها ومولّداتها من خدَم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لغتُهم لغةُ اهلها ثمّ غنّاهم حنين واصحابهُ في شعر عدي بن زيد شاعرهم واعشى همدان لم يتجاوزهما وحيّاهم برياحينها ونقّلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثمّ قال لهُ : هل رأيتني استعنتُ على شيء مما رأيتَ واكلتَ وشربت وافترشتَ وشممتَ وسمعت بغير ما في الحيرة؟. قال : لا والله ولقد احسنتَ صفة بلدك ونصرتَهُ فاحسنتَ نُصرتَهُ والخروج مما قد تضمّنتهُ فبارك الله لكم في بلدكم

وبقي حنين يتردّد في البلاد الى ايّام شيخوختهِ : حدَّث شيخ من المكيّين يقال لهُ شريس قال : انّا لبالأبطح (في مكّة) ايّام الموسم نشتري ونبيع اذ اقبل شيخٌ ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو اشدّ بياضاً ام بغلتهُ ام ثيابهُ فقال : اين بيت ابي موسى ؟ فأشرنا لهُ الى الحائط فمضى حتى انتهى الى الظلّ من بيت ابي موسى ثمّ استقبلَنا ببغلتهِ ووجهه ثمّ اندفع يغنّي في شعر الكُثيّر :

أسعديني بدمعةٍ أسرابِ من دموعٍ كثيرة التسكابِ

(قال) ثمّ صرف الرجلُ بغلتهُ وذهب فتبعناهُ حتى ادركناهُ فسألناهُ من هو . فقال : « انا حنين بن بلوع وانا رجل جمّال أكري الابل » ثمّ مضى

وقد اخبر ابرهيم بن المهدي (الاغاني ٢ : ١٢٥-١٢٦) بخبر سمعهُ من حفيد حنين قال : كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ فغنّاني عدّة اصوات لجدّهِ فما استحسنتُها لان الشيخ كان مشوّه الخلق طنّ الغناء قليل الحلاوة الّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يَفرغ منهُ فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج (في قول عنترة) :

فتركتُهُ جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ ما بين قُلّةِ رأسهِ والمعصمِ

فما اذكرُ اني سمعتهُ من احدٍ قطّ احسن ممّا سمعتُهُ منهُ فقلتُ : لقد احسنتَ في هذا الصوت وما هو من اغاني جَدّك ولا من اغاني بلدك واني لأعجبُ من ذلك . فقال لي الشيخ : والصليبِ والقربان ما صُنع هذا الصوت الّا في منزلنا وفي سَرْداب جدّي ولقد كاد ان يأتي على نَفْس عمّي . فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال : حدّثني ابي

انّ عبيدالله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار التي بها متزلنـا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال : انا رجل من اهـل الحجاز من اهل مكّة بلغني طيبُ الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر (من الوافر) :

حَنَتْني حانياتُ الـدهر حتّى كأنّي خاتـلٌ يدنو لصَيـدِ
قريبُ الخطوِ يَحسبُ من رآني ولستُ مقيَّدًا أنّي بقَيـدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى منزلي . فسألهُ جدّي عن اسمهِ ونسبهِ فغيّرهما وانتمى الى بني مخزوم فأخذ جدّي المال منـهُ وقال: «موفَّرٌ مالكَ عليك والك عندنا كلُّ ما يحتاج اليهِ مثلُك ما نشطتَ للمقام عندنا فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهَّزناك اليهم ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما انفقتهُ عليك ان جئتَنا» . وأسكنَهُ دارًا كان ينفرد فيها فمكث عندنا شهرين لا يعلم جـدّي ولا احد من اهلنا انهُ يغني حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مروان في يوم صـائف مع قيام الظهيرة فصـار الى باب الدار التي كان انزل ابنَ سريج بهـا فوجدهُ مغلقًا فارتاب بذلك ودقّ الباب فلم يُفتح لهُ ولم يُجبْهُ احد فصـار الى منازل الحرَم فلم يجد فيها بنتهُ ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً فانتضى سيفهُ ودخل الدار ليقتل ابنتهُ . فلمّا دخلها رأى ابنتهُ وجواريهـا وقوفاً على باب السرداب وهنَّ يومئنَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لِما تداخلَهُ الى ان سمع ترنُّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحِذق : « ابا يحيى جُعلتُ فداءك اتيتَنا بثلثمائة دينار لتُنفقها عندنا في حيرتنا فوحقّ المسيح لا خرجتَ منها الّا ومعـك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ بهِ معك» . ثمَّ دخل اليهِ فعانقهُ ورحّب بهِ ولقيَهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ وسألهُ عن هذا الصوت فاخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصلـهُ بعشرة آلاف درهم اوّل مرّة ثمّ وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلمّا اراد الخروج ردَّ عليهِ جدّي مالهُ وجهَّزهُ ووصلهُ بمقدار نفقتهِ التي انفقها من مكّة الى الحيرة ورجع ابن سريج الى اهلهِ وقـد اخذ جميعُ من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

وقال اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٥) : لم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى

حنين الّا نفرًا من السدريّين (١ يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حمة وكانوا يغنّون غناء الحيرة بين المزج والنَّصب وهو الى النصب اقرب ولم يَذَروا منهُ شيئاً لسقوطهِ وانهُ ليس من اغاني الفحول وما سمعنا نحن لاحد من هؤلاء خبرًا الّا لمالك بن حمة . وقال اسحاق (الاغاني ٢ : ١٢١) قيل لحنين: انت تغنّي منذ خمسين سنةً ما تركتَ لكريمٍ مالًا ولا دارًا ولا عقارًا الّا اتيتَ عليه. فقال: بأبي انتم انّما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلومونني ان أُغلي بها الثمن

وقال وكيع في خبرهِ عن اسحاق : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال انهُ من جديس. (قال)وقيل ايضاً انهُ من لخم وكان هو يزعم انهُ عباديّ واخوالهُ من بني الحرث بن كعب

امّا سبب موتهِ فما حدّث بهِ حفيدهُ عُبَيد قال (الاغاني ٢ : ١٢٧) : كان المغنّون في عصر جدّي اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحدهُ بالعراق والذين بالحجاز ابن سُريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم انَّ جدّي حنيناً قد غنى في هذا الشعر (وهو لعدي ابن زيد) :

هلّا بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ وكففتَ عن ذمّ المشيب الآيبِ
هذا وربّ مُسوِّفين سقيتُهم من خمر بابلَ لذّةً للشاربِ
بكروا عليّ بسحرةٍ فصبحتُهم من ذاتِ كُرْنيبٍ كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءُ اليدين كأنها قنديلُ صبحٍ في كنيسة راهبِ

(قال) فاجتمعوا فتذاكروا امر جدّي وقالوا: ما في الدنيا اهل صناعةٍ شرٌّ منّا لنا اخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزورهُ ولا نستزيرهُ. فكتبوا اليهِ ووجّهوا لهُ نفقةً وكتبوا يقولون: نحن ثلاثة وانت وحدك وانت أَولى بزيارتنا. فشخصَ اليهم . فلمّا كان على مرحلةٍ من المدينة بلغهم خبرهُ فخرجوا يتلقّونهُ فلم يُرَ يوم كان اكثر حشرًا ولا جمعاً من يومئذٍ ودخلوا فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم مَعْبد: صيروا اليّ. فقال لهُ ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروّة مثل ما لمولاتي سُكَيْنة بنت الحسين (بن ابي طالب) عطفنا اليك. فقال: ما لي من ذاك شيء . وعدلوا الى منزل سكينة. فلمّا دخلوا اليها أذنت للناس إذناً عامًّا فغصّت الدار بهم وصعدوا

١) السدريّون قومٌ من العلويّين

فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثمّ انهم سألوا جدّي حنيناً ان يغنّيهم صوتهُ الذي اوّلهُ «هلّا بكيت على الشباب الذاهب» فغنّاهم ايّاهُ بعد ان قال لهم: ابدأوا انتم. فقالوا: ما كنّا لنتقدّمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت. فغنّاهم ايّاهُ وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوهُ فسقط الرواق على من تحتهُ فسلموا جميعاً وأُخرجوا اصحّاء. ومات حنين تحت الهدم فقالت سُكينة عليها السلام: لقد كدَّر علينا حنينٌ سرورَنا انتظرناهُ مدّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقهُ الى منيّتهِ

وقد ورد في اخبار حنين بن اسحاق المتطبّب (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٨٩) نقلًا عن كتاب اللهو والملاهي للسرخسيّ انّهُ قال: وافاني في بعض الليالي ايّامَ المتوكل رسلٌ من دار الخليفة يطلبونني ويقولون: الخليفة يريدك. ثمّ وافت بعدهم طائفة ثمّ وافاني زُرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى ادخلني الى الخليفة فقال: يا سيّدي هوذا حنين. (قال) فقال: ادفعوا الى زرافة ما ضمنّا لهُ. (قال) فدُفع اليهِ ثلاثون الف درهم ثمّ أقبل عليّ فقال: انا جائع فما ترى في العشاء؟ فقلتُ لهُ في ذلك قولًا. فلمّا فرغ من اكلهِ سألتُ عن الخبر فقيل لي انّ مغنّياً غنّاهُ صوتاً فسألهُ لمن هو فقال: لحنين بن بلُوع العبادي فامر زرافةَ باحضار حنين بن بلوع العبادي فقال لهُ: يا امير المؤمنين لا اعرفهُ. فقال: لا بُدّ منهُ وان احضرتهُ فلك ثلاثون الف درهم. (قال) فاحضرني ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسهِ من النبيذ وحضرتُ وقد جاع فاشرتُ عليهِ بان يقطع النبيذ ويتمشّى وينام ففعل

٩ الاخطل التغلبيّ

ليس بين شعراء النصرانيّة بعد الاسلام شاعر بلغ مبلغ الاخطل التغلبيّ بجودة شعرهِ ومتانتهِ وغزارتهِ وتفنّنهِ. وقد اتّفق على ذلك كلّ ارباب النقد على اختلاف نزعاتهم واديانهم ومواطنهم. فلا يَسَعنا ان نضرب صفحاً عنهُ في ذكرنا لشعراء النصرانيّة في عهد بني اميّة وهو شاعرُهم غير منازَع يفتخرون بهِ ويجلّونهُ محلّ ندمائهم واعزّ اصدقائهم ويجيزون لهُ ما لا يجيزونهُ لسواهُ من اصحابهم

على انّ احد اخوتنا حضرة الاب انطون صالحاني قد شُغف بهِ وبشعرهِ منذ ثلثين سنةً فلم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من امورهِ الّا كشف عنها القناع استنادًا الى ثلث نسخ من ديوانهِ والى ما ورد من اخبارهِ المتفرّقة في عشرات من تآليف الادباء وهو لا يزال يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ ليلتقط ما لعلّهُ فاتهُ من آثارهِ ويُعدُّ فهارسهُ التي ستكلّل طبعة ديوانهِ بتاج من الكمال لا نظنُّ ان شاعرًا آخر اصاب مثلهُ . وعليهِ لم يبقَ لنا الّا ان نغرف من هذا البحر الطامي ونستخرج بعض دراريّهِ لنصوغ لشاعرنا قلادةً صغيرة محيلين قرّاءنا الى ما جمعهُ رصيفنا المفضال

﴿اصل الاخطل ونسبهُ وصباه﴾ هو ابو مالك غياث بن غوث من قبيلة غَنْم ابن تغلب . كان مولدهُ في اواسط القرن السابع للميلاد نحو السنة ٦٤٠م . ولد في الجزيرة اي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرقّة والرصافة . وكان ابوهُ غوث من وجوه قومهِ وامّهُ ليلى تُعرف بامّ كعب وكانت تحبّهُ وتُعنى بأمرهِ . وكان الولد اشهب الشعر لطيف المنظر فعلّقت على صدرهِ صليبًا لم ينزعهُ عن صدرهِ حتى في ايّام كهولتهِ وعند دخولهِ على الخلفاء فعُرف لذلك بذي الصليب

ما كاد الولد يبلغ اشدّهُ حتى ظهرت فيهِ ملامح النجابة والذكاء ولعلّهُ تفقّه في اصول القراءة والكتابة على بعض كهنة قومهِ . وما يلوح من بعض اعمالهِ في صباهُ انّهُ كان فَرِهًا جريئًا سليط اللسان لا يهاب سطوة اكبر منهُ فلقّبوهُ بالاخطل اي السفيه . وسَمِع الشعر من بعض مواطنيهِ فتنبّه اليهِ ذهنهُ ووجد في قريحتهِ شحذًا لقَرْبهِ فقالهُ وهو غلام مترعرع

﴿دينهُ﴾ ولد الاخطل نصرانيًّا وتلقّن مبادئ دينهِ في حداثتهِ وثبت عليهِ في مدى حياتهِ . والمرجّح انهُ كان على مذهب اليعقوبيّة الذي كان شاع في قبائل البادية . وكان الاخطل يجاهر بدينهِ لا يعمل فيهِ الحياء البشري . والدليل عليهِ دخولهُ على الخلفاء والصليب على صدرهِ لا يخجل من حَمْلهِ علانيةً . كما انّ هجاء اقرانهِ الشعراء ولاسيّما جرير لم يؤثّر فيهِ من هذا القبيل . ولمّا عَرض عليهِ الخليفة عبد الملك ان يدين بالاسلام أبى ونجا منهُ بأبيات هزليّة . وسمعهُ هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدتهِ اللاميّة قولهُ :

واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجِدْ ذُخْرًا يكونُ كصالحِ الاعمالِ

فقال لهُ : هنيئاً لك يا ابا مالك هذا الاسلام . فقال لهُ : يا امير المؤمنين مـا زالتُ مسلماً في ديني . ولمّا دعاهُ بعضهم في الكوفة الى دخول مسجد بني رؤاس ليصلّي وكان مؤذّنهم نادى بالصلاة قال (من الوافر) :

أصلّي حيثُ تُدرِكني صَلاتي وليس البِرُّ عنـد بني رؤاسِ

وربّما قرّعوهُ بالكفر فكان لا يكترث لشتمهم . وعلى خلاف ذلك كان يرضخ لاوامر رؤسائهِ النصارى ويتقرّب اليهم في اسرار دينهِ فكان «يقوم بين يدي قسّيسهِ لأخذ القربان» كما بكّتهُ عليهِ جرير بعد قولهِ (من الطويل) :

وانّي لَقوّامٌ مَقـاوِمَ لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُهـا

بل كان مع إبائهِ وعزّة نفسهِ لا يستنكف من تأديب رؤسائهِ لهُ كما اخبر عنهُ في الاغاني ابو الفرج عن احد الرواة انـهُ رأى القسّ في الجزيرة وقد قبض بلحيـة الاخطل وضربهُ بعصاهُ وهو يُصيءُ كما يصيءُ الفرخ فقال لهُ : اين هذا ممّا كنتَ فيـهِ بالكوفة . فقال لا فُضَّ فوهُ : يا ابن اخي اذا جاء الدين ذَلَلْنا (الديوان٣٣٧)

واعجبُ منهُ ما رواهُ هناك ايضاً اسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نون عن تذلّلهِ في دمشق لقسّيسهِ وفي طبقات الجمحيّ (ص١٤٤) لاسقفهِ قال (الاغاني٧ : ١٨٢–١٨٣) :

«قدمتُ الشام وانا شابّ مع ابي فكنتُ اطوف في كنائسها ومساجدهـا فدخلتُ كنيسة دمشق واذا الاخطل محبوس فجعلتُ انظر اليهِ فسأل عني فأُخبر بنسبي فقال : يا فتى انك لَرجلٌ شريف واني اسألك حاجةً . فقلتُ : حاجتك مقضيّة . قال : انّ القسّ حبسني ها هنـا فتُكلّمهُ ليُخلي عني . فاتيتُ القسّ فانتسبتُ لهُ فرحّب وعظّم . قلتُ : انّ لي اليـك حاجةً . قال : مـا حاجتك . قلتُ : الاخطل تخلي عنهُ . قال : « اعيذُك بالله من هذا . مثلُك لا يتكلّم فيـهِ فاسقٌ يشتمُ اعراض الناس ويهجوهم » . فلم ازل اطلب اليهِ حتى مضى معي متّكئاً على عصاهُ فوقف وجعل يعدّدهُ ورفع عليهِ عصاه وقال : « يا عدوّ الله أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات » وهو يتضرّع اليهِ ويقول : « لستُ بعائد ولا افعل» ويستخذي لهُ . (قال) فقلتُ لهُ : « يا ابا مالـك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي لـهُ . (قال) فجعل يقول لي : انّهُ الدين انّهُ الدين »

وآثارُ الدين في شعر الاخطل قليـلة سواءٌ كان السبب ضيـاع بعض شعرهِ ام بالاحرى لعدم وجودهِ داعياً لوصف الدين . وفي ديوانهِ انهُ كان يحلف بالانجيل والقربان . وفي شعرهِ اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرّر

فيهِ ذكر الانبياء والجنّة والخلود. وقلّما تجد قصيدةً بين قصائدهِ الّا دلّت على تديُّنه ان لم تدلّ على نصرانيّتهِ

﴿ اتّصال الاخطل بالخلفاء ﴾ تنقّل الاخطل في البلاد مع قبيلتهِ تغلب الرُّحل فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومهِ بني مالك وعاش مدّة في الحيرة حتى قال عنهُ في الاغاني (٧: ١٧٠) انهُ «كان نصرانيًّا من اهل الحيرة» وقد مرَّ لنا ذكر مرورهِ بالكوفة. ثمَّ نمى خبرهُ الى الخلفاء بني اميّة فرحل اليهم الى دمشق فما لبث ان حظي عندهم اوفر حظوى لمّا سمعوا انشادهُ واختبروا جودة قريحتهِ وغزارة مادّتهِ ورسوخ قدمهِ في صناعة الشعر وابتكارهِ للمعاني البليغة وصوغها في الطف ديباجة من اللفظ. وقد مدح خلفاء الامويين مباشرةً بيزيد بن معاوية ثم نظم القصائد الطنّانة في عبد الملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فأولع الخلفاء بشعرهِ وحملهم تفضيلهم لهُ على غيرهِ الى ان دعوهُ بشاعر بني أُميّة واكرموهُ ايَّ اكرام واغزروا عليهِ صِلاتهم بل حدا بهم حبُّهم لهُ انّهم اتّخذوهُ كنديمهم ولم يؤاخذوهُ بشربهِ الخمر. وكان عبد الملك خصوصاً معجباً بهِ اخبر ابو عمرو (الاغاني ٧: ١٧٧—١٧٨) قال: لقد كان الاخطل يجيء وعليهِ جبّةُ خزّ وحرزُ خزّ في عنقهِ سلسلة ذهب تنفضُ لحيتهُ خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن. فلمّا انشدهُ قصيدتهُ الرائيّة التي اوّلها (من البسيط):

خفَّ القَطِينُ فراحوا منك او بَكَروا وأزعجَتْهم نوًى في صَرْفِها غِيَرُ

قال عبد الملك لغلامهِ: خذ بيدهِ يا غلام فأخرجهُ ثمّ ألقِ عليهِ من الخلع ما يغمرهُ وأحسِن جائزتهُ. ثمَّ قال: انَّ لكل قوم شاعرًا وانَّ شاعر بني اميّة الاخطل

وفي الاغاني (٧: ١٧٥) نكتةٌ هزليّة رواها قبل انشادهِ القصيدة السابقة قال:

«دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشدهُ فقال: قد يَبِسَ حلقي فمُرْ مَن يسقيني. فقال: اسقوهُ ماء. فقال: شرابُ الحمار وهو عندنا كثير. فقال: فاسقوهُ لبنًا. قال: عن اللبن فُطِمْتُ. قال: فاسقوهُ عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتُريد ماذا؟ قال: خمرًا يا امير المؤمنين. قال: او عَهِدتَني اسقي الخمر لا أمَّ لك لولا حُرْمتُكَ بنا لفعلتُ بك وفعلتُ. فخرج فلقي فرّاشًا لعبد الملك فقال: ويلك انَّ امير المؤمنين استنشدني وقد صَحِلَ صوتي فاسقني شربةَ خمر. فسقاه فقال: أَعدِلْهُ بآخر. فسقاهُ آخر. فقال: تركتَهما يعتركان في بطني. اسقِني ثالثًا.

فسقاهُ ثالثًا فقال: تركتني امشي على واحدة أعدِلُ مَيْلي براجع. فسقاهُ رابعًا فدخل على عبدالملك فانشدهُ »

قال الاصمعيّ فلمَّا انشدهُ قصيدتهُ «خفَّ القطينُ» جعلتُ أرى عبد الملك يتطاوَلُ لها ثم قال: ويحك يا اخطل أتُريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعرُ العرب ؟ قال: اكتفي بقول امير المؤمنين. وامر لهُ بجفنة كانت بين يديهِ فمُلئت دراهم والقى عليهِ خلعًا وخرج بهِ مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعرُ العرب

وكما تفرَّد الاخطل بمديح بني اميَّة قد برَّز ايضًا في مديح كبار دولتهم واعيان زمانهِ كبشر بن مروان والحجّاج بن يوسف وعِكْرِمة الفيَّاض ومَصْقلة بن هبيرة وهمّام بن مُطرِّف ويزيد بن المهلّب وكثيرين غيرهم. وكانوا كلّهم يفضّلون مديحهُ على كلّ نفيس ثمين

جاء في وفيات الاعيان لابن خلّكان (٢: ٣٥٠—٣٥١) وفي تحفة المجالس للسيوطي (ص ٢٠٢) وغيرهما انَّ الحجّاج بن يوسف حبس يزيد بن المهلّب (والي خراسان) لبقايا كانت عليهِ من خراج خراسان وأقسَمَ ليَسْتأْدي منهُ كلَّ يوم مائةَ الف درهم. فبينما هو يومًا وقد اجتلى فيهِ اذ دخل عليهِ الاخطل فأنشدهُ (من الطويل):

أبا خالدٍ ضاعت خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجاتِ اين يَزِيدُ
وما قطَرَتْ بالريِّ بعدك قَطرةٌ ولا اُخضرَّ بالمَرْوَيْنِ بعدك عُودُ
وما للسرير بعد مُلكك بهجةٌ ولا لجوادٍ بعد جودِكَ جودُ

فقال: يا غُلام أعطِهِ المائة الف درهم وانا اصبرُ على عذاب الحجّاج ولا نُخيب الاخطل. فبلغ الحجّاج فقال: للهِ درُّ ابن المهلّب لو كان تاركًا للسخاء لتركهُ وهو يتوقّع الموت فعفى عنهُ وخلّى سبيلهُ (١

١) اطلب ديوان الاخطل (ص ٣٨١—٣٨٢) وراجع ما ورد هناك في نسبة هذه الابيات لغير الاخطل.

﴿ رُتبة الاخطل بين الشعراء ﴾ اذا ما جمعنا ما حكَمَ بهِ ارباب اللغة واصحاب النقد الصحيح عن شعر الاخطل لاتضح لنا انهُ بلغ رتبةً اكبر شعراء العرب وكلّهم ينظمهُ بين فحولهم الاوّلين . وكفى بهِ فخرًا ان ابا عَمْرو بن العلاء جعلهُ في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبيانيّ في الجاهليّة ويفضِلهُ لصحّة شعرهِ . وقد قال عنهُ (الاغاني ٧ : ١٧٤—١٧٥) : « لو ادرك الاخطل يوماً واحدًا من الجاهليّة لَما فضّلتُ عليهِ احدًا » . ومثلهُ ابو عبيدة كان يقول : «شعراء الاسلام الاخطل ثمّ جرير ثمّ الفرزدق . . والاخطل اشبه بالجاهليّة واشدُّهم أسرَ شعرٍ واقلُّهم سقطاً » . وروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٣٠١) لمَسْلَمة بن عبد الملك انهُ شبَّهُ الاخطل وجريرًا والفرزدق بثلثة افراس تجري في حَلبة السباق فقال : انَّ الاخطل سابقٌ ابدًا في كلّ حالاتهِ بخلاف جرير والفرزدق اللذين يتقدّمان حيناً ويتخلّفان حيناً آخر . وقد خصّوا الاخطل بالتقدُّم في الوصف والفخر ومدحوا هَجْوهُ فقالوا : انهُ كان اخبث الشعراء هجاء في عَفافٍ من الفحش . والفحش كثير في شعر جرير والفرزدق . وسُئل حمّاد الراوية عن الاخطل فقال : « ما تسألوني عن رجل قد حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيّة » . ثمّ قال : اشعر العرب شيخا وائلٍ : الاعشى في الجاهليّة وهو صنّاجة العرب . والاخطل في الاسلام »

ولمّا كان الفضل ما اقرّت بهِ الاعداء يحسن بنا هنا ان نروي ما اخبر بهِ نوح بن جرير (الاغاني ٧ : ١٧٢) قال : بينا انا آكل مع ابي يوماً وفي فيهِ لقمة وفي يدهِ اخرى فقلتُ : يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل ? فجَرِضَ بلقمتهِ التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال : « يا بُنيَّ لقد سررتَني وسُؤتني فامّا سرورك ايّاي فتَعَهُّدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ . وامّا ما سؤتني بهِ فذكرُك رجلًا قد مات . يا بُني ادركتُ الاخطل ولهُ نابٌ واحد ولو ادركتهُ ولهُ نابانِ لأكلني . ولكنّني أُعِنتُ عليهِ بكفر (يريد نصرانيّتهُ) وكبر سنّ »

﴿ اخبار الاخطل في حروب قومهِ ﴾ لمّا توفي يزيد بن معاوية الخليفة الامويّ سنة ٦٤ (٦٨٣م) اعتزل ابنهُ معاوية الثاني بعد مئة يوم . وبايع الناسُ عبد الله بن الزبير في المدينة امّا اهل الشام فبايعوا مروان بن الحكم فكان ذلك سبباً لحرب عوانٍ وقعت بين الخليفتين كان فيها النصر لمروان على خصمهِ في مَرْج راهطٍ قريباً من دمشق . وكان التغلبيّون يناصرون مروان بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله

ابن الزبير . فثبتت العداوة مدّةً بين القبيلتين ووقعت عدّة وقائع بينهما كان الظفر فيها سِجالًا لاحدى القبيلتين وكان الاخطل يحارب القيسيين مع تغلب ولهُ في وصف تلك الحروب قصائد يصف ويلاتها ويذكر فظائع قيس ورؤساءهم كزُفَر بن الحارث وعُمَير بن الحُباب والجحّاف . وفي احد ايّام هذه الحروب في يوم البِشر قُتل ابو الاخطل غياث وقيل بل هو ابنهُ ابو غياث ووقع الاخطل في أسر الاعداء قال ياقوت في معجم البلدان (١ : ٦٣١–٦٣٢) : « أُسِر الاخطل وعليهِ عباءة فظنّوهُ عبدًا وسُئل فقال : انا عبد . فخُلّي سبيلهُ فخشي ان يُعرَف فيُقتَل فرمى نفسهُ في جبٍّ من جبابهم فلم يزل فيهِ حتى انصرف القوم فنجا . وعظم قدر التغلبيّين في اعين بني اميّة وحملوا ديات القوم . على انَّ الاخطل فارَتْ في قلبهِ فائرة الغضب اذ بلغهُ يومًا بعد صلح القبائل انَّ عبد الملك استنزل زُفر بن الحارث من قصرهِ في قرقيسيا وأقعدهُ معهُ في سريرهِ . فدخل عليهِ ابن ذي الكلاع وكان قومهُ حاربوا مع تغلب وبني اميّة فلمّا رأى زفر على السرير بكى فقال لهُ عبد الملك : ما يبكيك فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافهِ عليك ثمَّ هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم أُجلسهُ معي لانهُ اكرمُ عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فقال الاخطل لمّا أُخبر بذلك : أما والله لأقومنَّ في ذلك مقامًا لم يَقمْهُ ابن ذي كلاع ثم دخل على عبد الملك فلمّا ملأ عينهُ منهُ قال (من الوافر) :

وكأسٍ مثلِ عينِ الديكِ صِرفٍ تُنَسّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثًا بغير الماء حاول ان يَطولا
مَشي قُرَشيَّةً لا عَيبَ فيها وأرخى من مآزرهِ الفضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما أخرَج هذا منك يا ابا مالك الّا خطَّةٌ (خلّة؟) في رأسك قال : أجل يا امير المؤمنين حين تُجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس :

لعمري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهطٍ لمروانَ صدعًا بيننا مُتنائيا

فلا صُلحَ حتى تَنحَطَ الخيلُ بالقنا وتثأرُ من نسوانِ كلبٍ نسائيا

فقد ينبُتُ المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجلهُ ثمَّ ضرب بها صَدْرَ زُفَر فقلبَهُ عن السَّرير. وقال: أذهبَ اللهُ حزازات تلك الصدور . فقال : انشدُكَ الله يا امير المؤمنين والعهدَ الذي اعطيتني. فكان زُفَر يقول : ما ايقنت بالموت قطّ الّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال (الاغاني ٧ : ١٧٦—١٧٧)

﴿ موت الاخطل ﴾ قال حضرة ناشر ديوان الاخطل (ص ٣٧١) : انّ الاخطل عمّر عمرًا طويلًا حتى قيل عنهُ انهُ «شيخ قد تحطّم الاغاني (٧ : ١٧٢) وانهُ « دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنّ ونفدَ اكثر عُمرهِ » (الاغاني ٧ : ٣٨) ووُصف بانهُ «رجل ابيض الرأس واللحية (الاغاني ٩ : ١٦٩) فاستنتج حضرتهُ من هذه الادلّة ان الاخطل يكون توفّي نحو السنة ٦٩٢ ﻫ اي ٧١٠ للمسيح. قال حضرتهُ : « الّا انّ شوكتهُ في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادّةً نافذةً يرشدك الى ذلك قصائد دريّة نظم جواهرها في آخر حياتهِ . وكانت وفاتهُ في خلافة الوليد بن عبد الملك ولهُ فيهِ عدّة قصائد امتدحهُ بها»

وروى صاحب الاغاني (٧ : ٦) انّ الوليد بن عبد الملك قال لجرير : فما تقول في الاخطل ؟ قال : ما أخرجَ لسانُ ابن النصرانيّة ما في صدرهِ من الشعر حتى مات » . واخبر ايضاً (٧ : ١٨٠) انهُ لمّا حضرت الاخطلَ الوفاةُ قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي فقال (من المتقارب) :

أُوصي الفرزدقَ عند المَماتِ بأُمّ جريرٍ وأعيارِها

وزار القبورَ ابو مالكٍ برَغْمِ العُداةِ وأوتارِها

﴿ ديوان الاخطل ﴾ روى ابن الاعرابي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٧٨ و ١٥٧) انّ ابا سعيد الحسن المعروف بالسكّري « عَمِلَ شعر الاخطل وجوّدهُ » اي ضبطهُ ونظّمهُ . وانّما كانت نُسخ هذا الديوان اعزّ من بيض الأنوق . ولقد كان يُعرف منها الى السنة ١٨٨٧ نسخة وحيدة قديمة في بطرسبورج كان يصعب الاطّلاع

عليها . ففي السنة ١٨٨٧ اهدى الى مكتبتنا الشرقيّة احدُ الاصحاب عدّةً من المخطوطات التي كان الحلبيّ الشهير والاديب البارع رزق الله حسّون نسخَها بخطّهِ الجميل نسخاً بديعاً على ورق صقيل مزيّن الاطراف بنقوش صناعيّة رائعة . فكان من جملتها نسخة من ديوان الاخطل منقولة عن نسخة بطرسبورج . فنبَّهَ وجودها خاطر حضرة الاب صالحاني واستفزّتهُ النخوة لنشرها كأثر فريد في جنسهِ . ثمَّ كتب لناظر مكتبة بطرسبورج المستشرق الطيّب الذكر البارون فون روزن فتلطَّف وقابل النسخة الحسّونيّة على الاصل الذي ترى منهُ مثالًا في صدر طبعتنا . فتحفَّز الاب الغيور بعد ذلك للعمل ونشر الديوان بأهبة علميَّة مستوفية ضاعفت قيمتهُ فبلغ مع حواشيهِ وملحوظاتهِ المتنوّعة ٤٠٠ صفحة في اربعة اقسام . هذا فضلًا عن طبعهِ البديع الذي قلّما يُشبههُ كتاب آخر في مطبوعات الشرق والغرب

ولمّا كانت السنة ١٩٠٥ توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي المرسل في بغداد فوجد نسخة مخطوطة من ديوان الاخطل في دار السلام . فتمكّن متولّي طبع الديوان من اقتنائها بهمّة الاب الكرملي فنشرها بتصوير النور وطبع الحجر لما فيها من الزيادات والروايات والشروح التي لا توجد في نسخة بطرسبورج ودلَّ على كلّ ذلك بتذييلات وفهارس متقنة . فجاء هذا الاثر طرفةً جديدة تضاف الى السابقة

وبعد ذلك بسنتين أطلع جناب الدكتور الايطالي والمستشرق اوجينيوس غريفيني الاب صالحاني على نسخة ثالثة وُجدت في اليمن ذات فوائد جمّة فرضي ان ينشرها في مطبعتنا كتتمّة للنسختين السابقتين . وقد عُلق عليها ايضاً كثير من التعليقات المفيدة والفهارس المدقّقة مع المقدّمات المتنوّعة . فزاد اقبال العلماء على هذا الديوان الجميل

ثمَّ بلغ حضرة الاب انَّ في الاستانة العليّة في المكتبة المعروفة بالعموميّة(ع٥٤٧) نسخةً فريدة قديمة جدًّا بخطّ يقرب من الخط الكوفي من نقائض جرير والاخطل فيها عدّة قصائد ليست في نسخ الديوان او هي اتمّ منها . فلم يصبر عنها حتى تجشّم السفر الى عاصمة الدولة والحربُ على وشك الانتشاب فاستنسخها واعدَّها للطبع في بُهرة الحرب فما كادت تحطّ اوزارها حتى باشر بنشرها فجاءت اثرًا رابعاً لا يقلّ

ثمنهُ عن الآثار المتقدّمة كما شرحنا ذلك في مقالة انتقاديّة في المشرق (٢٠ :[١٩٢٢]: ١٤٤-١٤٨)

ويُضاف الى المطبوعات السابقة ملحقٌ على ديوان الاخطل «يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة ظهر منهُ قسمهُ الاوّل في ١٠٧ صفحات دقيقة الحروف وسيظهر عمّا قريب ان شاء الله قسمهُ الثاني الاخير . جازى الله اوفر جزاء القائم بهذا العمل الذي تنوء تحت عبئهِ مناكب الفحول

﴿ نخبة من شعرهِ ﴾ انّنا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابيّة التي سُئلت عن ايّ اولادها احبُّ اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انّهُ الاحبُّ اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حَيْرتها : انّهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرَى اين طرفاها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلًّا منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على انّنا في آخر امرنا اضطرّنا ضيق المجال ان نُثبت نُتفاً قليلة من شعرهِ نجعلها كمثال في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحرّ حتى قيل عنهُ انهُ فاق على سواهُ من الشعراء بالوصف فلهُ في الزهد (الديوان ١٧٦-١٧٧) (من الطويل) :

أعاذِلَتيَّ اليومَ وَيْحكما مَهْلا ... وكُفَّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا عَذْلا
ذَراني تَجُدْ كفّي بمالي فانّني ... سأُصبحُ لا أستطيعُ جودًا ولا بُخلا
اذا وضعوا فوق الضريحِ جنادلًا ... عليَّ وخلّيتُ المطيّةَ والرَّحلا
وأبكيتُ من عِتبانَ كلَّ كريمةٍ ... على فاجعٍ قامت مشقّقةً عُطلا(١)
مُدمّيةً حُرًّا من الوجهِ حاسرًا ... كأن لم تمُتْ قبلي غلاماً ولا كهلا

(١) عتبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأتهُ الثكلى . والمشقّقة التي تشقّ ثيابها حزناً . والعطل المجرّدة من الحلى

وقد كُنتُ فيما قد بنى ليَ حافري ... اعالِيَــهُ تَوًّا واسفلَــهُ دَحْــلَا (١

فــلا انا مجتــازٌ اذا مــا نَزلتُــهُ ... ولا انا لاقٍ ما ثوَيتُ بهِ أهــلا

وقد قسَّموا مالي وأَضحت حَلائلي ... قد استبدلَتْ غيري ببهجتها بَعْلَا

أَعاذِلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ ... اذا ما دعا يوماً اجابت لهُ الرُّسْلَا

ذَرِيني فــلا مالي يَرُدُّ منيَّتي ... وما إن أرى حيًّا على نفسهِ قُفْلا(٢

وليس بَخيلُ النفس بالمال خالدًا ... ولا من جوادٍ فأعلمي مَيّتٍ هَزْلا

ألا رُبَّ مَنْ يَخْشى نوائبَ قومهِ ... وريبُ المنــايا سابقاتٌ بهِ الفِعْلا

ويا رُبَّ غــادٍ وهو يُرجى إيابُهُ ... وسوفَ يلاقي دون أَوْبتــهِ شُغلا

وقد اشتهر وصفهُ الفرات عند فيضانهِ (٩٦—٩٧) شبَّه بهِ كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما مُزبِدٌ يَعلو جزائرَ حــامرٍ ... يَشُقُّ اليهــا خَيْزُراناً وغَرْقَدا (٣

تحرَّز منهُ اهلُ عانَةَ بعدَما ... كسا سُورَها الأعلى غُثاءً مُنضَّدا(٤

يُقمِّصُ بالمــلَّاح حتى يَشفَّهُ م ... الحِذارُ وان كان المُشيحَ المعوَّدا(٥

بِمُطَّرِدِ الآذِيّ جَوْنٍ كــأنّما ... زَفا بالقراقيرِ النَّعامَ المُطرَّدا (٦

١) يقول ان حافر قبري قد بناهُ توًّا اي منصوب البِناء. ودَحْلًا اي كالسراب تحت الارض

٢) اي يجمل لنفسه قفلًا ايصونها من الموت

٣) ويروى: جلاميد حامرٍ وحامر ناحية بين منبج والرقّة على شاطئ الفرات. والغرقد كبير العوسج ٤) عانة قرية على الفرات. والغثاء ما يقذفهُ النهر من الزَّبَد ونفايات النبات والاوراق. والمنضَّد المتراكم ٥) يقمّص بالملّاح اي يوقع اضطراباً في السفينة حتى يُخيف الملّاح من سَوْرتهِ وان كان مشيحاً اي حاذقاً في تدبير السفن

٦) المطَّرد المتتابع. والآذيّ الموج والجون الابيض المُزبد. وزفا حثَّ. اي يدفع الفرات بامواجهِ المتوالية المزبدة سفينة الملّاح المُشبهة بشراعها الابيض طير النعام الناشر جناحيهِ عند طرده

كـأنَّ بناتِ المـاء في حَجَراتِهِ ... أباريقُ اهدَتْهَا دياف لصَرْخدا(١

بأجودَ سَيباً من يزيدَ اذا غدَتْ ... بهِ بُختُهُ يَحمِلنَ مُلكاً وسُؤْدَدا(٢

وكم اجاد الاخطل بوصف صيد ثور الوحش فلهُ فيهِ كلُّ حسنة كقولهِ (٢٦٠–٢٦٢) يشبّه ناقتهُ بعد طول سيرها بضمور الثور (من البسيط) :

كأنّها بعـد ضمّ السَّير جَبلَتَها ... من وَحْشِ غَزَّةَ مَوْشيِّ الشَّوى لَهَقُ(٣

باتت لهُ ليلـةٌ هاجت بَوارحُهـا ... ومُرْزِمٌ من سَحاب العَين يأتلِقُ(٤

يلوذُ ليلتَـهُ منهـا بغَرقَدَةٍ ... والغصنُ يَنطِفُ فوق المَتنِ والورَقُ(٥

باتَ الى جـانبٍ منها يكفّنُهُ ... ليلٌ طويلٌ وقلبٌ خائفٌ أرِقُ(٦

فـالقَطرُ كاللُّؤلؤِ المَنثورِ يَنفُضُهُ ... اذا اقشعَرَّ بهِ سِرْبالُـهُ اللَثِقُ(٧

حتى اذا كاد ضوء الصُّبحِ يَفضَحُهُ ... وكاد عنـهُ سوادُ اللَيـلِ يَنطلِقُ

هاجت لهُ ذُبَّلٌ مُسْحٌ جواعِرُها ... كأنّمـا هنَّ من نَبعيَّـةٍ شِقَقُ(٨

فظلَّ يَهوي الى أمرٍ يُساق لـهُ ... وأتبَعَتْهُ كلابُ الحيّ تستبِقُ(٩

---

١) بنات الماء الطير . والحَجَرات نواحي النهر. شبَّه الطير بأباريق من الخمر يرسلها اهل دياف الى اهل صَرخد وهما قريتان في حوران ٢) البُخت الابل الخراسانيّة

٣) يقول انَّ ناقتهُ بعد ان اضمر السَّير جَبْلتها اي بدَنها اشبهت ثور وحش يُرى في انحاء غزّة. وجلدُ شواهُ اي قوائمهُ . مَوْشيّ اي شبيه بالوشي . واللَّهَق واللَّهِق الشديد البياض

٤) البوارح الرياح الشديدة ثمّ استعار للسحاب عيناً. مُرزم اي أُسمع صوت الرعد حيناً وتأتلق اي تبرق حيناً آخر ٥) اي يأوي ليلتهُ تحت غَرقدة اي عوسجة كبيرة بينما يتزل على جسمهِ منها نقط المطر التي تقطر عليهِ من اغصان الغرقدة واوراقها ٦) منها اي من الغرقدة . يكفّنهُ يقلّبهُ ذات اليمين وذات الشمال لطول الليل ولخوفهِ من الريح والمطر. وهو أرِقٌ اي ساهر يقظان ٧) سرباله جلده. واللَّثِق المبتلّ ٨) هاجت لهُ اي ثارت كلابٌ ذُبَّل اي ضامرة . مُسْح جواعرُها اي دقيقة المؤخّر تشبه بضمورها القسيّ المتّخذة من شجرة النَّبع ٩) يهوي الى امرٍ يساق لهُ اي يهبط سائرًا الى موتهِ

يُفَرِّجُ الموتَ عنهُ قد تَحَضَّرهُ ... وكِدْنَ يَلحَقْنَهُ او قد دَنا اللَّحَقُ (١

لمَّا لَحِقْنَ بهِ أَنحى بمِغْوَلِهِ ... يَملا فرائصَها من طعنهِ العَلَقُ (٢

فكرَّ ذو حربةٍ يحمي حقيقتَهُ ... اذا نحا لِكُلاها الرَّوْقُ يَمتزِقُ (٣

فهُنَّ من بين متروكٍ بهِ رَمَقٌ ... صَرعى وآخرَ لم يُترَكْ بهِ رَمَقُ (٤

ومن اوصافهِ قولهُ (ص ٣-٤) في خمر بَيْسان من قرى فلسطين (من الطويل):

وجاؤوا بِبَيْسانيَّةٍ هيَ بعد ما ... يَعُلُّ بها الساقي أَلذُّ وأَسهَلُ (٥

فصَبُّوا عُقارًا في الإناء كأنَّها ... اذا لَمَحوها جُذْوةٌ تتأَكَّلُ (٦

تمرُّ بها الأَيدي سَنيحاً وبارحاً ... وتوضَع بِاللَّهُمَّ حيِّ وتُحمَلُ (٧

وتُوقَفُ أَحياناً فيَفصِلُ بينَنا ... سَماعُ مُغَنٍّ او شِواءٌ مُرَعبَلُ (٨

فلذَّت لِمُرتاحٍ وطابَت لشاربٍ ... وراجعَني منها مِراحٌ وأَخيَلُ (٩

فما لَبَّثَتْنا نَشوةٌ لَحِقَتْ بنا ... تَوابعُها ممَّا نُعَلُّ ونُنهَلُ (١٠

---

١) فرَّجهُ ابعدهُ . تحضَّرهُ اي شعر بحضورهِ . اللَّحَق الإدراك
٢) انحى اليها بمِغْوَلهِ اي قصد الكلاب بقرنهِ . والعَلَق الدم
٣) اراد بحربته قرنهُ . وكذلك الرَّوْق القرن اي كرَّ الثور دفاعاً عن نفسهِ وحِماه وقصد كُلاها اي جلد صدورها فامتزقها وخرَّقها ٤) هي اي الكلاب وقع بعضها صريعاً مُدنفًا وبعضها ميتًا . الرَّمق بقيَّة الحياة
٥) اي انَّ هذه الخمر أطيب اذا كرَّر الساقي سَكْبها فيَعُلُّ بها الشاربين اي يسقيهم ثانيةً
٦) العُقار الخمر العتيقة . شبَّهَها في انائها بشعلة من النار المتَّقدة
٧) اي تتناولها الايدي تارة من اليمين وتارة من الشمال . ويُذكر عليها اسمُ الله عند رَفعها ووَضعها ٨) اي لا يتوقَّفون عن شربها الَّا لسماع الغناء او لأكل قِطَع من اللحم المشويّ رَعْبل اللحمَ قطَّعهُ لينضج على النار
٩) المِراح النشاط . والأَخيَل كالخُيَلاء العُجب والكبر
١٠) النشوة السكر . والنَّهَل اوَّل الشرب والعَلَل ثانيهِ

فدَبَّتْ دبيباً في العِظام كأنَّها دبيبُ نِمالٍ في نقاً يتهيَّلُ (١

ومثلهُ ظرافةً وصفهُ (ص٣٢١) للشمل السكران (من الطويل) :

شرِبْنا فَمِتْنا مِيتةً جاهليّةً مضى اهلها لم يعرفوا ما مُحمَّدُ (٢
ثلثةَ ايَّامٍ فلمَّا تنبَّهتْ حُشاشاتُ انفاسٍ أتتنا تَرَدَّدُ (٣
حَيِينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حَشْرٍ أتاناهُ مَوْعِدُ (٤
حياةَ مِراضٍ حَولَهم بعد ما صَحَوْا من الناس شتّى عاذلون وعُوَّدُ (٥
وقُلنا لِسَاقينا عليك فَعُدْ بنا الى مثلها بالأمسِ فالعَوْدُ أحمَدُ
فجاء بها كأنَّما في إنائهِ بها الكوكبُ المِرّيخُ تَصفو وتُزبِدُ (٦
تفوحُ بماء يُشبهُ الطيبَ طيبُهُ اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يدُ
تُميتُ وتُحيي بعد موتٍ وموتُها لذيذٌ ومَحْياها ألذُّ وأحمدُ

﴿الفخر﴾ وللاخطل في الفخر (ص٣٠٧) قولهُ يذكر قومهُ (من الطويل) :

ولكن لنا بَرُّ العراقِ وبَحْرُهُ وحيثُ ترى القُرْقورَ في الماءِ يسبَحُ
اذا ابتدَرَ الناسُ السِجالَ وجدتَّنا لنا مِقْدحا مجدٍ وللناس مِقْدَحُ (٧

١) شبَّهَ فعل الخمرة في العظام بحركات النمل في نقًا يتهيَّل اي في كثيبٍ من الرمل يَنْهار ويتحدَّر ٢) يقول شربنا الخمر فسكرنا وكان السكر اشبه بالموت . وذلك على سُنَّة العرب في الجاهليَّة اذ لم يبلغهم تحريم محمَّد للخمر . ويروى : خلا انَّنا في موتنا ليس نُلْحَدُ ٣) يريد خُمار الخمر ونشوتها ايدام فيهم ثلثة ايَّام الى ان تردَّدت اليهم بقيَّة حياةٍ فصحَوْا منها ٤) يقول ان الحياة التي عادت الينا ليست كالحياة التي سيحيا بها البشر يوم القيامة اذ يُحشرون من قبورهم ٥) يريد انَّ تلك الحياة بقي فيها اثر سكرهم فوجدوا حولهم لمَّا صحَوا قوماً يعودونهم كمراضٍ وقوماً يلومونهم لسكرهم
٦) شبَّهها في إنائها بالسيَّارة المرّيخ التي يضرب لونها الى الحُمرة
٧) اي اذا فاخرنا الناس وجدوا سهمنا من المجد ضِعْف سَهْمهم ونصيبهم

وانَّا لَمَمْدودونَ ما بين مَنْبِجٍ فَغافِ عُمانٍ فالحِمى لِيَ أفيحُ(١

ولهُ ايضاً (ص ١٧٨) في الفخر قولهُ (من الطويل) :

وانّي لَمِنْ عَلياءِ تَغْلِبِ وائلٍ لَأطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا

انا الجُشَمِيُّ الرَّحبُ في الحيّ منزلًا اذا احتلَّ مَضهودٌ بِمُضنيةٍ هَزْلا(٢

وعمَّايَ نِعْمَ المرءُ عمرٌو ومالكٌ وثعلبةُ المُولي بِمَنْظورةٍ فَضْلا(٣

وقد عَلِمت أفناءُ تغلب أنَّني نُضارٌ ولم أنْبُتْ بقَرْقرةٍ أثْلا(٤

وأنّيَ يوماً لا مُضِيعٌ ذِمارَها ولا مُفْلِتي هاجٍ هجا تَغْلباً بُطْلا

ومن فخرهِ (٢٤٩—٢٥٠) استقبالهُ الضيف في ليلةٍ شاتية (من الطويل) :

ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهدوّ دعوتُهُ بصَوْتيَ فاستَعْشى بِنضوٍ تَرَغُّما(٥

فجاءَ وقد بلَّتْ عليهِ ثيابَهُ سحابةُ مُسْوَدٍّ من الليل أظلما

وفي ليلةٍ لا يَنبحُ الكلبُ ضيفَها اذا نُبِّه المَبْلودُ فيها تَغَمْغما(٦

فلمَّا اضاءتْهُ لنا النارُ وأصطَلى اضاءت هِجَفًّا مُوحِشاً قد تهشَّما(٧

---

١) اي نحكم على البلاد الممتدَّة بين مدينة مَنْبِج الى انحاء عمان وخصَّ عمان بالغاف وهي شجرة مُشوكة تكثر فيها . ثمَّ قال ان حمانا أفيح اي اوسع واوفر

٢) المضهود الطريد المقهور . والمُضنية المُصيبة المُنهكة للقوى . يقول اذا التجأ الى منزلي بئيسٌ وجد عندي منزلًا رحباً ٣) جُشَم وعمرو ومالك وثعلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسبهِ الى تغلب ٤) افناء تغلب احياؤها . النُضار الشجر الصلب العود بخلاف الأثل اي شجرة الطرفاء يكون خشبُها خوَّارًا اذا نبت في قرقرة اي ارض ليِّنة مطمئنَّة ٥) المستنبح الطارق ليلًا الصارخ ليستهدي بنبح الكلاب الى مكان الحيّ . والهدوّ اوَّل الليل اذ يهدأ الناس . واستعشى طلب موضع النار وهو مقبلٌ على ناقةٍ نضو اي مهزولة لتعبها وهي تترغَّم اي تُردّد رغاءها ضعيفًا

٦) وصف شدَّة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبح واذا نُبّه النائم بَلَدَ في مكانهِ ولصق متغمغماً اي يُسمع صوتاً ضعيفاً ٧) يقول لمَّا انارت نارنا وجه ضيفنا وجدناهُ هجفًّا اي غليظًا جافياً . وموحشًا اي بائتاً في القفر مع الوحش

فنبَّهتُ سعدًا بعد نومٍ لطارقٍ   اتانا ضئيلًا صوتُهُ حين سلّما (١

فقلتُ لهم هاتوا ذخيرةَ مالكٍ   وان كان قد لاقى لَبوساً ومَطْعما (٢

فقال ألا لا تَجشِمُوها وانمَّا   تَنَحْنَحَ دونَ المُكرَّعاتِ لِتُجشَما (٣

وانّي لَحلّالٌ بيَ الحقُّ اتّقي   اذا نزلَ الاضيافُ ان أتجهّما (٤

اذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحومها   حلَبْنا لهم منها بأسيافنا دما (٥

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرّبت الاخطل من الخلفاء. فرفعوا قدرهُ وخصّوهُ بالطافهم. منها قصيدتهُ الرائيّة في مدح عبد الملك بن مروان (ص ٩٨—١١٢) وفيها يقول (من البسيط):

الى امرئٍ لا تُعدّينا نَوافلُهُ (٦   أظفرَهُ اللهُ فليهنأْ لهُ الظفَرُ

الخائضِ الغمْرَ والميمونِ طائرُهُ   خليفةِ اللهِ يُستَسقَى بهِ المطَرُ

والهمُّ بعد نجيِّ النَّفس يَبعَثُهُ   بالحزمِ والاصمعانِ القلبُ والحذَرُ (٧

والمستمرُّ بهِ امرُ الجميعِ فما   يَغتَرُّهُ بعد توكيدٍ لهُ غَرَرُ (٨

وما الفراتُ اذا جاشَتْ حوالِبُهُ   في حافتَيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ (٩

١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفهِ الطارق ليلاً الخافت الصوت

٢) ذخيرة مالك اي ناقة اذَّخرها لابنهِ مالك . يُريد ان يُتحف بها ضيفَهُ

٣) يقول انَّ الضيف قال: لا تتكلّفوا مثل هذه الضحيَّة لكنَّهُ تنحنح اي ردّ ذلك وامتنع ظاهرًا عن تضحية المُكرَّمات وهي الابل وهو يرغبُ باطنًا بان تُنحَر لهُ

٤) يقول اذا حلّ بي الضيف وجب عليَّ حقُّهُ واحذر ان استقبلهُ بوجه عبوس

٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدرار لبنها عقرناها ليشرب ضيفُنا دمها

٦) اي لا تفوتُنا هِباتهُ   ٧) اي اذا بعثَتْهُ نفسهُ الى امرٍ جليل اهتمَّ بهِ وساعدَه على القيام بهِ حزمُهُ وذكاء قلبهِ وفطنتهِ. والأصمع الذكيّ من كلّ شيء   ٨) اي انَّ الجميع ثابتون على ولائهِ. فلا تفاجئهُ بعد ذلك هلكةٌ. اغترَّهُ حلَّ بهِ بغتةً. والغَرر الفاجئة

٩) حوالبهُ اي امواجهُ. ويروى: غواربُهُ. والعُشَر كبار شجر العضاه

دَعْذَعَتْهُ رياحُ الصيفِ واضطربَتْ فوقَ الجآجئِ من آذِيّهِ غُدُرُ (١

مستَحنِفرٌ من جبال الروم يَستُرُهُ منها اكافيفُ فيها دونَها زَوَرُ (٢

يوماً بأجودَ منهُ حين تسألُهُ ولا بأجهرَ منهُ حين يُجتَهَرُ (٣

ومن مديحهِ المستحسن قولهُ (ص ٢٤٣–٢٤٦) في احد اعيان قومهِ همّام بن مُطرِّف التغلبيّ (من الطويل):

فتى الناسِ همّامٌ وموضعُ بيتهِ برابيةٍ يعلو الروابيَ طُولُها

فلو كان همّامٌ من الجنّ أصبحَتْ سُجودًا لهُ جنُّ البلادِ وغُولُها

نمَتْهُ الذُرى من مالكٍ وتعطّفَتْ عليهِ الروابي فرعُها وأصولُها

أجادت بهِ ساداتُها فترغّبَتْ لأخلاقهِ أمجادُها وحَفيلُها (٤

سَبوقٌ لغايات الحِفاظِ اذا جرى ووهّابُ اعناقِ المئينَ حَمولُها (٥

ودَفّاعُ ضَيمٍ لا يُسامُ دَنيّةً وقطّاعُ أقرانِ الامورِ وَصُولها (٦

وأخّاذُ أقصى الحقّ لا مُتهضَّمٌ اخوهُ ولا هَشٌّ القَناةِ رَذيلُها (٧

أغرُّ أريبٌ ليس يُنقَضُ عهدُهُ ولا شاهدًا مغبونةً يَستَقيلُها (٨

---

١) دعذعتْهُ فرّقتهُ. وآذيّهُ امواجهُ. والجآجئ صدور السفن الجارية على الفرات. والغُدُر جمع غدير ٢) المُسحنفر السريع الجري. اكافيف الجبال قِمَمُها وتلالها. والزَوَر المَيْل ٣) الجهير الجسيم الرائع. واجتهرتُهُ اذا اعجبَك حسنُهُ

٤) اي رغب الناس كلُّهم في خبرهِ. والحفيل الجمع الكثير اي الجمهور

٥) قال شارح الديوان: الغاية الأمَد. والحِفاظ ما وجب عليه ان يحفظهُ. واعناق المئين جماعتُها فيقول هو حمول لما يُحمَّل ٦) القَرَن الحبل يريد انّ لهُ القطعُ والوَصْل والامر والنهي ٧) هشّ القناة اي رخوها. ويروى: ذَبُولُها ٨) في الديوان انّ شاهدًا منصوبة على الحاليّة اي لا يشهد خُطّةَ غَبْنٍ ومكر. يستقيلُها اي تستوجب ان يستغفر ظالمهُ لاجلها.

جوادٌ اذا ما أمحَلَ الناسُ مُمرِعٌ ... كريمٌ لِجَوْعات الشتاء قَتولُها (١

اذا نائباتُ الدهرِ شفَّت عليهمِ ... كفاهم أذاها فاستُخِفَّ ثقيلُها (٢

يُهينُ وراء الحيِّ نفساً كريمةً ... لكَبَّةِ موتٍ ليس يُودَى قتيلُها (٣

ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ ... وأنَّ منايا الناسِ يَسعى دليلُها

فإن عاش همَّامٌ لنا فهو رحمةٌ ... من الله لم تُنفَس علينا فُضولُها (٤

وان مات لم تَستبدلِ الارضُ مثلَهُ ... لأخذ نصيبٍ او لامرٍ يعولُها (٥

وللاخطل مديحٌ جليل في مَصقلة بن هُبَيرة الشيباني(١٤٣)قد ذكرهُ سابقاً حضرة الاب صالحاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٣٨–٨٤١) ورجَّح نصرانيَّة مصقلة استنادًا الى ما رواهُ الطبري في تاريخهِ(١ : ٣٤٣٤–٣٤٣٨)ومنهُ قولهُ (من البسيط) :

دَعِ المُغمَّرَ لا تسأَلْ بمَصرَعهِ ... واسأَل بمَصقَلةَ البكريِّ مافعلا(٦

بمُتلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا ... تُهلكهُ النفسُ فيما فاتَهُ عَذَلا (٧

جزْلِ العطاء واقوامٌ اذا سُئلوا ... يُعطون نَزْرًا كما تَستوكفُ الوَشَلا(٨

وفارسٍ غيرِ وَقّافٍ برايتهِ ... يومَ الكريهةِ حتى يُعمِلَ الأَسَلا(٩

١) أمحَلَ الناس أقحطوا. ومُمرِع ذو خصب ونعمة. . وقتولُها اي مُزيلُها بعطائهِ
٢) شفَّت صَعُبت. واستُخِفَّ اي وُجد خفيفًا
٣) وراء الحيِّ اي دونَهُ. والكبَّة الدفعة في القتال. واودى هلك . يقول انهُ يخاطرُ بحياتهِ في سبيل قومهِ ويعرّض بنفسهِ لميتة تخلّد ذكر صاحبها ٤) اي عيشتهُ نعمة من الله لم يبخل الله علينا بفضلها ٥) لأمرٍ يعولُها اي يعمُّها . ويجوز يغولها اي يدهمها ويهلكها
٦) المغمَّر الذي فَضَلَهُ غيرُهُ . اراد بهِ القعقاع الذهليّ . واسأَل بهِ كاسأَل عنهُ
٧) لا تُهلكه النفس اي لا تبكّتهُ ولا تلومهُ عن كثرة ما بذلَهُ جودًا وكرماً
٨) استوكفَهُ استمطَرهُ . والوَشَل الماء القليل . شبَّه عطاء غيرهِ بالماء القليل وعطاء الممدوح بالوفرة والكثرة ٩) اي اذا نزل الى ميدان الوغى ونشر رايتهُ في يوم الحرب لا يزال يتقدَّم حتَّى يطعن العدوَّ بأسلهِ اي رمحهِ

﴿الهجو﴾ كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوَّب الى اعدائهِ سهام الهجاء . وقد رأيتَ في اخبارهِ انَّ القسيس والاسقف قد عاقباهُ على تعرُّضهِ لقذف الناس وانَّما هجاء الاخطل مع حدَّتهِ كان مع عَفاف لا تكاد تجد لهُ بيتاً بذيئاً ماجناً اللهمَّ الَّا ما ندر على خلاف قِرنَيهِ جرير والفرزدق فانَّ ديوانهما مشحون بضروب الالفاظ البذيَّة والعبارات المستقبحة القذعة . فمن هجاء الاخطل قولهُ (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جُندَب (من الطويل) :

لَعمرُكَ انَّا من زُهَيرِ بن جُنْدَبٍ ... لَدانونَ لو أنَّ القَرابةَ تَنفَعُ

فأمَّا إناء الخير منهم ففارغٌ ... وامَّا اناء الشرّ منهم فمُترَعُ

ومثلهُ قولهُ في المسمَّى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجوهُ لبُخلهِ (من الطويل) :

كأنَّ ابا مَروان يُنزَعُ ضِرسُهُ ... اذا القومُ قالوا مَتِّعونا بدِرهَمِ

واوقعُ منهُ قولهُ في بني اسد (ص ٣١٥—٣١٧) وخصَّ منهم خنجرًا (من الطويل) :

بنو أسدٍ رِجلانِ رِجلٌ تَذَبذَبَتْ ... ورِجلٌ اضافتها الينا التَّرَاتِرُ (١

فما الدينَ حاوَلتم ولكن دَعاكُمُ ... الى الدين جوعٌ لا يُغمِّضُ ساهرُ (٢

بني اسدٍ لا تذكروا الفخرَ بينكم ... فانتُمْ لئامُ الناسِ بادٍ وحاضرُ

بني اسدٍ لا تذكروا المجدَ والعُلى ... فانَّكمُ في السوقِ كُذْبٌ فواجرُ (٣

وقال يخاطب خنجرًا :

أخَنجرُ قد اخزَيتَ قومَكَ بالتي ... رَمَتْكَ فُوَيقَ الحاجِبَين السنابرُ (٤

١) تذبذبت اي تقلَّبت وذهبت الى غيرنا . والترائر الشدائد

٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩) ٣) كُذْب مخفَّف كُذُب جمع كَذُوب . ويروى : كذب سامرُ ٤) يشير الى جُرح اصابهُ في جبينهِ في بعض المناوشات . رماهُ بهِ السنابر اي بنو ام سَنبَر من بني نصر بن قُعَين

فلو كنتَ ذا عِزٍّ منعتَ ببعضهِ جبينَك أنْ تَدمى عليهِ البصائرُ
فأَبدِ لمن لاقيتَ وجهَكَ واعترِفْ بشنعاء للذِّبَّان فيها مصايرُ (١
أَمِنْ عَوَزِ الأسماء سُمِّيتَ خنجرًا وشرُّ سِلاح المسلمينَ الخناجرُ
ولو كنتَ ابصرت القنابلَ والقنا وهَبوةَ يومٍ هيَّجتْها الحوافِرُ
برابيةِ الخابور ما أقرنَتْ لنا خُزَيمَةُ اذ سارت جميعاً وعامِرُ
فما لك في حَيَّيْ خُزَيمةَ من حَصًى وما لك في قيسِ بن عَيلانَ ناصِرُ

﴿الإغراء﴾ للاخطل فيهِ اقوالٌ أحدُّ من السهام كفى منها مثلاً قولهُ (ص ١٠٥–١٠٦) للخليفة عبد الملك يحذّرهُ من زُفَر بن الحارث الكِلابي احد انصار ابن زُبَير في محاربة بني اميَّة فقال (من البسيط) :

بني أُميَّةَ انّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنَّ فيكم آمناً زُفَرُ
واتَّخِذوهُ عدوًّا انَّ شاهِدَهُ وما تغيَّبَ من اخلاقهِ دَعَرُ (٢
انَّ الضغينةَ تَلقاها وان قَدُمَتْ كالعَرِّ يكمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ (٣

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيهِ كما في سواهُ قال (ص ٢١١–٢١٢) في مطلع قصيدتهِ التي مدح فيها عكرمة الفيَّاض (من الطويل) :

ألا يا اَسْلَمي يا امَّ بِشرٍ على الهَجْرِ وعن عَهدكِ الماضي لهُ قِدَمُ الدهرِ
ليالي نلهو بالشباب الذي خلا بمُرتجَّةِ الأرداف طيِّبةِ النَشْرِ

١) المَصير الموقع . يقول لا تَستر تلك الشجَّة الشنيعة التي يتراكم عليها الذُّباب ويلزمها
٢) الدَعَر الفساد اي انَّ خارجهُ كباطنهِ دغلٌ وفساد .
٣) العَرّ الجَرَب . يريد انَّ ضغينة قلبهِ مها كمنَت فانَّها ستفشو وتنتشر

أسيلةُ مَجرى الدمعِ خفَّاقةُ الحَشا ... من الهِيفِ مِبرَافُ التَّرائبِ والنَّحرِ (١

وتَبسِم عن ألمى شَتيتٍ نباتُهُ ... لذيذٍ اذا جادت بهِ واضحُ الثَّغرِ (٢

من الجازئاتِ الحُورِ مطلَبُ سِرِّها ... كبَيضِ الأَنوقِ المستكنَّةِ في الوكرِ (٣

واني وايَّاها اذا ما لقيتُها ... لَكالماء من صَوبِ الغَمامة والخَمرِ

ولهُ في وصف غادةٍ (ص ٣٢٣) (من الكامل):

ما روضةٌ خضراءُ أزهر نَورُها ... بالقَهر بين شقائقٍ ورمالِ (٤

بَهِجَ الربيعُ لها فجادَ نباتَها ... ونمَتْ بأَسحَمَ (٥ وابلٍ هطَّالِ

حتَّى اذا التفَّ النباتُ كأنَّهُ ... لونُ الزَّخارفِ زُيِّنَتْ بصِقالِ

نفَتِ الصَّبا عنها الجَهامَ وأشرَقَتْ ... للشمسِ غِبَّ دُجُنَّةٍ وطِلالِ (٦

يوماً بأَملَحَ منكِ بَهجةَ منطقٍ ... بين العشيِّ وساعةِ الآصالِ

حسناً ولا بألذَّ منكِ وقد صفَتْ ... بعضُ النجومِ وبعضهنَّ توالي (٧

﴿الحِكَم﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكميَّة والامثال الصائبة كقولهِ (٢٥٨) (من الطويل):

---

١) الاسيلة الصقيلة الخدَّين. خفَّاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والهيف جمع هَيفاء. والترائب جمع تريبة موضع القلادة ٢) اللمَى اللِّثة التي تضربُ الى السواد. اراد بالشتيت الاسنان غير المتراصَّة المتراكبة ٣) شبهها بالجازئات جمع جازئة وهي الظبية ووصفها بالعفاف والتحصُّن ٤) القهر اسافل الحجاز ممَّا يلي نجدًا. والشقائق جمع شقيقة وهي الفُرجة بين جبلين تنبت العشب ٥) الاسحم السحاب المظلم لامتلائهِ ماءً ٦) الجهام السحاب الذي اراق ماءهُ. وغبَّ دُجُنَّةٍ اي بَعد ظلامها. والدُجُنَّة الغيم الريَّان المظلم. والطلال جمع طَلّ وهو المطر الضعيف. وصف الروضة وحسنها عند شروق الشمس عليها بعد ان رُويت من مياه الامطار ٧) يقال صفَت النجوم اذا مالت للغروب. وتوالي النجوم اواخرها

وانَّ امرءًا لا ينثني عن غَوايةٍ اذا ما اشتهتْها نفسُهُ لَجَهولُ

وكقولهِ (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبْوةٍ صاحبتُ حيناً فتُبْتُ اليومَ من جَهْلٍ وتابا
ونفسُ المرء تَرْصُدُها المنايا وتحدُرُ حولهُ حتى يُصابا
إذا أمَرَتْ بهِ ألْقَتْ عليهِ أحدَّ سِلاحِها ظُفُرًا ونابا
وأعلمُ أنَّني عمَّا قليلٍ ستكسوني جنادِلَ او ترابا

وقولهِ (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أُجْهِدُ نفسي ما وَسِعتُ لكم وهل تُكَلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

وقولهِ (١٤٣) (من البسيط) :

وبينما المرء مغبوطٌ بمأمَنهِ اذ خانَهُ الدهرُ عمَّا كان فانتقَلا

وقولهِ (١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل) :

والناسُ هَمُّهُمُ الحياةُ ولا أرى طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبالِ
واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فنكتفي بهذا القليل علَّهُ يبعث في قلوب القرَّاء الرغبة لدرس شعر الاخطل ومعرفة خواصهِ ولاسيَّما انَّ حضرة متولّي طبعه قد قرَّبهُ منهم بتوفير الاسباب لاقتباس منافعهِ الجمَّة

١٠ القطامي التَّغْلبي

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال عبدالله بن سلّام الجُمَحيّ في كتابهِ طبقات الشعراء

(éd. Hell,121) : اسمهُ عُمَير بن شُيَيم بن عمرو احد بني بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تَغلِب » والقُطامي بفتح القاف وضمّها لقبٌ غلب عليهِ وهو اسم من اسماء الصَّقر معناه المحدِّد البصر الى الصيد لقولهِ (من الرَّجز) :

يَصُكُّهنَّ جانبًا فجانبًا صَكَّ القُطاميِّ القَطا القَواربا

وقد لُقِّب ايضًا بلقب آخر فدُعي بصريع الغواني لقولهِ (من الطويل) :

صريعُ غوانٍ راقَهنَّ ورُقنَهُ لَدُنْ شَبَّ حتى شاب سودُ الذوائبِ

والقطاميّ من الأراقمِ والاراقمُ احياء من تغلب يجمعهم هذا الاسم وهم ستَّة جُشَم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحرث. قيل لهم ذلك امَّا من الرَّقم اي الكثير لعددهم وامَّا تشبيهًا بالأراقم اي الحيَّات لشبه عيونهم بها . وقد افتخر القطاميُّ بنسبتهِ اليهم فقال (من الوافر) :

ويَرْفِدُني الأراقِمُ خيرَ رِفدٍ وشيبانُ بنُ ثعلبةَ القُرومُ

والقطاميّ ابن اخت الاخطل التغلبي الشهير السابق ذكرهُ

وللقطامي التغلبي سميَّان شاعران مثلهُ الَّا انَّهما اقلّ شهرةً ذكرهما الآمديُّ في كتابهِ المختلف والمؤتلف وكلاهما كان في زمانهِ في عهد بني اميَّة : احدهما القطامي الضَّبعي من ضبيعة بن ربيعة بن نزار كان ابوهُ من اصحاب خالد القسري والي الكوفة . والآخر القطاميّ الكلبيّ واسمهُ الحصين وهو ابو الشرقيّ الوليد بن القطامي

﴿دينهُ﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ١١٨) : وكان (القطاميّ) نصرانيًّا وهو شاعر اسلاميّ . فقولهُ «كان نصرانيًّا» يثبتهُ : اوَّلًا نسبةُ الى تغلب القبيلة المتحمّسة في دينها حتى ايَّام بني عبَّاس . وثانيًا قرابتهُ الى الاخطل الراسخ في دينهِ النصراني كما رأيت والقطاميّ ابنُ اختهِ . وثالثًا افتخارهُ بقومهِ وبحروبها ومآثرها ما يدلُّ على مجاراتهِ لهذيها . رابعًا ولا يخلو شعر القطامي من اشارات الى التوراة والكتب النصرانيَّة (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٦٣ و٢٧١)

امّا قول صاحب الاغاني انهُ «شاعر اسلامي» فليس معناهُ انهُ صار مسلماً بل انهُ عاش في الاسلام ولم يبلغ عهد الجاهليّة كالمخضرَمين. ولعلّ هذا الذي خدع ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال عن القطامي «كان نصرانيًا فأسلم» وهو اوّل من قال بذلك وابن عساكر من كتبة القرن السادس للهجرة (توفّي سنة ٥٧٢ هـ) وعنهُ اخذ الذين قالوا باسلام القطاميّ كعبد القادر البغدادي (في الخزانة ١ : ٣٩٣) وصاحب معاهد التنصيص . وقد جنح الى ذلك ايضاً المستشرق الالماني «بَرْث» (Barth) الذي نشر ديوانهُ فعدَّهُ من المسلمين مستشهدًا بابن عساكر . وليس في نسخ ديوان القطامي ما يؤيّدهُ في ذكر نسبهِ الّا انّ بعض النسّاخ زاد ذلك على هامش نسخة مصر مستندًا الى ابن عساكر . امّا ما ورد في بعض ابيات القطامي من مدح الاسلام والمسلمين فيمكن حَمْلهُ على المجاملة كما ترى في شعر الاخطل

﴿اخبارهُ﴾ لا يُعرف الّا القليل من اخبار القطاميّ أزهر في القسم الثاني من القرن السابع في ايّام الامويين بعد معاوية وكان معاصرًا للاخطل وهو اصغر منهُ سنًّا فعاش زمناً بعدهُ ولم يبلغ عهد بني عباس . وللقطامي ذكرٌ في حروب قومهِ التي جرت لهم مع القيسيين ومرَّ وصفها في ترجمة الاخطل (اطلب الصفحتين ١٧٥-١٧٦) . ومن ايّام تلك الحرب يوم ماكِسين ويقال لهُ ايضاً يوم القناطرة . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفُرات تبعد عن رأس العين مسيرة يوم جنوباً وبها حَمَّةٌ . قال البكري في معجم ما استعجم (ص ٥٣٣) : «وبهذه القرية لَقي عُمَير بن الحُباب بني تغلب حين غزاهم فاقتتلوا عند قنطرة القرية وهي اوّل قرية تراجعوا فيها فقُتل فيها من تغلب زهاء خمسمائة وكان رئيسُهم ورئيس من معهم من النَّمر وبَكر شُعَيثَ بن مُلَيل» . امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) فيقول انّ «رئيس تغلب يومئذٍ عبدُالله بن سُرَيح بن مرّة . . فقُتل وقُتل اخوهُ» . قال : «وأُسر القطاميّ الشاعر وأُخذت إبلُهُ فاصاب عُمَيرٌ واصحابهُ شيئاً كثيرًا من النعم . . . ولمّا أُسر القطامي أَتى زُفر بن الحرث بقرقيسيا فخلّى سبيلَهُ وردّ عليهِ مائة ناقة كما ذكر ادهم بن عمران العبديّ» فنظم القطامي القصائد في مديح زفر كما ستَرى

ولم يتّصل القطاميُّ بالخلفاء كواطنهِ الاخطل وانّما بلغ شعرهُ عبد الملك بن مروان فاثنى على جودة قريحتهِ . وليس في اخبارهِ ما يدلُّ على تقرّبهِ من الخلفاء على

انهُ جاء في نسخة مصر انَّ القطاميّ قال في مديح عبد الملك قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من الوافر) :

أَمِنْ طَرَبٍ بكيتَ وذكرِ أهلٍ وللطَّربِ المُتاحِ لك أذّكارُ

ولا بُدَّ انَّها أصابت موقعًا لدى عبد الملك وهي عامرة الابيات الَّا انَّنا لم نجد في اخبار القطاميّ ما يُشير الى دخولهِ على هذا الخليفة ونَيلهِ سوابغهُ . وفيها يقول ونعم القول :

اميرُ المؤمنين هُدًى ونورٌ كما جَلَى دُجى الظُّلَمِ النَّهارُ
قريعُ بني أُميَّة من قريشٍ همُ النَّبرُ المهذَّبُ والنُّضارُ
وعبدُ الملكِ المنقراء طَمْمٌ وحِرزٌ ليس مَعقِلُهُ يُضارُ
وقد حملَ الخلافةَ ثمَّ حلَّتْ بها عند أبنِ مروانَ القَرارُ

امَّا اخصّ مديحهِ فهو في زفر الكلابي وفي بعض الاعيان كعبد الواحد بن سليمان وهو ابن عم عبد الملك وكأسماء بن خارجة الفزاريّ

﴿شعرهُ وديوانهُ﴾ القطاميّ يُعدّ بين الشعراء المُقلّين. وقد نظمهُ الجُمَحيّ في كتاب طبقات الشعراء (ص ١٢١–١٢٢) في جملة شعراء الطبقة الثانية في الاسلام وذكرهُ مع خُداش بن بشر المعروف بالبَعيث الدارمي وكُثَيِّر بن عبدالرحمان الخزاعيّ وغيلان الشهير بذي الرُّمَّة

وقد وصف قدماء العرب القطاميَّ بالشاعر الفحل واستحسنوا شعرهُ . قال الجمحي في طبقات الشعراء (ص ١٢١) : كان القطامي شاعرًا فحلًا رقيق الحواشي حلو الشعر والاخطل أبعد منهُ ذكرًا وامتن شعرًا . وقال ابو هلال (حماسة ابي تمام ص ١٧٠) : وكان القطامي فحلًا رقيق الحواشي كثير الامثال . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (ص ٤٥٣) : وكان (القطامي) حسن التشبيب رقيقهُ . وقال ابو البركات محمَّد الغزّي العامري في كتابهِ تقريب المعاهد في شرح الشواهد (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ٦١) :
هو شاعر اسلاميّ مُقلّ فحلٌ مجيد

وجاء في الاغاني (٢٠ : ١١٨) عن الشَّعْبيّ قال: قال عبد الملك بن مروان وانا حاضر للاخطل: يا أخطل أتحبّ انَّ لك بشعرك شعرَ شاعرٍ من العرب؟ قال: اللهمّ لا إلّا شاعرًا منّا مُغْدَف القناع خامل الذكر حديث السنّ إن يكن في احدٍ خيرٌ فيكون فيه ولوددتُ اني سبقتهُ الى قولهِ (من البسيط):

يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يَعلَمُهُ   مَن يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِ

فهنَّ يَنْبُذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ   مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

امّا ديوانهُ فقد صبر على كوارث الزمان. فقد ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ٣٠٢) وقد تصحَّف هناك اسمهُ « بالقدامي عمير بن سيم » (كذا) . وفي طبعة الاستانة (ص٥١٩) «عمرو بن سليم». وفي كلاهما تُذكر سنة وفاتهِ في ١٠١ه الموافقة للسنة ٧١٩ م. وديوان القطامي شرَحهُ كما يُروى في عرض ديوانهِ ابو سعيد الحسن السكّري. ومنهُ نسختان الواحدة في برلين (Ahlwardt, VI, p. 548) كُتبت سنة ٣٦٤ ه (٩٧١م) وقابلها ابو علي المرزوقي. والاخرى في المكتبة الخديويّة تاريخها ١٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٢ (١١٨٦ م) وعنها نقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة

وقد دخلت من شعر القطاميّ قصيدتهُ اللاميَّة في جمهرة شعراء العرب فنظمها هناك ابو زيد القرشي في جملة المَشوبات (طبعة مصر ١٥١) ارادوا بها القصائد ذات المعاني المختلطة

وقد اهتمّ بنشر النسخة البرلينيَّة المرحوم المستشرق بَرْت (G. Barth) طبعها سنة ١٩٠٢ في ليدن ونقلها الى الالمانيَّة وعلّق عليها عدّة ملحوظات مع روايات شتى وجدها في نسخة مصر وفي مخطوطات ومطبوعات الادباء. وها نحن ننقل نُتَفًا منها ونضيف اليها ما وقفنا عليهِ في الجاشنا الخاصّة عن هذا الشاعر في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة والمطبوعات الحديثة

﴿منتخبات من شعر القطامي﴾ من اجود شعر القطامي لاميَّتهُ المعروفة بالمَشوبة. وقد ذكر في الاغاني (٢٠ : ١٩) ما كان الباعث لنظمها قال: قال ابو عمرو بن العلاء: اوّل ما حرَّك من القطامي ورفع من ذكرهِ انهُ قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحهُ فقيل لهُ انهُ بخيل لا يُعطي الشعراء. وقيل بل قدِمها في خلافة عُمر

ابن عبد العزيز فقيل لهُ انَّ الشعر لا ينفُقُ عند هذا ولا يُعطي شيئاً . وهذا عبد الواحد ابن سليمان(١ فامدحهُ . وكان عبد الواحد ابن عمّ الخليفة عبد الملك بن مروان فمدحهُ بقصيدتهِ اللاميَّة التي اوَّلها (من البسيط) :

انّا مُحيّوك فاسلَمْ ايّها الطَّلَلُ وان بَليتَ وانْ طالت بك الطِيَلُ

فقال لهُ : كم أمَّلتَ من امير المؤمنين . قال : أمَّلتُ من امير المؤمنين ان يعطيني ثلاثين ناقة . فقال : قد امرتُ لك بخمسين ناقة ، وقرة بُرًّا وتمرًا وثياباً . ثم امر بدفع ذلك اليهِ . وفيها يقول مادحاً لعبد الواحد ولقريش :

أهلَ المدينة لا يَحزُنْكَ شأنُهمُ اذا تخطَّأ عبدَ الواحد الأجلُ

امّا قريشٌ فلن تلقاهُمُ أبدًا إلّا وهم خيرُ من يَحفَى ويَنتعلُ

الّا وهم جبَلُ اللهِ الذي قصُرَتْ عنهُ الجبالُ فما ساوى بهِ جبَلُ

همُ الملوكُ وابناءُ الملوك لهم والآخذون بهِ والساسةُ الأوَلُ

وفي هذه اللاميَّة يقول متمثلا :

والعيشُ لا عيشَ الّا ما تقرُّ بهِ عينٌ ولا حالَ الّا سوف تنتقلُ

والناسُ مَنْ يَلقَ خيرًا قائلونَ بهِ ما يشتهي ولِأُمّ المُخطِئ الهَبَلُ

قد يُدرِك المتأنّي بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزَّلَلُ

وزاد في الحماسة البصريّة بيتاً لم يُروَ في الديوان :

وربّما فاتَ قوماً بعضُ أمرهمُ منَ التأنّي وكان الحَزْمُ لو عجَلوا

امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) فلهذا البيت رواية اخرى عن لسان رجل كان يديم الاسفار سافر الى الشام ومعهُ اعرابيّ فتمثل ببيت القطامي « قد يدرك الخ » فقال : ما

١) وفي معجم البلدان لياقوت (٤ : ٤٨٩) يدعوهُ عبد الواحد بن الحارث بن الحكم

زاد قائل هذا الشعر على ان يثبّط الناس عن الحزم فهلّا قال بعد بيتهِ هذا :

وربّما ضرَّ بعضَ الناس بُطؤهمُ   وكان خيرًا لهم لو أنَّهم عجلوا

ولهُ في زفر بن الحرث الكلابي الذي اطلق سبيلهُ من الاسر قصائد عامرة الابيات . اشهرها عينيَّتهُ التي افتتحها بقولهِ يخاطب ضباعة ابنة زفر (من الوافر) :

قِفي قبلَ التفرُّقِ يا ضُباعا   ولا يكُ مَوْقِفٌ منكِ الوَداعا

قِفي فادي أسيرَكِ انَّ قومي   وقومَكِ لا أرى لهمُ اجتماعا

أَلَمْ يَحزُنْكِ أنَّ جبالَ قيسٍ   وتَغلِبَ قد تَبايَنَتِ انقطاعا

ألم يحزنكِ انَّ ابنَيْ نِزارٍ   أسالا من دِمائها التِّلاعا

ومنها في شكر زُفر على تخلية سبيلهِ وانعامهِ عليهِ بمائة ناقة :

أكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عنّي   وبعد عَطائكَ المائةَ الرِّتاعا (١

إذَن لَهلَكتُ لو كانت صِغارٌ   من الاخلاقِ تُبْتَدَعُ ابتداعا (٢

فلم أرَ مُنعِمينَ أقلَّ مَنًّا   واكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا

من البيض الوجوهِ بني نُفَيلٍ   أبتْ أخلاقُهم الّا اتساعا(٣

بني القَرْم الذي عَلِمَتْ مَعَدٌّ   تفرَّعَ قومُها سَعَةً وباعا

وقد مدحهُ ايضاً بداليَّتهِ التي يقول فيها (من البسيط) :

من مُبلغٌ زُفَرَ القيسيَّ مِدحَتَهُ   من القطاميِّ قولًا غيرَ إفنادِ (٤

---

١) اكفرًا اي أأجزيك كفرًا . والرتاع الراتعة في المرعى . ويروى : الرباعا اي التي تُنتَج في الربيع ٢) ابتدَعَ الشيء استحدثَهُ اي لو ابتدعتَ فيَّ امورًا صعابًا لهلكتُ

٣) بنو نُفَيل بن عمرو بن كلاب رهط زُفَر الممدوح

٤) غير إفناد اي لا كذب فيهِ

انّي وإن كان قـومي ليس بينهم … وبين قومكَ إلّا ضربةُ الهادي (١

مُثْنٍ عليك بمـا ٱستَبْقَيتَ مَعرِفتي … وقد تعرَّضَ مني مقتـلٌ بادِ (٢

فلن أُثيبَـكَ بالنَّعماء مَشتَمـةً … ولن أُبـدِّلَ إحساناً بـإفسادِ

فإن هجوتُكَ ما تمَّتْ مُكارَمتي … وان مدحتُ فقد أحسنتَ إصفادي (٣

اذ الفوارسُ من قـيس بشِكَّتهم … حولي شُهودٌ وما قولي بشَهَّادِ (٤

اذ يَعتريكَ رجـالٌ يسألون دمي … ولو أَطَعتَهمُ أبكيتَ عُوَّادي

فقد عصيتَهمُ والحربُ مُقبلـةٌ … لا بل قدحتَ زنادًا غير صَلَّادِ (٥

والصِيـدُ آلُ نُفَيْـل خيرُ قومِهمُ … عند الشتاء اذا ما ضُنَّ بالزادِ (٦

المـانعونَ غـداةَ الروعِ جاءَهمُ … بالمَشرَفيَّةِ من مـاضٍ ومُنآدِ (٧

ايامَ قومي مكـاني مُنصِبٌ لهمُ … ولا يظنُّون إلّا انني رادي (٨

فأنتاشني لـك من غبراءَ مُظلمةٍ … حَبلٌ تضمَّن إصداري وايرادي (٩

فان قَدَرْتُ على خيرٍ جَزَيتُ بهِ … والله يجعلُ اقواماً بمِرْصـادِ

قال الجمحيّ: لمّا سمع زفر هذا البيت قال: لا أقدرَك الله على ذلك. وقـال يمدح زفر ايضاً (من الرجز):

١) الهادي العنق اي قطع الرؤوس

٢) استبقيت معرفتي اي استبقيتني لمعرفتك أيّاي اذ ظهر مني ما يستوجب قتلي

٣) الإصفاد العطيّة ٤) الشكة السلاح ٥) يقال صَلَدَ الزند اذ لم يخرج نارًا ٦) الصيد الاشراف جمع أصيَد. وضنّ بالزاد بخل بهِ

٧) المشرفيّة السيف. والماضي المستقيم والمُنآد المُعوّج

٨) يقال أنصبهُ اذا آلمهُ واوجعهُ. ويروى: مُنصِتٌ لهم. والرادي الهالك

٩) انتاشني تداركني الغبراء الارض. ويروى: من عَمَاء. ثمّ شبَّه مخلّصه بحبلٍ مدّهُ الله اليه فتشبّث بهِ ونجا

يا زُفَرُ بنَ الحارثِ ٱبنِ الاكرمِ ‏ قد كُنتَ في الحيّ قديمَ المَقْدَمِ (١

اذ أَحجَم القومُ ولمَّا تُحجِمِ ‏ انّكَ وٱبنَيْك حَفِظْتُمْ مَحْرَمي (٢

وحقَنَ اللهُ بكفّيك دَمي ‏ من بعد ما ذَبَّ لساني وفمي (٣

والرمحُ يهتزّ اهتزازَ المِحْجَمِ (٤ ‏ من بعد ما اختلّ السنانُ مِعْصَمي

أنقَذتَني من بطلٍ مُعَمَّمِ ‏ والخيلِ تحت العارضِ المسوَّمِ (٥

وتغلبُ يدعونَ يا لَلأَرْقَمِ (٦

ومن امثالهِ وحكمهِ قولهُ من قصيدة (من الكامل) :

فأرى المعيشةَ انّما هي ساعةٌ ‏ فرحٌ وساعةُ كُرْبةٍ وتَحَنُّقِ

وأرى المنيّةَ للرجالِ حبائلاً ‏ شَرَكاً يُعادُ بهِ لمن لم يَغْلَقِ

واذا أصابك والحوادثُ جمّةٌ ‏ حَدَثٌ حداكَ الى أخيك الأَوْثَقِ

فهمُ الرجالُ وكلُّ ذلك منهمُ ‏ تَجِدنَّ في رُحْبٍ وفي متضيَّقِ

انّ الرجال اذا طلبت نوالَهُمْ ‏ منهم خليلُ مَلاذَةٍ وتملُّقِ

واخو مُكارَمَةٍ على عِلّاتهِ ‏ فوجدتُ خيرَهُمُ خليلَ المَصْدَقِ

وروى في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) منها بيتاً لم يُروَ في الديوان

ليت الهمومَ عن الفؤادِ تفرّجتْ ‏ وجلا التكلّمُ للّسانِ المُطلَقِ

وقد أنشد الشعبيّ هذه الابيات عند الخليفة عبد الملك بن مروان فاستحسنها

١) ويروى : في الحرب كريم المقدم ‏ ٢) ويروى : انت وابناك صُنتم محرمي

٣) ذبّ حفّ وذبل ‏ ٤) المحجم آلة الحجّام التي تمصّ الدمّ

٥) المعمّم السيّد صاحب العمامة . والخيل المسوّم الممتاز بعلامتهِ

٦) يا للارقم يريد الاراقم قوم التغلبيين يدعون بعضهم بعضاً

عبد الملك وقال: أن ثَـكِلَت القطاميَّ أمّهُ هذا والله الشعر

ولهُ في الوصف اقوال حسنة منها قولهُ في عجوز من بني محارب نزل عندها ضيفاً فبات بأسوإ ليلة فقال فيها من قصيدةٍ (من الطويل) :

وإنّي وان كان المسافرُ نازلاً ... وان كان ذا حقٍّ على الناس واجبِ

ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ مُخبرُ ما رأى ... مُخَبِّرُ اهلٍ او مُخَبِّرُ صاحبِ

سأُخبرُ بالأنباء عن امّ منزلٍ ... تضيَّفتُها بين العُذَيبِ فراسِبِ (١

تَقَنَّعتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّني ... وفي طِرْمساء غيرِ ذات كواكبِ (٢

الى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدما ... تلفَّعتِ الظلماء من كلّ جانبِ (٣

تصلَّى بها بَرْدَ الشتاء ولم تكن ... تخالُ وميضَ النارِ يبدو لراكبِ (٤

فما راعَها إلّا بُغامُ مطيّةٍ ... تُريح بمحسورٍ من الصَّوتِ لاغِبِ (٥

فسلَّمتُ والتسليمُ ليس يَسُرُّها ... ولكنّهُ حقٌّ على كلّ جانبِ (٦

فردَّت سلاماً كارهاً ثمَّ اعرضَتْ ... كما انحاشَتِ الافعى مخافةَ ضاربِ (٧

فقلتُ لها لا تفعلي ذا براكبٍ ... اتاكِ مُصيبٍ ما أصابَ فذاهبِ (٨

فلمَّا تَنازعنا الحديثَ سألتُها ... مَن الحيُّ قالت معشرٌ من مُحاربِ

١) العُذَيب نهر في جهات الكوفة وراسب موضع قريب منهُ . ويروى : كمُخْبِرِكَ الانباء

٢) تقنَّع تلفَّف بالثوب . الطلُّ المطر الخفيف والندى . والطرمساء الليلة المظلمة

٣) الحيزبون العجوز المسنّة . وتلفَّعهُ التحفهُ

٤) تصلَّى البردَ قاسى شدّتهُ . ويروى : برد العشاء . ويروى ذات العشاء

٥) بغامُ المطيَّة صوت الابل وحنينُها . وتريح بمَحسور اي تُخرج نفَسَها الضعيف . واللاغب المُعيي ٦) الجانب الغريب ٧) انحاشت تقبَّضت . ويروى : انحازت

٨) مُصيب ما اصاب اي يكتفي بما يصيبهُ من الضيافة

من المُشترين القِدَّ ممَّا تراهمُ جياعاً وريفُ الناسِ ليس بناضِبِ (١
فلمَّا بدا حِرْمانُها الضيفَ لم يكن عليَّ مناخُ السُّوء ضربةَ لازبِ (٢
ألا انَّما نيرانُ قيسٍ اذا اشتَوَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحبِ (٣

ولهُ في الحماسة قولهُ (حماسة ابي تمَّام ص ١٧٠) :

مَن تكُنِ الحضارةُ اعجبتْهُ فايُّ رجالِ باديةٍ ترانا (٤
ومَنْ ربَطَ الجحاشَ فانَّ فينا قَناً سُلُباً وأفراساً حِسانا (٥
وكُنَّ اذا أغرْنَ على جَنابٍ وأعوزَهُنَّ نَهْبٌ حيث كانا
أغرْنَ من الضِّباب على حُلولٍ وضَبَّةَ إنَّهُ مَنْ حانَ حانا (٦
وأحياناً على بَكْرٍ اخينا اذا ما لم نَجِدْ الَّا اخانا (٧

واستحسن ابن قتيبة للقطامي قولهُ في التشبيب (من البسيط) :

وفي الخدورِ غَماماتٌ برَقْنَ لنا حتى تصيَّدْنَنا من كلِّ مُصطادِ (٨

١) اشتواهُ اتَّخذهُ شواءً. والقِدّ اناء من جلد. وريفُ الناس ارضهُمْ المخصبة. والناضب النافر. اي انَّ الذي نزل عندكِ نالهُ البرد والجوع وهو ضيف لناس مخصبين
٢) اي لم اجد في ضيافتها امرًا موجباً لابقى عندها مع حرمانها فولّيتُ ذاهباً
٣) يريد انَّ نارهم لا يَصطلي بها ضيف يأتيهم ليلاً فهي كنار الحباحب اي الدوّيبة المعروفة بسراج الليل
٤) يقول انَّنا ولو كنَّا من اهل البادية فلسنا دون اهل الحضر
٥) يقول انَّ غيرنا يَربطون الحُمُر لاشغالهم وامَّا نحن فنُزاةٌ لنا الرماح السُّلُب اي الطويلة او السالبة للنفوس والخيل المسوَّمة اي المرعيَّة او المُعلمة
٦) يقول هذه الخيل واربابها اذا حمَلَتْ على جنابٍ اي ناحيةٍ واحتاجت الى غنائم في اي مكان وجدتْها تُغير على الاباعد من العرب كقبائل الضبابْ وهي اربعة ضبَّة وضُبَيب وحِسْل وحُسَيْل. والحُلول الحيّ الذين يحلُّون في محلّ واحد. وحان اتى وقتُهُ
٧) بكر قبيلة شقيقة لتغلب. يقول اذا لم يجدوا مطلوبهم عند الاباعد عطفوا على الاقارب ولو كانوا اخوانهم
٨) الغمامة السحابة كنَّى بها عن المحصَّنات بالخدور

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يعلَمُهُ مَنْ يتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِ
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يصِبْنَ بهِ مَواقِعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

هذه طرفة من ديوان القطامي نُضيف اليها بعض المقاطيع لم نجدها في الديوان . فمن ذلك ما رواهُ ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص١٢٢) يمدح بهِ اسماء بن خارجة وهي تروى لغيرهِ فقال (من الوافر) :

اذا ماتَ أبنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الارض السَّماءُ
ولا رَجعَ البريدُ بغُنْمِ خيرٍ ولا حمَلَتْ على الطُّهْر النساءُ

وروى لهُ في الحماسة البصريَّة (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ١ : ٢٠) قولهُ يذكر يوم ذي قار الذي غلب فيهِ العرب جيوش كسرى قال (من الطويل) :

وانَّ نوى الداعي بسَيْبَانَ(١) زعزعَتْ رماحٌ وجاشت من جوانبها القِدْرُ
همُ يومَ ذي قارٍ اناخوا فجالَدوا كتائبَ كسرى بعد ما وَقَدَ الجَمْرُ

وروى ايضاً في الحماسة البصريَّة (ص١٣٠) قولهُ يمدح بني دارم (من الطويل) :

جزى اللهُ خيرًا والجزاءُ بكفّهِ بني دارمٍ عن كلّ جانٍ وغارمِ
همُ حملوا رَحلي وأدَّوْا أمانتي اليَّ وردُّوا فيَّ رِيشَ القوادِمِ
ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ قدورَهم على المال امثالَ السنين الحواطمِ
وأن مَواريثَ الأُولى يَرِثونهم كنوزُ المعالي لا كنوزُ الدراهمِ
وما ضرَّ منسوباً ابوهُ وأمُّهُ الى دارمٍ أن لا يكون لهاشمِ

ومن حكمهِ قولهُ في فضل الاكتساب بالبأس على الطمع . (الحماسة البصريَّة ٢ : ٨) (من الطويل) :

---

١) سيبان جبل ما وراء وادي القرى (ياقوت ٣ : ٢٠٨)

أرى اليأسَ أدنى للرَّشاد وانَّما دَنا العَيُّ للانسان من حيثُ يطمَعُ
فدَعْ اكثرَ الأَطماع عنك فانَّها تضرُّ وانَّ اليأس لا زالَ ينفَعُ

وفي الحماسة البصريَّة ايضاً (٢ : ٢١٦) بيتان من قصيدتهِ المذكورة في ديوانهِ (تحت العدد XXI ص ٦١) التي اوَّلها (من الوافر) :

مَنْ يكُ ارعاهُ الحِمى أخَواتُـهُ فما ليَ من اختٍ عوانٍ ولا بِكْرِ

امَّا البيتان ففي وصف الناقة لم يُرويا هناك وهما :

اذا بركَتْ خرَّتْ على ثَفَناتها مجافيةً صُلباً كقَنطرةِ الجِسْرِ
كأنَّ يَدَيْها حين تجري ضُفورُها طريدانِ والرِّجلان طالبَتا وِتْرِ

١١ كعْب بن جُعَيْل التغلبيّ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ ويقال : ابن جُعَل قال ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) : «هو كعب بن جُعَيل بن قُمَيْر التغلبيّ» . وفصَّل الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٤٩) نسبهُ فقال : «كعب بن جُعَيل بن عجرة بن قُمَيْر بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل» . وجاء مثل ذلك في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي (١ : ٤٥٨) الّا انهُ قدَّم قُمَيْرًا على عَجرة . ثمَّ قال : «ولكعب هذا اخٌ يقال لهُ عُمَيْر بن جُعَل بالتصغير» وقد دعاهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء «عَميرة بن جُعَيل» . وهو غير عَميرة بن جُعَل الذي ورد ذكرهُ في المفضّليات (ed. Lyall ص ٥٢١—٥١٨) وقد روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ١٩٥) فهذا قد جاء هناك نسبهُ انهُ «عَميرة بن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحرث بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل» ومثلهُ في خزانة الادب (١ : ٤٥٩) ثمَّ قال : هو شاعر جاهليّ . وكانت امُّ كعب وعميرة تدعى ليلى وهي من تغلب ايضاً

﴿ زمانهُ ﴾ عاش كعب بن جُعَيل في ايَّام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولة

الامويّة ذلك ما يستدلّ بهِ من شعرهِ واخبارهِ كما سترى . الّا انّهُ كان مُسِنًّا في ايّام معاوية وابنهِ يزيد وبلغ الى زمن عبد الملك عرفهُ الاخطل شيخاً في ذلك الوقت

﴿دينهُ﴾ لا نشك في نصرانيّة كعب بن جُعيل وهو من تغلب القبيلة النصرانيّة وشاعرها كمواطنَيهِ القطاميّ والاخطل . وكان مكرّماً في قومهِ النصارى المتصمين في دينهم . وانما يقال عنهُ انهُ شاعر اسلاميّ كما قيل عن القطاميّ بمعنى كونهِ لم ينبغ في عهد الجاهليّة واشتهر في زمن الاسلام . وليس في اخبارهِ وشعرهِ مــا يُشعر بتغييرهِ لدينهِ سوى كلمةٍ سيأتي ذكرها رواها الرواة على صُوَر مختلفة لا يُبنى عليها برهان

﴿اخبارهُ﴾ لا يُعرف من اخبار كعب إلّا ما رواهُ عنــهُ الكتبة استطرادًا . روى صاحب الاغاني (٧ : ١٧٠) عن يعقوب بن السكّيت « انّ كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً الّا اكرموهُ وضربوا لهُ قُبّةً حتى انهُ كان تُمدّ لهُ حبال بين وتدَين فتُملأ لهُ غنماً . فاتى في مالــك بن جُشَم ففعلوا ذلك بهِ . فجــاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبَّهُ عُتْبة بن الزعــل (ويروى : الوغل) وردّ الغنم الى مواضعها فعاد الاخطل وأخرجها وكعب ينظر اليهِ فقال : « انّ غلامكم هذا لأَخطل » والاخطل السفيه فقال الاخطل فيهِ :

سُمّيتَ كعباً بشرّ العظام ... وكان ابوك يُسمّى الجُعَــلْ
وانّ مكانكَ من وائلٍ ... مكانُ القُرادِ من استِ الجَمَلْ

فقال كعب : قد كنتُ اقول لا يقهرني الّا رجلٌ لهُ ذكرٌ ونبأ ولقــد اعددتُ هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليهما هذا الغلام

وروى القحذميّ خبر الاخطل على غير صورة قــال (الاغاني) : «وقع بين ابنَي جُعَيل (كعب وعميرة) وامّهما ذرءٌ من كلام فادخلوا الاخطل بينهم فقال الاخطل :

لَعَمرُك انني وابني جُعَيل ... وامّهما لإِستــارٍ لئيمِ

فقال ابن جُعيل : يا غلام انّ هذا لَخطَلٌ من رأيك ولولا انّ امّي سَميّةُ أمِّــك لتركتُ أمّك يحدو بها الركبان . فسُمّي الاخطل بذلك وكان اسم امّهما وامّ الاخطل ليلى » :

وزاد ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصّــة كعب بن جُعَيل والاخطل مــا حرفهُ (الاغاني) : «وكان الاخطل يومئذٍ يُقرزِمُ (والقَرزمة الابتداء بقول الشعر) فقال

له ابوه : أبقَرْزَمتك(١ تريد ان تُقاوم ابن جُعَيل ؟ ضربهُ (قال) وجاء ابن جُعَيل على تَفِئة ذلك فقال : مَن صاحب الكلام ؟ فقال ابوه : لا تحفَل بهِ فانهُ غلام اخطل . . . فانصرف كعب ولجّ الهجاء بينهما »

وروى في الاغاني ايضاً (٤ : ١٣٠—١٣٢) انَّ النابغة الجعديّ كان شاعرًا متقدّماً وكان مُغَلَّباً ما هاجى قطّ الّا غُلب . هاجى اوسَ بن مَغراء وليلى الاخيليَّةَ وكعبَ بن جُعيل فغلبوهُ جميعاً . وممَّا رواهُ من ردود كعب عليهِ قولهُ (من البسيط) :

انّي لَقاضٍ قضاءً سوفَ يتبَعُهُ ... مَنْ أَمَّ قَصْدًا ولم يَعْـدِل الى أَوَدِ

فصلًا من القَوْل تأْتَمُّ القُضاةُ بهِ ... ولا أَجورُ ولا ابغي على أَحَـدِ

«سادت» بنو عامرٍ سَعْدًا وشاعِرَها ... كمـا «تَسود» بنو عبسٍ بني أَسَدِ

وقد اتَّصل كعب بن جُعَيل في ايّام معاوية بابنهِ يزيد . اخبر ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٠٨) وقد سبق في روايتهِ هذه ابا الفرج الاصفهـاني وغيرَهُ من الرواة وهو قد توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) قال : كان عبد الرحمان بن حسَّان ويزيد ابن معاوية يتقاولان فاستعلاهُ ابنُ حسَّان فقال يزيد لكعب بن جُعَيل : أَجِبْهُ عنـهُ وأَهجُهُ . فقال : والله ما تلتقي شفتايَ بهجاء الانصار ولكن ادلُّك على الشاعر الفاجر الماهر فتًى منَّا يقالُ لهُ التوث نصراني (يريد الاخطل) «فهجاهم بابياتٍ شهيرة لا حاجة الى ذكرها

وهذا الخبر عن كعب قد رواهُ في الاغاني (١٤ : ١٢٢) على وجه آخر قـال انَّ يزيد بلغهُ ان عبد الرحمان شبَّب برملة اختهِ بنت امير المؤمنين معاوية فقال لكعب : اهجُ الانصار . فقال : أفرَقُ من امير المؤمنين ولكن ادلُّك على الشاعر الكافر الماهر الاخطل

ورواهُ المبرّد في الكامل (ص ١٠١) بما يُشعر بإسلام كعب فروى عنهُ انهُ قال ليَزيد : « أأهجو الانصار أَرَادّي انت الى الكفر بعد الاسلام (ويروى : بعد الشرك) ولكن ادلُّك على غلامٍ من الحيّ نصرانيّ كأَنَّ لسانَهُ لسانُ ثور يعني الاخطل الخ

فترى من اضطراب هذه الروايات انهُ لا يجوز ان نقرّر الإسلام لكعب دون بيّنةٍ واضحة ودليل قاطع

---

١) القرزمة اوَّل ما ينظمهُ الشاعر من الشعر الركيك

ومن اخبار كعب بن جُعَيل انهُ حارب مع قومهِ في يوم صِفّين وكان موالياً لبني اميّة كالاخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم لعليّ. ولكعب في اليوم السابق لتلك الوقيعة رجزٌ رواهُ الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٩٢) :

أصبحتِ الأمّةُ في أمرٍ عجبْ والمُلك مجموعٌ غداً لمن غلَبْ
اقولُ قولًا صادقاً غيرَ كَذِبْ انَّ غداً تهلكُ اعلامُ العرَبْ
غداً نُلاقي ربَّنا فنَحْتَسِبْ

وقال ايضاً يصف الفريقَيْن اهلَ العراق مع علي واهل الشام مع معاوية وهذه الابيات كتبها معاوية وارسلها الى عليّ بن ابي طالب لمّا خيّرهُ برسولهِ بين البَيْعة او الحرب (الكامل للمبرّد ١٨٤ والدينوري ١٧٠ ووقعة صفّين) (من المتقارب) :

أرى الشأمَ تكرَهُ مُلكَ العراقِ (١ واهلُ العراقِ لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبهِ مُبغِضٌ يَرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا
اذا ما رمَوْنا رَميناهُمُ ودِنّاهمُ مثلَ ما يَقرِضونا (٢
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا فقُلنا رَضينا ابنَ هِندٍ رَضينا (٣
وقالوا نَرى ان تَدينوا لهُ فقلنا لهم لا نَرى ان نَدينا (٤
ومن دونِ ذلك خَرْطُ القَتادِ وضربٌ وطعنٌ يُقِرُّ العيونا (٥
وكلٌّ يُسَرُّ بما عندهُ يَرَى غَثَّ ما في يدَيْهِ سَمينا
وما في عليٍّ لِمُستَعتِبٍ مقالٌ سوى ضَمّهِ المُحدِثينا (٦

١) ويروى : اهل العراقِ ٢) ويروى في الكامل : يُقرِضونا
٣) هند امُّ معاوية ٤) ويروى البيت :
وقلنا نرى ان تدينوا لنا فقالوا ألا لا نرى ان نَدينا
٥) ويروى : يفضّ الشؤونا ٦) وروى ابن عبدربّهِ : لمستحدثٍ . . سوى عصمة المحدثينا

وايثاره اليومَ أهلَ الذنوب ورَفعِ القصاصِ عن القاتلينا (١

اذا سِيلَ عنهُ زوى وَجهُهُ (٢ وعمّى الجوابَ عن السائلينا

فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النُّهاةِ ولا الآمرينا

ولا هو سَاءَ ولا سَرَّهُ ولا بُدَّ من بعض ذا ان يكونا (٣

وجاء في الكامل للمبرّد (ص١٨٧) وفي الاخبار الطوال للدينوري (ص١٧٠-١٨١) انّ عليًّا لما قرأ هذه الابيات قال للنجاشيّ : أجِبْ. فقال (من المتقارب) :

دَعَنَّ مُعاوِيَ ما لن يكونا فقد حقَّقَ اللهُ ما تحذرونا

اتاكم عليٌّ باهل العراقِ وأهلِ الحجاز فما تصنعونا

على كلِّ جَرْداءَ خَيْفانَةٍ وأشعَثَ هِندٍ تَسُرُّ العيونا

عليها فوارسُ تَحسَبُهمْ كأسدِ العرينِ حَمَيْنَ العرينا

يرَوْن الطِعانَ خِلالَ العَجاجِ وضَرْبَ القَوانِسِ في النَّقعِ دِينا

همُ هزَموا الجمعَ جمعَ الزُّبيرِ وطَلحَةَ والمعشَرَ النّاكثينا

وقالوا يميناً على حَلفَةٍ لَنُهدي الى الشامِ حرباً زَبُونا

تُشيبُ النواصيَ قبلَ المَشيبِ وتُلقي الحوامِلُ منها الجنينا

فان يكرَهُ القومُ مُلكَ العراقِ فقِدْماً رَضِينا الذي تكرهونا (٤

١) وفيه : وايثاره لاهالي الذنوب . قال ابن عبد ربّه في العقد (٢ : ٢٧١) اخذ كعب هذا المعنى من قول حسّان بن ثابت لعليّ : انك تقول « ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُهُ ولم آمرْ به ولكن لم أنْهَ عنهُ» فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القاتل .

٢) ويروى : حذا شبهةً . وسِيلَ مخففة سُئِلَ ٣) ويروى : من بعد ذا . روى ابن عبد ربه :

ولا هو ساءَ ولا سَرَّهُ ولا آمن بعض ذا ان يكونا

٤) ويروى : وان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضي القومُ ما تكرهونا

فقولوا لـكَعْبٍ أخي وائلٍ ومَنْ جعَلَ الغَثَّ يوماً سَمينا
جعلتُمْ عليـاً واشياعَـهُ نظيرَ ابنِ هندٍ أما تَستحونا

وقد روى البلاذري في كتاب الاشراف[1] (ص٢١٢) البيتين الآتيين الكعب في مدح عبد الملك بن مروان (من الوافر) :

أميرُ المؤمنين هُدًى ونُورٌ كما جَلَى دُجى الظُّلَم النهارُ
قريعُ بني أُميَّةَ من قُريشٍ هُمُ السِرُّ المهذَّبُ والنُّضارُ

وقد سبق في اخبار القطاميّ (ص٢٧) انَّ هذين البيتين من جملة قصيدة منسوبة الى القطاميّ رويناهما هنا لعظم شأن راويهما

واتّصل كَعب بن جُعَيل بسعيد بن العاص بن ابي أُحَيحَة بن سعيد بن العاص وكان امير الكوفة لعثمان وكان فصيحاً خطيباً قُتل في غزوه طبرستان سنة ٣٠هـ (٦٥١م) واخبر في الاغاني انَّ كعباً نزل عليهِ في المدينة. وقد امتدحهُ بشعرهِ وذكر الطبريّ في تاريخهِ (١: ٢٨٣٨) قولهُ (من الطويل) :

فنِعْمَ الفتى اذ جالَ جِيلانُ دونهُ واذ هبَطوا من دَسْتَبَى ثمَّ أبهرا[2]
تعلَّمْ سعيدَ الخَيرِ أنَّ مطيَّتي اذا هبَطَتْ أشفقتُ من أن تُعَقَّرا
كأنَّك يوم الشِعْبِ ليثٌ خفيَّةٍ تجرَّدَ[3] من ليثِ العَرينِ وأصحرا

وروى الجُمَحيّ في طبقاتهِ (ص ٧٥—٧٦) انَّ الفرزدق لَمَّا هرب من زياد بن ابيهِ في ايَّام معاوية الى المدينة فاستجار سعيد بن العاص فاجارهُ فمدحهُ الفرزدق وكان الحطيئة وكعب حاضرَين. فقال الحطيئة: هذا والله الشعر لا ما تُعَلَّلُ بهِ منذ اليوم

---

١) Anonyme arabische Chronik, *ed. Ahlwardt* اطلب

٢) جيلان حيٌّ من عبد القيس . ودَسْتَبَى كورة بين الريّ وهمذان في العجم . وأبهر مدينة في نواحي اصبهان

٣) يوم الشِعْب من ايَّام العرب ذكره الفرزدق . ويروى : تجرَّد

أيها الامير فقال: كعب بن جُعَيل فضَّلهُ على نفسك ولا تفضّلهُ على غيرك . فقال: بلى افضّلهُ على نفسي وعلى غيره ادركتَ مَن قبلك وسبقتَ مَن بَعْدك . وروى الطبري في تاريخهِ (٢ : ١٠٧) هذا الخبر على وجه آخر فقال: «انّ كعباً لمّا سمع شعر الفرزدق قال: هذه والله الرؤيا التي رأيتُ البارحة . قال سعيد: وما رأيت ؟ قال رأيت كأني امشي في سكّة من سكك المدينة . فاذا انا بابن قِتَرة في جُحْر (اي حُفرة) فكأنهُ اراد ان يتناولني فاتّقيتُهُ (قال) فقام الحطيئة فشقّ ما بين رِجْلين حتى تجاوز اليَّ (١ فقال: قُلْ ما شئتَ فقد ادركتَ من مضى ولا يُدركك من بقي . وقال لسعيد: هذا والله الشعر لا يعلّل بهِ منذ اليوم (٢»

﴿شعر كعب وطبقتهُ﴾ قد اخذ الضياع ديوان شعر كعب بن جُعَيل . امّا طبقتهُ فهي على قول ابن سلّام (ص ١٢٩) الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين يريد انهُ من الذين لم يشتهروا في الجاهليّة وقالوا الشعر بعد الاسلام ونظمهُ في جملة الشعراء عمرو بن احمر الباهليّ وسُحَيم بن وَثيل الرياحيّ ثمّ اليَرْبوعي وأوْس بن مَغراء القُرَيعي ثم السعديّ . ثمّ قال : «وكعب بن جُعَيل شاعر مُفْلق قديم في اوّل الاسلام» . وهو يُدعى في كامل المبرّد (ص ١٨٧) شاعر اهل الشام . وقد ذكر لهُ القدماء ابياتاً متفرّقة نروي ما عثرنا عليهِ منها كقولهُ يمدح قوماً (شرح المقامات للشريشي ٢ : ٨٦) (من الكامل) :

لا يَنكُتون الارضَ عند سؤالهم لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ
بل يبسطون وُجوهَهم فترى لهم عند السؤالِ احسنَ الالوانِ

ولهُ في الرثاء قولهُ في عبيد الله بن عُمر بن الخطّاب لمّا قُتل في صفّين (سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م) وقد رواهُ الطبري (١ : ٣٣١٥) وياقوت (٣ : ٤٠٣) وكتاب وقعة صفّين (٢١٣ و٢٦٦) (من الطويل) :

ألَا انّما تبكي العيونُ لفارسٍ بِصِفّين أجلَت خيلُهُ وهو واقِفُ

---

١) وفي الاغاني (٢١ : ١٩٦) ما بين رِجْلَيهِ حتّى تجاوزها

٢) وفي الاغاني (٢١ : ١٩٧) : لا ما كُنّا نُعلّل بهِ انفسنا منذ اليوم

يُبَدِّلُ من أسماءِ أَسيافَ وائلٍ وكان فتًى (١ لو أَخطأَتهُ المَتالفُ
تركنَ عُبَيد الله بالقاع مُسلَباً تَمُجُّ دماً منهُ العروقُ النوازفُ(٢
يَنُوء وتعلوهُ شآبيبُ من دمٍ كمالاحَ في جيبِ القميصِ الكتائفُ(٣
دعاهنَّ فاستَسمعنَ من اينَ صوتُهُ وأَقبلنَ شتَّى والعيونُ ذَوارفُ
يُحَلِّلنَ عنهُ زِرَّ دِرْعٍ حصينةٍ ويُبْدِينَ عنهُ بعدهنَّ مَعارفُ
وقد صبرَتْ حول ابن عمِّ محمَّدٍ لدى الموتِ (٤ شهباءُ المَباركِ شارِفُ
فما برحوا حتى رأى اللهُ صبرَهم حتى أُتيحَتْ بالأَكُفِّ المصاحِفُ
بمَرْجٍ ترى الراياتِ فيهِ كأنَّها اذا اجتَنحتْ للطَّعنِ طيرٌ عواكفُ
جزى الله قتلانا بصِفِّينَ خيرَ ما جَزاهُ عِبادًا غادرَتها المواقفُ (٥
ألا انَّ شرَّ الناسِ في الناسِ كلّهم بنو أسدٍ اني لِما قلتُ عارفُ
وحالتْ تميمٌ بعدَها وربابُها وخالفَتِ الجَنداءُ فيمن يخالِفُ
معاويَ لا تنهَضْ بغير وثيقةٍ فانك بعدَ اليوم بالذلِّ آسِفُ

وقال في خزانة الادب (١ : ١٥٨) : ولكعب هذا اخ يقال لهُ عُمَير بن جُعَيل وهو شاعرٌ ايضاً وهو القائل يهجو قومَهُ (من الطويل) :

كَسا اللهُ حَيَّ تَغلبَ ابنَةِ وائل مِنَ اللُّومِ اظفارًا بعَليا نُصولُها

---

١) ويروى : تبدّل . . وكان فتى ٢) ويروى : مسلماً . ومسندًا يمجُّ نجيعاً . وفي الدينوري : تمجُّ دمَ الخرقِ العروقُ الذوارِفُ . ويروى : تمجُّ دماً منهُ . وتمجُّ دماءُ والعروق نوازف
٣) ويروى : ينوء ويعلوهُ سآبيبُ . . . ويروى : وتغشاهُ . . . اللفائف
٤) ويروى : ابن عمِّ نبيِّنا من الموت
٥) وروى ياقوت : بصفِّين ما جزا عبادًا لهُ اذ غودروا في المزاحف (كذا)

قال ثمّ ندم فقال (من الطويل) :

نَدِمتُ على شَتْمِي العشيرةَ بعدما مضَتْ واْستَتَبَّتْ للرُّواة مذاهِبُهْ
فاصبحتُ لا أَسطيعُ ردًّا لِمَا مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضرعِ حالبُهْ(١

امّا الجمحيّ فانّهُ يروي هذه الابيات في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) لكعب وقد اضاف اليها قولهُ (من الطويل) :

مُعاويَ أَنصِفْ تغلبَ ابنَةَ وائلٍ من الناس او دَعْها وحيًّا تُضارِبُهْ
قليلٌ على بابِ الاميرِ لُباَتتي اذا رابَني بابُ الامير وحاجِبُهْ
ولمَّا تَدَارَوا في تُرَاثِ محمَّدٍ سمَتْ بابنِ هندٍ في قُريشٍ مَضَارِبُهْ

(قلنا) انّ في هذه الابيات نظرًا ٠ فعلى قول صاحب خزانة الادب (١ : ٤٥٨) انّ البيت الذي قيل في هجاء تغلب «كسا الله حيَّ تغلب ٠ البيتِ» هو لعُمَيرة اخي كعب ابن جُعَيل المترجم هنا . ثمّ ذكر (ص ٤٥٩) شاعرًا آخر سمَّاهُ عَميرة بن جعل وذكر نسبهُ وقال عنهُ انهُ « شاعر جاهليّ » على انّنا رأينا هذا البيت عينهُ في المفضَّليَّات (ص ٥١٨) في مقدّمة خمسة ابيات ونسبتهُ هناك ليست لاخي كعب بن جُعَيل بل لعميرة بن جُعَل بن عمرو الشاعر الجاهليّ . وقد اثبتنا نحن هذه الابيات في شعراء النصرانيَّة (ص ١٩٥) لذلك الشاعر الجاهليّ مع ابيات أُخرى نونيَّة رواها لهُ صاحب المفضَّليَّات (ص ٥٢٠—٥٢٢) وذكر منها في خزانة الادب ثلاثة ابيات ٠ فترى ما وقع من الاضطراب في الروايات لسبب اتّفاق الاسماء

وروي ايضاً لكعبٍ في الحماسة البصريَّة في باب الرثاء (١ : ٢١٠) (من الطويل) :

برابية الثَّرْثار (٢ قبرٌ ترابهُ يَضُمُّ الغمامَ الجودَ والشمسَ والبدرا
رأتْ تَغلبُ العَلياءُ عند مُصابهِ عيونَ الأعادي نحوأعينها خُزْرا

١) ويروى : واصبحتُ لا اسطيعُ دفعًا لما مضى ...
٢) الثرثار وادٍ عظيم في الجزيرة لبني تغلب يصبُّ ماؤهُ في دجلة

وودَّتْ نُجومُ الجود يومَ حمَلْنهُ   على النَّعش لو كانت بأجمعها قبرَا
مُنافَسةً منها عليهِ وضِنَّةً   على الترب ان تمحو المآثر والفخرا
وما بَخِلَتْ عيناي بالدَّمع بعدهُ   على هالكٍ الّا ذكرتُ لها عمْرا(١

وروى لهُ ايضاً يهجو المُغيرة بن شعبة (٢ : ١٨٢) (٢ (من الطويل) :

اذا راح في قُوهيَّةٍ(٣ فتأزّرا   فقلتُ أَلا يَستَنُّ في لبنٍ مَحْضِ
وتَحسَبُهُ إن قامَ للمشي قاعداً   لقلّة مِقياسَيهِ في الطول والعَرْضِ
فأقسمتُ لو حزَّتْ من استِك بضعةٌ   لما انكسرت من قرب بعضك من بعضِ
فيا خلقةَ الشيطان أقصِرْ فانَّا   رأيتُكَ أهلًا للعَداوَةِ والبُغضِ

وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٧٨) وفي تاريخ الطبري (١ : ٧٤٩) بيتٌ فرد لكعب التغلبيّ يذكر غزوة الملك تبَّع الحميري للعراق قال (من الرمل) :

وغزانا تُبَّعٌ من حمير   نزلَ الحيرةَ في أهلِ عدَنْ

والبيت تصحّف في الطبري فرواهُ مكسورًا

وغزا تبَّعٌ في حمير حتى   نزل الحيرة من ارض عدَنْ

وقد يروى لهُ ايضاً في شواهد سيبويه (من الرمل) :

صَعدَةٌ نابتةٌ في حائرٍ   أينما الرِّيحُ تُميِّلها تَمِلْ

قال الصَعْدة القناة المستوية . والحائر المكان المطمئنّ . شبَّه امرأةً في تمايُلها بهذه القناة . ويلي هذا البيت اربعة ابيات غزَليَّة (خزانة الادب ١ : ٤٥٧) نضرب عنها الصفح

---

١) نظنُّ انهُ يريد عمرًا بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق قتلهُ عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ ه (٦٨٨ م)

٢) كان المغيرة واليًا على الكوفة وفيها توفي بالطاعون سنة ٥٠ ه (٦٧٠م)

٣) القوهيَّة الثياب البيض المنسوجة في قُوهستان كورة من العجم

١٢ العُدَيْل بن الفَرْخ

﴿نسبُهُ﴾ هو العُدَيْل بن الفَرْخ (وروى في الاغاني « الفَرَج» وهو تصحيف) بن معن بن الاسود بن ربيعة بن عِجْل البكريّ . وقال في تاج العروس: «وفي بعض النسخ «العديّ بلا لام وهو صحيح » فيكون اسمهُ عديًا وكان يلقَّب بالعبَّاب . قال في الاغاني (٢٠ : ١١) : «وكان لهُ ثمانية اخوة وأُمهم جميعاً امرأَة من بني شيبان منهم أَسود وكان شاعرًا فارساً وسَوادة وشَمْلة (وقيل سلمة) والحرث وكان يقال لامهم دَرْمنـا »

﴿دينهُ﴾ كان العديل من قبيلة عجل الثابتة على نصرانيَّتها حتى بعد الاسلام فقال الأُبَيْرد يهجوهم :

بنو عِجْلٍ أَذَلُّ من المطايا ومن لَحْم الجَزُور على الثُمامِ
تُحَيَّا المُسلمون اذا تلاقَوْا وعِجْلٌ ما تُحَيَّا بالسلامِ

وكذلك بنو شيبان الذين منهم كانت أُمهُ . وفي ترجمتهِ انَّهُ هرب من الحجَّاج الى بلد الروم ولجأَ الى قيصر . ولولا نصرانيَّتهُ لَما فعل

﴿اخبارهُ﴾ جاء في الاغاني (٢٠ : ١٢) ما نصُّهُ : « كان للعُدَيل واخوتهِ ابن عمّ يُسمّى عمرًا فتزوَّج بنت عمٍ لهم بغير امرهم فغضبوا ورصدوهُ ليضربوهُ . فخرج عمرٌو ومعهُ عبدٌ لهُ يُسمّى دابغاً فوثب العُدَيل واخوتهُ فاخذوا سيوفهم فقالت أُمهم : اني اعوذُ باللهِ من شرّكم . فقال لها ابنها اسود : وايُّ شيءٍ تخافين علينا فوالله لو حملنا اسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لَما قاموا لنا . فانطلقوا حتى لقُوا عمرًا . فلمَّا رآهم ذُعر منهم وناشدَهم فأبوا فحمل عليهِ سوادةُ فضرب عمرًا ضربةً بالسيف وضربهُ عمرو فقطع رجلهُ فقال سوادة (من الوافر) :

أَلا مَنْ يشتري رِجْلًا برجلٍ تأَبَّى للقيام فلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : إضرب فانت حرّ . فحمل دابغ فقتل منهم رجلًا وحمل عمرٌو فقتل آخر وتداوَلاهم فقتلا منهم اربعة وضرب العُدَيلَ على رأسهِ . ثم تفرَّقوا وهرب

دابغ حتى الى الشام فداوى وبَضّهُ بن النعمان الشيبانيّ للعُدَيل ضربتهُ ومكث مدّة . ثمّ خرج العديل بعد ذلك حاجًّا فقيل لهُ انّ دابغاً قد جاء حاجًّا وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام وقد اكترى . فجعل عُدَيل عليهِ الرَّصد حتى اذا خرج دابغ ركب العُدَيل راحلتهُ وهو ملتثم وانطلق يتبعهُ حتى لقيَه خلف الركّاب يحدو بشعر العديل ويقول (من الرجز) : -

يا دارَ سلمى أقفرَتْ من ذي قارْ هل فيكِ يا قِفارَ الدار من عارْ

وقد كُسينَ عرَقاً مثلَ القارْ يَخرجنْ من تحت خِلالِ الأوْبارْ

فلحِقَهُ العُدَيل فحبس عليهِ بعيرهُ وهو لا يعرفهُ ويسير رويدًا ودابغ يمشي رويدًا وتقدّمت إبله فذهبت وانّما يريد ان يباعدهُ عنها بوادي حنين . ثمّ قال العُدَيل والله لقد استرخى حقَب رحلي أنزل فأُغيّر الرحل فتُعينني . فنزل وغيّر الرحل وجعل دابغ يعينهُ حتى اذا شدّ الرحل اخرج العُدَيل سيفهُ فضربهُ حتى برد ثمّ ركب راحلتهُ فنجا وانشأ يقول (من الطويل) :

أَلَم تَرَني جَلّلتُ بالسيفِ دابغاً وان كان ثأرًا لم يُصِبْهُ غليلي

بوادي حُنَينٍ ليلةَ البدرِ رُعْتُهُ بأبيضَ من ماء الحديدِ صَقيلِ

وقلتُ لهم هذا الطريقُ أمامكم ولم آلُ اذ صاروا لهم بدليلِ

وفي ذلك يقول جرثومة العنزي الجلاني :

ان امرءًا يهجو الكرام ولم يَنَلْ من الثارِ إلّا دابغاً للئيمُ

اتطلبُ في جُلّانَ وترًا تَرومهُ وفاتَكَ بالأوتار شرٌّ غريمُ

يجيب على ما هجا بهِ العديلُ قومهُ حيث قال :

أهاجي بني جُلّانَ اذ لم يكن لها حديثٌ ولا في الاوّلين قديمُ

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجّاجَ بن يوسف وطالبهُ بالقَوَد فيهِ

فهرب العُدَيل الى بلد الروم. فلمّا صار الى بلد الروم لجأ الى القيصر فأمّنهُ فقال في الحجّاج (من الطويل) :

أُخوَّفُ بالحجّاج حتى كأنّما يُحرِّكُ عظمٌ في الفؤادِ مَهيضُ
ودونَ يدِ الحجّاج من ان تنالَني بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عَريضُ
مَهامِهُ اشباهٌ كأنَّ سَرابَها مُلاءٌ بأيدي الغاسلاتِ رَحيضُ

فبلغ شعرُهُ الحجّاجَ فكتب الى قيصر: لتبعثنَّ بهِ او لَأغزينَّك جيشاً اوّلهُ عندك وآخرُهُ عندي. فبعث بهِ قيصر الى الحجّاج

(قال) فخرج العديل يريد الحجّاج فلمّا صار الى بابهِ حجبهُ الحاجب فوثب عليهِ العُدَيل وقال: انهُ لن يدخل على الامير بعدَ رجالات قريش اكبرُ منّي ولا أولى بهذا الباب. فنازعَهُ الحاجب الكلام فأحفَظهُ وانصرف العُديل عن باب الحجّاج الى يزيد بن المهلّب فلمّا دخل اليهِ انشأ يقول (من الطويل) :

لَئنْ أرتَجَ الحجّاجُ بالبُخل بابَهُ فبابُ الفتى الازديِّ بالعُرف يُفتَحُ
فتًى لا يبالي الدهرَ ما قلَّ مالُهُ اذا جعلَتْ ايدي المكارمِ تَسنَحُ
يداهُ يدٌ بالعُرفِ تَنهَبُ ما حوَتْ وأُخرى على الأعداء تَسطو وتَجرَحُ
اذا ما اتاهُ المُرمِلون تيقَّنوا بأنَّ الغنى فيهم وَشيكاً سيَسرَحُ
أقام على العافِين حُرّاسَ بابهِ يُنادونَهم والحرُّ بالحرِّ يَفرحُ
هَلمُّوا الى سَيبِ الامير وعُرفهِ فانَّ عطاياهُ على الناس تُنفَحُ
وليس كعِلجٍ من ثمودٍ بكفّهِ من الجود والمعروفِ حَزْمٌ مطرَّحُ

فقال لهُ يزيد: عرّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك. وبالله لا يصل اليك وانت في حيزي. فامر لهُ بخمسين الف درهم وامر لهُ بافراس وقال لهُ: ألحَقْ بعَلياء نجدٍ واحذَر

ان تَلحقك حبائلُ الحجّاج او تحتجنَك محاجنُهُ . وابعَثْ اليَّ في كلّ عام فلكَ عليَّ مثل هذا . فارتحلَ . وبلغ الحجّاج خبرهُ فأحفظهُ ذلك على يزيد وطلب العديل ففاتهُ فاستاق ابلَهُ واحرق بيتهُ وسلب امرأتهُ وبناتهِ واخذ حُليهنَّ . فقال العديل (من الطويل) :

سَلَبْتَ بناتي حُليَهُنَّ فلم تَدَعْ ... سِوارًا ولا طَوْقًا على النَّحرِ مُذهبا

وما عزَّ في الآذانِ حتى كأنَّما ... تُعطَّلُ بالبيضِ الاوانسِ رَبْربا

عَواطلُ لا إن ترى بخدودها ... قسامَةَ عُتْقٍ او بَنانًا مُخضَّبا

فَككتَ البُرينَ عن خِدال كأنَّها ... براديُّ غيلٍ ماؤهُ قد تَنضَّبا

من الدُّرّ والياقوتِ عن كل حرَّةٍ ... ترى سَمطها بين الجمانِ مثقَّبا

دَعونَ امير المؤمنين فلم يُجبْ ... دعاءً ولم يُسمعن امًّا ولا أبًا

قال ابو عمرو الشيباني (الاغاني ٢٠ : ١٣) : « لمَّا ألحّ الحجّاج في طلب العُدَيل لفظتهُ الارض ونبا بهِ كلُّ مكان هرب اليهِ . فاتى بكر بن وائل وهم يومئذٍ بادون جمعٌ منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر فشكا اليهم امرهُ وقال لهم : انا مقتولٌ أفتسلموني هكذا وانتم اعزُّ العرب؟ . قالوا : لا والله ولكنَّ الحجّاج لا يُراغَمُ ونحن نستوهبك منهُ . فإن اجابَنا فقد كُفيتَ وان حادَنا في امرك منعناك وسألنا امير المؤمنين ان يَهبك لنا . فاقام فيهم واجتمعت وجوهُ بكر بن وائل الى الحجّاج فقالوا لهُ : أيُّها الامير انَّنا قد جنَيْنا جميعنا عليك جناية لا يُغفَر مثلُها ونحن قد استَسْلَمنا وألقينا بايدينا اليك فإمَّا وهبتَ فأهلُ ذلك انت وإمَّا عاقبتَ فكُنت المسلّط المالك العادل . فتبسَّم وقال : قد عفوتُ عن كل جرم الَّا الفاسق العُدَيل . فقاموا على ارجلهم فقالوا : مثلُك أيُّها الامير لا يستثني على اهل طاعتهِ واوليائهِ في شيء . فان رأيتَ ان لا تكدِّر مِنَّتك باستثناء وان تهبَ لنا العُديل في اوَّل من تَهَبَ . قال : قد فعلتُ فهاتوه قبَّحهُ الله . فأتوهُ بهِ . فلمَّا وقف بين يديهِ انشأ (من الطويل) :

ها أنا ذا ضاقت بيَ الارضُ كلُّها اليـكَ وقد جوَّلتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ في نَهلانَ اوشُعبَتَيْ أَجا لَخِلتُكَ إلَّا أن تَصُدَّ تراني

فقال لهُ الحجّاج: أَنشِدْني قولَكَ:

ودون يدِ الحجّاج من أنْ تنالني (البيت)

فقال: لم أقلْ هذا ايُّها الامير ولكني قلتُ (من الطويل):

اذا ذُكر الحجَّاجُ أَضمرتُ خيفةً لها بين أحنـاء الضلوعِ نفيضُ

فتبسَّم الحجّاج وقال: أولى لك فخلّى سبيلهُ وعفا عنهُ وفرض لـهُ وتحمَّل ديةً دابغ في مالهِ. وممّا أنشدهُ ليسترضي الحجّاج عند قدومهِ العراق قولهُ (من الطويل):

دَعُوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنَّما يُهانُ ويُسبَى كلُّ من لا يُقاتلُ
لقد جرَّد الحجَّاجُ للحقّ سيفَـهُ أَلَا فاستقيموا لا يَميلَنَّ مائـلُ
وخافوهُ حتى القوم بين ضُلوعهم كنَزْوِ القَطا ضُمَّتْ عليهِ الحبائلُ
وأصبحَ كالبازي يُقلِّبُ طَرْفَهُ على مرقبٍ والطيرُ منهُ رواحـلُ

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ اشتهر العُدَيل في زمن الدولة الامويّة والمروانيَّـة وهو من رَهط ابي النجم العِجلي. وكان شاعرًا مُقِلًّا الّا انَّ شعرهُ حسن مطبوع. ولهُ في المديح اقوال مشهورة منها لاميَّتهُ في الحجّاج لينال الصفح عن هجائهِ فقال (من الطويل):

فلو كنتُ في سَلمى أجا وشِعابها لَكان لحجَّـاجٍ عليَّ دليـلُ (١
بَنى قُبَّـةَ الإسلام حتى كأنَّمـا هدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
اذا جارَ حكمُ النـاس ألجأَ حكمَهُ الى اللهِ قاضٍ بالـكتاب عَقُولُ

١) يريد جبال طيء في نجد. ويروى: عليَّ سبيلُ

خليلُ اميرِ المؤمنين وسيفُهُ ... لكلّ إمامٍ صاحبٌ وخليلُ (١

بهِ نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ (٢ ... وثبّت ملكاً كاد عنهُ يزولُ

فانت كسيفِ اللهِ في الارض خالدٍ (٣ ... تصولُ بعونِ اللهِ حين تصولُ

وجازيتَ اصحابَ البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمّا تحبُّ نكولُ

وصلتَ بمُرّانِ العراقِ فأصبحت ... مناكبُها للوطء وهي ذلولُ

أذقتَ الحِمامَ ٱبنَيْ عُبادٍ فاصبحوا ... بمنزلِ موهونِ الجناحِ ثكولُ

ومن قطريٍّ نلتَ ذاك وحولَهُ ... كتائبُ من رجّالةٍ وخيولُ (٤

اذا ما أتت بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي ... أتت خيرَ منزولٍ بهِ ونزيلِ (٥

وما خفتُ شيئاً غير ربّيَ وحدهُ ... اذا ما انتحَيْتُ النفسَ كيف اقولُ

ترى الثقلَين الجنَّ والإنس اصبحا ... على طاعةِ الحجّاجِ حين يصولُ

وروى ابو تمّام في الحماسة لعُدَيل العجلي قولهُ في الفخر وقيل انها لابي الأخيل العجلي (من الطويل) :

ألا يا ٱسلَمِي ذاتَ الدَّماليجِ والعقدِ ... وذاتَ الثنايا الغُرّ والفاحمِ الجَعْدِ (٦

وذاتَ اللِثاتِ الحُمِّ والعارضِ الذي ... بهِ أبرقتْ عمْدًا بأبيضَ كالشَّهْدِ (٧

١) ويروى : مصطفى وخليلُ
٢) ويروى : الإمام عليهم ٣) تلميح الى خالد بن الوليد الملقّب بسيف الله
٤) ابنا عباد والقطري بن الفجاءة ممّن خرجوا على دولة الامويّين ظفرا بهم الحجّاج
٥) في هذا البيت الاقواء
٦) الدماليج جمع دُمْلوج وهو العَضُد . والفاحم الشعر الاسود
٧) اللثات مغارز الاسنان . والحُمّ جمع أحَمّ اي اسود ويروى : الحُوّ من الحُوّة اي السُمْرة . والعارض الناب

كأنّ ثناياها اغتبقْنَ مُدامةً ... ثوَتْ حِجَجاً في رأسِ ذي قُنّةٍ فَرْدِ(١)

جرى بفَريقِ العامريّة غُدْوةً ... شواحِجُ سودٌ ما تُعيد وما تُبدي

اذا ما نَعَقْنَ قلتُ هذا فراقُها ... وان هنّ لم يَنْعِقْنَ سَكَّنَ من وجدي

لعلّ الذي قاد النوى أن يَرُدَّها ... الينا فقد يُدْني البعيدَ من البُعدِ

وعلّ النوى في الدار تجمعُ بيننا ... وهل يُجْمَع السيفانِ ويحك في غِمدِ(٢)

لعمري لقد مرّت بيَ الطيرُ آنفاً ... بما لم يكن إذ مرّتِ الطيرُ من بُدِّ(٣)

ظلَلتُ أساقي الموتَ إخوتيَ الأُولى ... ابوهمُ ابي عند المزاحةِ والجِدِّ(٤)

كلانا ينادي يا نِزارُ وبيننا ... قَناً من قنا الخَطّيِّ او من قنا الهندِ

قُرومٌ تَسامى من نِزارٍ عليهمُ ... مُضاعَفةٌ من نَسْجِ داوُود والسُّغْدِ(٥)

اذا ما حمَلْنا حملةً مَثَلوا لنا ... بمُرْهَفَةٍ تُذْري السواعدَ من صُعْدِ(٦)

وان نحنُ نازلناهمُ بصوارمٍ ... رَدَوْا في سرابيلِ الحديدِ كما تَرْدي

كفى حزَناً أن لا أزالَ أرى القنا ... تَمُجُّ نجيعاً من ذِراعيَ ومن عَضُدي(٧)

لعمري لئن رمتُ الخروجَ عليهمِ ... بقَيْسٍ على قيسٍ وعَوْفٍ على سَعْدِ

وضَيَّعتُ عمرًا والربابَ ودارماً ... وعَمْرَ بن أُدٍّ كيف اصبرُ عن أُدِّ

---

١) الاغتباق شُرب العشيّ . ثمّ وصف تلك الخمرة بانها معتّقة في الدنان

٢) هذه الابيات الاربعة ليست في النسخة المطبوعة وهي في نسخة خطّية قديمة في مكتبتنا الشرقيّة

٣) يشير الى عادة العرب في مراقبة الطير فيتيمّنون بها ويتشاءمون

٤) ويروى اساقي الهمّ . وساقاهُ شاركهُ في سقيهِ

٥) ينسب العرب اصطناع الدروع للنبي داود ولاهل بلاد السُّغْد . ويروى : والسُّدِّ

٦) المرهفة السيوف المرقّقة . وتذري تسقط . ومن صُعْدٍ اي من اعلى

٧) اراد بالذراع والعضد قومَهُ الذين يبطش بهم على اعدائهِ

لكنتُ كمُهريقِ الذي في سِقائهِ لرَقْراق آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ(١
كمرضعةٍ اولادَ أُخرى وضيَّعَتْ بني بطنها هذا الضَّلالُ عنِ القصدِ(٢
فأُوصيكما يا ابنَيْ نِزارٍ فتابعا وصيَّةَ مُفضي النُّصحِ والصِّدقِ والوُدِّ
ولا تَعْلَمنَّ الحربُ في الهام هامتي ولا تَرْمِ بالنَّبلِ وَيْحكما بعدي(٣
أما تَرْهبانِ النار في ابنَي أبيكما ولا تَرْجوانِ اللهَ في جنَّةِ الخُلْدِ(٤
وإني وان عاديتُهم وجفوتُهم لتأْلمُ ممَّا عضَّ أكبادَهم كِبْدي
فانَّ أبي عند الحفاظِ أبوهمُ وخالُهم خالي وجدُّهمُ جدّي
فما تُرْبُ أثْرى لو جمعت تُرابَها بأكثرَ مِنْ إبنَيْ نِزارٍ على العَدِّ(٥
هما كَنَفا الارضِ اللّذا لو تَزَعْزعا تزَعْزعَ ما بينَ الجَنُوب الى السَّدِّ
رِمَاحُهمُ في الطولِ مثلُ رماحِنا وهم مثلُنا قَدُّ السُّيور منَ الجِلدِ(٦

وروى لهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد قولهُ يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيبان وعجل فيهِ (من البسيط) :

ما أَوْقدَ الناسُ من نارٍ لمَكرُمةٍ إلّا اصطَلَيْنا وكنَّا مُوقدي نارِ

١) يقول لو شئتُ ان اخرج على من عاداني لأثرتُ حربًا اهليَّة تضرُّ ولا تنفع ورقراق الآل تموُّج السرّ

٢) شبَّهَ فعلهُ وعدمَ فائدتهِ بطير النعامة التي تذهل عن بيضها وتجثم على بيض غيرها يُضرَب بحماقتها المثل

٣) ويروى: فلا تُعلمنَّ الحربَ. وخصَّص هامتَهُ وهو يريد شخصهِ

٤) هذا قول صريح في اعتقاد الشاعر لعقاب الآخرة وثوابها

٥) الأثري كالثرى هي الارض اصلها اللذانِ فحذف النون

٦) كَنفا الارض ناحيتاها . واللذا

وما يَعُدُّون من يوم ٍ سمعتَ بهِ للناسِ أفضلَ من يوم ٍ بذي قارِ
جئنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ لمَّا استلَبْنا(١ لِكِسْرى كلَّ أسوارِ

ومن جيّد شعر العُدَيل قصيدتهُ اللاميَّة التي يمدح فيها قبائل وائل ويذكر دفاعهم عنهُ ويفتخر بهم فقال (الاغاني ٢٠ : ١٤–١٦) (من الكامل) :

صَرَمَ الغَواني واستراحَ عَواذلي وصحَوْتُ بعدَ صَبابةٍ وتمايُلِ
وذكرتُ يوم لوى عُنَيق(٢ نسوةً يَخطُرْنَ بين أكِلَّةٍ ومَراجلِ
لَعِبَ النعيمُ بهنَّ في أطلالهِ(٣ حتى لَبِسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ
يأخُذْنَ زينَتهنَّ أحسنَ ما ترى واذا عطِلْنَ فهنَّ غيرُ عَواطلِ
واذا خبَأْنَ خُدودَهنَّ أرَيْنَني(٤ حدَقَ المَها وأخذنَ سَهْمَ القاتلِ
ورمينَني(٥ لا يَستترنَ بجُنَّةٍ الَّا الصِّبا وعلمنَ اين مَقاتلي
يَلبَسْنَ أردِيَةَ الشبابِ لأهلها ويَجُرُّ باطِلُهنَّ حَبلَ الباطلِ(٦
بَيْض الأَنوق بِكَسْرِهنَّ ومَن يُرِدْ بيضَ الأَنوقِ فوكْرُها بمعاقلِ(٧
ووراءك اهلكَ منهمُ ورأيتَهم بفروع أرْعنَ فوقها متطاوِلِ
واذا سألتَ ابْنَيْ نِزارٍ بيَّنا مجدي ومنزِلَتي من ابْنَيْ وائلِ
حدَبَتْ بنو بَكْرٍ عليَّ وفيهمُ لهمُ المكارمُ بالعديدِ الكاملِ(٨
خطَروا ورائي بالقَنا وتجمَّعَتْ منهم قبائلُ أردَفوا بقبائلِ

١) ويروى : يوم استلَبْنا
٢) لوى عُنَيْق مكان بعينهِ . ويروى : لوى عَتيق ٣) ويروى : في اظلاله
٤) كذا روى الحصريّ في زهر الآداب (٤ : ٨٤) . وفي الاغاني : واذا جنان خدودهنَّ أرَيْنَنا . وهو تصحيف ٥) روى الحصريّ : يرميننا
٦) روى الحصريّ : ذيل الباطل . وقد غنَّى ابن سريج بالابيات الاربعة السابقة
٧) يشير الى المثل: اعزُّ من بيض الأَنوق
٨) وفي الاصل : والعديدُ الكاملُ

انَّ الفوارسَ من لُجَيمٍ لم تزَلْ … فيهم مَهابةُ كلّ ابيضَ فاعلِ

مُتعمّمٍ بالتاج يسجدُ حولَهُ … من آلِ هَوْذَةَ للمكارمِ حاملِ (١

او رهطِ حَنظَلةَ الذين رماحُهم … سُمُّ الفوارسِ حَتْفُ موتٍ عاجلِ

قومٌ اذا شهروا السيوفَ رأوا لها … حقًّا ولم يكُ سَلُّها للباطلِ

ولئنْ فخَرْتُ بهم لِمِثلِ قديمهمْ … بُسِطَ المفاخرُ لِلّسانِ القائلِ

اولادُ ثعلبَةَ الذين لِمِثلِهمْ … حِلمُ الحليمِ وردُّ جهلِ الجاهلِ

ولِمَجْدِ يَشْكُرَ صورةٌ عادِيَّةٌ … وأبٌ اذا ذكروهُ ليس بخاملِ

وبنو الفِزارِ اذا عددتَ صَنيعَهم … وَضحَ القديمُ لهم بكلّ محافلِ

واذا فَخَرْتَ بتغلِبَ ابنةِ وائلٍ … فاذكُرْ مكارمَ مِن ندًى وأوائلِ

ولتغلبَ الغلباءِ عِزٌّ بيِّنٌ … عادِيَّةٌ ويزيدُ فوقَ الكاهلِ

تَسطو على النُّعْمانِ وابنِ مُحرِّقٍ … وابنَيْ قَطامِ بعِزَّةٍ وتَناوُلِ

بالمُقْرَباتِ يَبِتْنَ حولَ رِحالِهمْ … كالقِدِّ بين أجِلَّةٍ وصَواهِلِ

اولادُ أعوجَ والصَّريحِ (٢ كأنّها … عِقْبانُ يومِ دُجُنَّةٍ وتَخايُلِ

يَلفُظْنَ بعد أزُومِهنَّ على الشَّبا … عَلَقَ الشَّكيمِ بألسُنٍ وجَحافلِ

قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هِنْدٍ عَنوةً (٣ … وقَنا الرماحِ تذودُ وِرْدَ الناهِلِ

---

١) يشير الى هَوْذة بن عليّ سيّد بني حنيفة النصراني المعروف بذي التاج (اطلب كتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ٢٤٣)

٢) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلة يضرب العرب بكرمهما المثل

٣) قتل عمرو بن كلثوم التغلبيُّ ملكَ الحيرة عَمْرَ بن هند

منهم ابو حَنَشٍ وكان بكفِّهِ رَيُّ السنانِ وريُّ صَدْرِ العاملِ (١
ومُهَلهِلُ الشعراء إن فَخَرُوا بهِ ونَدَى كُلَيبٍ عند فَضلِ النّائلِ (٢
حَجَبَ المَنيَّةَ دون واحدِ أمهِ من أنْ تَبيتَ وَصَدْرُها ببلابلِ
وأَبى مُجالَسة الشبابِ فلم يكن يُستَبُّ مجلسُهُ وحقَّ النازلِ
حتى أجارَ على الملوكِ فلم يَدَعْ حَدَباً ولا صَعَرًا لرأسٍ مائلِ
في كلِّ حيٍّ للهُذَيلِ ورَهطِهِ نِعَمٌ وأخذُ كريمةٍ بتناوُلِ
بيضٌ كرائمُ رَدَّهنَّ لعُنوةٍ أَسَلُ القَنا وأُخِذنَ غيرَ أراملِ
ابناؤهنَّ من الهُذَيل ورَهطِهِ مثلُ الملوكِ وعِشْنَ غيرَ عواملِ

وقد روى لهُ في الاغاني (٢٠ : ١١) ابياتاً فيها غناء لمعبدٍ (من الطويل) :

فان تكُ من شَيبانَ أمّي فانَّني لَأَبيضُ من عجلٍ عريضُ المَفارقِ
وكيف بذِكرَى امِّ هارون بعدما خبَطْنَ بأيديهنَّ رَمْلَ الشقائقِ
كأنَّ نقاً من عالجٍ آزَرَتْ بهِ اذا الذِلُّ ألْهاهنَّ شَدَّ المَناطقِ
وانّا لَنُغْلي في الشتاء قدورَنا ونَصْبِر تحتَ اللامعاتِ الخوافقِ

وقد روى الاصمعيّ انَّ الشاعر الراجز ابا نجم قال العُدَيل : أرأيتَ قولكَ (فان تكُ من شيبان أمّي . البيت) أكنتَ شاكًّا في نسبك حين قلتَ هذا . فقال لهُ العُدَيل : أفشككتَ انتَ في نفسك او شعرك حين قلتَ :

أنا ابو النجم وشِعْري شعري لله دَرّي ما تَجِنُّ صدري

فأمسك ابو النجم واستحيا — ومن مديح العُدَيل ما قالهُ في رجلَين عُرفا بشرفهما

١) ابو حنش كُنْية عَصِم بن النعمان التغلبي الذي قتل شرحبيل بن الحارث لقتلهِ اخاهُ لامّهِ ذا السُّنَينة ٢) اطلب اخبار كليب والمهلهل في شعراء النصرانيّة

وضرب المثل بكرمها وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن ربعي الفيّاض. روى عنهما صاحب الاغاني ما حرفهُ قال (٢٠ : ١٨) :

«كان حوشب بن يزيد الشيباني وعكرمة بن رِبْعيّ يتنازعان الشرف ويتباريان في الطعام ونَحر الجُزُر في عسكر مُصْعَب. وكان حوشب يغلب عِكرمةَ لسَعَة يدهِ. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُختر . . . بسفائن دقيق فأتاهُ عِكرمة فقال لهُ : اللهَ اللهَ فيَّ قد كاد حوشبُ ان يستَعْليَني ويغلبني بمالهِ فبِعْني هذا الدقيق بتأخير ولك فيهِ مثلُ ثمنهِ ربحاً. فقال: خذهُ. واعطاهُ ايّاهُ فدفعَهُ الى قومهِ وفرَّقهُ بينهم وامرهم بعَجْنهِ كلّهِ فعجنوهُ كلهُ ثمَّ جاء بالعجين كلّهِ فجمعَهُ في هوَّةٍ عظيمةٍ وامر بهِ فغُطّي بالحشيش. وجاء برَمَكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأفلت ثمَّ ركضوها بين يديهِ وهو يتبعُها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورَّط في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قومُ عِكرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين أدرِكوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عِكرمة. فخرج الناس تعجُّباً من ذلك اذ تكون خميرةٌ يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر وجاوْوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبينُ منهُ الّا رأسُهُ وعنقهُ. فما أُخرِج إلّا بالعَمَد والحبال وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحها ويفخر بهما (من الطويل):

وعِكْرِمَةُ الفيّاضُ فينا وحَوْشَبٌ هما فَتَيا الناس اللّذا [١] لم يُعَمَّرا

همــا فَتَيا الناس اللــذا لم يَنَلْهُما رئيسٌ ولا الأَقيالُ من آلِ حِميَرا

وقال غيرهُ في حوشب :

وأَجْوَدُ بالمال من حاتمٍ وأَنحَرُ للجُزْرِ من حوشبِ

وقد مدح العُدَيل رجلاً آخر سيّدًا على بني ربيعة بن نزار اسمهُ مالك بن ربيعة ابن مِسْمَع لاذ بابيهِ بنو تميم والأزد لان والي الكوفة زيادًا حمل مالًا من البصرة الى مُعاوية فحرمه عرب ربيعة فاستغاثوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنهُ مالكاً فلحق بالمال وردّهُ

١) اللذا مثنّى اللذي بحذف نونها للشعر

وانفقهُ في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعهُ زياد. ثمّ ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة فجمع هو ايضاً مالًا ليحملهُ الى ابيهِ فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا بهِ ففعل مثلَ فعلهِ بزياد فقال العديل قصيدتهُ التي اوّلها (من الطويل):

أَمِنْ مَنزلٍ من أُمّ سَكنٍ عَشيَّةً ... ظَلِلتُ بها ابكي عليهِ مُفكِّرَا

معي كلُّ مسترخي الإزار كأنّهُ ... اذا ما مشى من جنّ غِيلٍ وعَبقَرا

مُنيخي المَطايا لا يُبالي كلاهما ... مُقَلِّصةً خُوصاً من الأَيْنِ ضُمَّرا

ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة ابن الرشيق ٢: ٦ والاغاني ٢٠: ١٧):

بني مِسْمَعٍ لولا الإلهُ وانتمُ ... بني مِسْمعٍ لم يَنكِرِ الناسُ مُنكَرا

اذا ما خشينا من امير ظُلامةً ... دعونا أبا غسَّانَ يوماً فعسكرا

ترى الناسَ افواجاً الى بابِ دارهِ ... اذا شاء جاؤوا دارعِينَ وحُسَّرا

ومما يُروى ايضاً من شعر العُدَيل بن الفرخ ما قالهُ في رجل من بني عجل يدعى جبّارًا كان رجل من بني العَبَّاب من رهط العديل اصاب انفَهُ (من الطويل):

أَلم تَرَ جبَّارًا ومارِنَ أَنفهِ ... لهُ ثُلَمٌ يَهوِينَ أن يتخَنَّعا

ونحنُ جدَعنا أَنفَهُ فكأَنَّما ... ترى الناسَ أعداءً اذا هو أطلعا

كُلوا أَنفَ جبَّارٍ بِكارًا فانَّما ... تركناهُ عن فَرْطٍ من الشرّ أَجدعا

مَعاقدُ من أَيديهمِ وأُنوفِهم ... بَكارى وثيباً تَرْكبُ الحَزْنَ ظُلَّما

وكان رجل من رهط العُدَيل ضرب ايضاً يد وكيعٍ احد بني الطاغية وهما يشربان فقطعها وافترقا فقال العُدَيل في ذلك (من الطويل):

تركتُ وكيعاً بعد ما شابَ رأسُهُ ... أشلَّ اليمين مستقيمَ الأَخادعِ

تَشرَّبْ بها وُرْقَ الإِفالِ وكُلْ بها ... طعامَ الذليل وأَنحِزْ في المَخادعِ

فلمَّا قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبَّار ويد وكيع حلف رهطها ان يقطعوا انفَهُ ويدهُ دونَ مَن فعَلَ ذلك بهم . فهرب العديل وابوهُ الى بني قيس بن سعد ولجأ الى عُفَير بن جُبَير . فقال بنو قيس بن سعد للفرخ بن العُدَيل أنصِفْ قومك وأعطِهم حقَّهم . فركب اليهم الفرخ ومعهُ رجلان من بني الحرث اسمهما حسَّان ودينار فأسرتهُ بنو الطاغية وانتزعوهُ من الرجلين وتوجَّهوا بهِ نحو البصرة . فرجع الرجلان الى قومهما مستنفرَين لهم فركب النفير في نَهب بني الطاغية فادركوا منهم رجلًا فاشترى منهم الجِراحة بسبعين بعيرًا واخذ ابنَ الفرخ منهم فاطلقهُ . فقال العديل يمدح بني قيس ويهجو بني طاغية (من الطويل) :

ما زال في قيسِ بن سَعْدٍ لجارِهمْ ... على عَهْد ذي القَرْنين ِ مُعْطٍ ومانعُ

هم استَنقذوا حسَّانَ قَسْرًا وأنتمُ ... لئامُ المَقام والرماحُ شوارِعُ

غدَرْتم بدينارٍ وحسَّانَ غُدْوَةً ... وبالفَرْخِ لمَّا جاءكم وهو طائعُ

فلولا بنو قيس بن سَعْدٍ لأصبحَتْ ... عليَّ شِدادًا قبضُهنَّ الاصابعُ

ألا تَسْألون ابْنَ المُشَتَّمِ عنهمُ ... جعامةُ والجيرانُ وافٍ وظالعُ

وممَّا روى ابو الفرج في (الاغاني ٢٠ : ١٩) عن الاصمعي انهُ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال : أنشِدْني يا اصمعي شعرًا مليحاً . فقلتُ : أرَصيناً فَحلًا يريدهُ اميرُ المؤمنين ام شجيًّا سَهلًا . فقال : بل غزلًا بين الفحل والسهل . فانشدتهُ للفرخ بن العُدَيل العجلي (من الطويل) :

صحا عن طِلابِ البيض قبل مَشيبهِ ... وراجَعَ غضَّ الطَّرْف فهو خفيضُ

كأنِّيَ لم أرْعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيِّ أحوَى المُقلتَين غضيضُ

دعاني لهُ يوماً هوًى فأجابَهُ ... فؤادٌ اذا يَلْقى المِراضَ مريضُ

لِمُسْتَأنِساتٍ بالحديث كأنَّهُ ... تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنَّ وميضُ

فقال لي : أعِدْها . فما زلتُ اكرّرها عليهِ حتى حفظها

ولهُ في العتاب ما رواهُ صاحب الحماسة البصريّة (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انّهُ كان مدَح مع الفرزدق قوماً من رهطهِ فوصلوا الفرزدقَ دونهُ فقال (من الطويل) :

أَفي الحقّ ان يُعطَى الفرزدقُ حكْمَهُ وتَخرُجُ كفّي من نَوالكمُ صُفْرا
أهُمْ فَيَثْنيني أواصرُ بينَنا وأيدٍ حِسانٌ لا أُؤَدّي لها شكرا

وممّا يُستشهد بهِ من شعر العُدَيل في كتب اللغة قولهُ (من الرجز) :

اوعدَني بالسجن والأَداهمِ رِجْلي ورِجْلي شَثْنةُ المناسمِ

قالوا الأَداهم القيود من خشب جمع أدهم . اي تهدّدني بالسجن وتهدَّد رجلي بالقيود وانّما رجلي شثنة المناسم اي غليظة الباطن لم تؤلمها القيود

ومن رَجَز العديل رائيّتهُ التي مرّ ذكرها وهي كثيرة الابيات ذكر منها ابن قتيبة في الشعر والشعراء قولهُ :

يا دار سَلْمى اقفرت من ذي دارْ (١ وهل بإقفار الديار من عارْ

ثم ذكر وصفهُ للابل :

قواربَ الماء سَوامي الأَبصارْ وهنّ يَنهضْنَ بدَكْداكٍ هارْ (٢
أَوْرَقَ (٣ من تُرْبِ العِراقِ خوّارْ وقد كُسينَ عَرَقاً مثلَ القارْ

يخرجُ من تحتِ خلال الأَوبارْ

﴿وفاة العُدَيل في البصرة﴾ روى في الاغاني (٢٠ : ١٩) عن محمّد بن سلّام قال : قَدم العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدري فوصَلهُ فاقام بالبصرة

١) ويروى : من ذي قار
٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلاً . والدكداك الارض الغليظة . والهار المتداعيَ يريد الارض التي تجرفها السيول
٣) الأَورق الذي لونهُ لون الرماد

واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بهـا الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدَتْ مثلَ المُدَيلِ جليلةٌ قديمًا ولا مستحدَثاتُ الحلائلِ
وما زالَ مُذْ شدَّتْ يداهُ إزارَهُ بهِ تَفْتَحُ الابوابَ بكرُ بن وائلِ

وهذان البيتان لم يُرْويا في ديوان الفرزدق

١٣ العجّاج بن رؤبة

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو عبدالله بن رؤبة بن حنيفة احد بني تميم يُكنى ابا الشعثاء والشعثاء ابنتهُ . وقد سُمّي العجّاج ببيت قالهُ في مديح قومهِ :

فعرفوا ألّا يُلاقوا مَخرجا او يبتغوا الى العمادِ دَرَجا
حتى يَعِجَّ عندها مَنْ عَجْعَجَا

وكان يلقَّب بعبدالله الطويل واكثر سكناهُ البصرة فنُسب اليها

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ عاش العجّاج في عهد بني اميّة فمدحهم ونال صِلاتهم وقد عرف منهم يزيد بن معاوية وسليمان بن عبد الملك وبشر بن مروان بن الحكم ومدح عاملهم على العراق الحجّاج بن يوسف وغيره من اعيان زمانهِ كعُمر بن عبيد الله بن معمر والي البصرة وكان عبد الملك بن مروان قد وجّههُ لقتال ابي فُدَيك الخارجي الحروريّ فاوقع بهِ وباصحابهِ سنة ٧٣هـ(٦٩٢م) فمدحهُ العجّاج بارجوزة طويلة في نحو مائتي بيت

امّا شعرهُ فقد اشتهر فيهِ بقصائدهِ الرَجز فانّهُ كان هو وابنهُ رؤبة من كبار الرجّازين وفصحائهم وقيل ان الأغلب العِجلي والعجّاج وابا النَّجم العجلي اوَّل من اطالوا المقطّعات ونظموا الاراجيز المطوَّلة . وقد اخبر ابو الفرج في الاغاني(١٨ : ١٢٤) عن ابن دريد انهُ قيل ليونس النحوي : مَن اشعر الناس ؟ قال العجّاج ورؤبة . فقيل لهُ : لِمَ لَمْ تَعنِ الرُّجّاز . ؟ فقال : «هم اشعر من اهل القصيد . انّما الشعر كلام واجوَدُهُ

اشعرهُ». ثم ذكر مثالًا من شعرهما بيّن فيهِ ما لهما من الفضل وجود القريحة

﴿اخبارهُ﴾ عاش العجاج في البصرة وفي البادية المجاورة لها في ايام الخلفاء الراشدين ثمّ في عهد بني اميّة. وكان مواليًا للامويين ولعلّهُ حارب مع جيوشهم اعداء دولتهم كما يُستدلّ من اوصافهِ لحروبهم. وقد مرّ بدمشق ودخل على خلفائها وحضر مع الشعراء بعض المجالس الادبيّة التي عُقدت فيها. ووقعت بينهُ وبين ابي النجم الراجز مفاخرات كان يدّعي كلّ منهما الفضل على الآخر

وممّا لا ريب فيهِ انّ سمعة العجاج انتشرت في انحاء العرب وكان الناس يتناشدون شعرهُ فنقلهُ عنهم اللغويّون واستندوا اليهِ في نوادر كتب اللغة

وممّا اخبرهُ الاصفهاني في الاغاني متفكّهاً (١٨ : ١٢٤) انّ راجزًا من اهل المدينة جلس الى حلقةٍ فيها الشعراء وبينهم العجاج وابنهُ رؤبة وهو لا يعرفهما فقال: «انا ارجزُ العرب انا الذي اقول:

مَرْوانُ يُعطي وسعيدٌ يمنعُ   مروانُ نبعٌ وسعيدٌ خروعُ

وَددتُ أني راهنتُ مَن احبّ في الرجز لأنا ارجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينهُ». فأقبل رؤبة على ابيهِ فقال: قد والله أنصفَك الرجل. فاقبل عليهِ العجاج فقال: ها انا ذا العجاج فهلمّ. وزحف. فقال المدَني: واي العجّاجين انت. قال: ما خلتُك تعني غيري انا عبدالله الطويل (وكان يكنّى بذلك). فقال لهُ المدَني: ما عنيتُك ولا أردْتك. قال: وكيف وقد هتفتَ باسمي. فقال: او ما في الدنيا عجّاج سواك؟ قال: ما علمتُ. قال: ولكني اعلمُ وايّاهُ عنيتُ. قال: فهذا ابني رؤبة. فقال: اللهمّ غفرًا ما بيني وبينكم عملٌ وانّما مُرادي غيركما. فضحك الحلقة منهُ وكفّا عنهُ

وكان العجاج يقيم في مِرْبَد البصرة من اشهر محالّها وبها كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء فيقوم بينهم العجاج محتفلًا عليهِ جبّةُ خزّ وعمامة خزّ على ناقةٍ لهُ قد اجاد رحلها فينشد الناس

وعاش العجاج الى ايام الوليد بن عبد الملك فمات نحو السنة ٩٠ هـ (٧٠٩م)

﴿دينهُ﴾ ما كنّا لنجسر ان ننظم العجاج في سلك شعراء النصرانيّة لولا كلمةٌ وردت في شعرهِ تدلّ على انّهُ دان بالنصرانيّة وان يكن بعد ذلك عدل الى

الاسلام. وهذه الكلمة هي مطلع قصيدتهِ الرائيّة الشهيرة حيث يقول :

الحَمْدُ للهِ الذي اعطى الشَّبَرْ

فشرح البعض لفظة «الشَّبَر» بمعنى الخَيْر والعطيَّــة اي الحمدُ لله موزّع الخيرات والعطايا . الّا انَّ للفظة معنى آخر قديماً ورد في شعر عــدي بن زيد الشاعر النصراني الشهير حيث يصف امانتهُ نحو النعمان (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٢) :

لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

فورد هناك شرح الكلمة «بالانجيل والقربان». وكذلــك قال ابن السكّيت في اصلاح المنطق (في الطبعة المصريّة ص ١٦٩) : «وقيل في الشَّبَر ها هنا انهُ القربان». فعديّ اذ أقسَم بالشَّبَر اراد أَجلَّ ما لدى النصــارى في دينهم وهو القربان. وقد زاد العجّاج على قول عدي اذ خصَّ الحمدلة في مقدّمة قصيدتهِ وبراعة استهلالها بمنحة الله للشَّبَر فلا يُريد ايّ عطيّة كانت بل اكبر هبات الله التي هي عند النصارى الانجيل والقربان

ويؤيد قولنا الشرحُ الوارد في لسان العرب(٦ : ٥٩) وفي تاج العروس(٣ : ٢٨٩) لبيتي عدي والعجّاج : «الشَّبَر شيء. يتعاطاهُ النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقرّبون بهِ او القربان بعينهِ. ونقل الصاغاني عن الخليل انَّ الشَّبَر شيء. تُعطيه النصارى بعضُهم بعضاً كأنّهم كانوا يتقرّبون بهِ . . . وقيل الانجيل»

فترى من هذه الشروح انَّ العجّــاج وعدي بن زيد ضربا عن وَتَر واحد وانَّ كليهما يدين بالنصرانيّة . واللفظة على ما نظنّ سريانيّة فان كانت بمعنى الانجيل فهي «ܣܒܪܬܐ» يراد بها البشرى وهذا معنى لفظة الانجيل في اليونانيّة. وان كانت بمعنى القربان فهي «ܣܝܒܪܬܐ» ومعناها القوت والغذاء اي قوت النفس والقربان

هذا ولا نجهل انَّ بعض الرواة رووا كلمة العجّاج «بالحَبَر وبالخِيَر» وكلاهما بعيد او تصحيف فالحَبَر الاثر او السرور امّا الخَيَر على فعل او الخِيَر على فِعَل بلفظ الجمع فلا ذكر لهما في المعاجم . ما لم يُقَلْ انَّ الخِيَر جمع خِيَرة اي المختار ولا شكَّ في انَّ العجّاج نظر الى قول عديّ السابق ذكرهُ . ولاسيَّما انَّ اقدم رواية هي «الشَّبَر» راقية الى الخليل في القرن الثاني للهجرة

ولسنا لنقصد بقولنا هذا ان نصرانيّة العجّاج كانت خالصةً لا غبار عليها فكما ترى هنا اثر نصرانيّتهِ تجد ايضاً في شعرهِ آثارًا اسلاميّة منها في قصيدتهِ الرائيّة المذكورة حيث يذكر نبيّ الاسلام بقولهِ :

محمَّدًا واختارَهُ اللهُ الخِيَرْ فما وَفَى محمَّدٌ مذ ان غفَرْ
لهُ الالهُ ما مضى وما غبرْ أن أظهر الدينَ بهِ حتى ظَهَرْ

وقيل (في الاغاني ٢١ : ٨٥) انّ العجّاج انشد ابا هُرَيرة صحابيّ محمّد قولهُ الذي وصف فيها الخالق واعمالهُ ويوم الحساب واهوالهُ وهو موافق لمعتقد النصارى :

الحمدُ للهِ الذي تَعَلَّتِ بأمرهِ السماءُ واستقلَّتِ
بإذنهِ الارضُ وما تعنَّتِ أرسى عليها بالجبال الثُّبَّتِ
وَحى لها القرارَ فاستقرَّتِ ربُّ البلاد والعباد القُنَّتِ
والجاعلُ الغَيثَ غِياثَ المُسنِتِ (١ والباعثُ الناس ليوم المَوْقِتِ
بعد المماتِ وهو مُحيي المُوَّتِ يوم ترى النفوسُ ما أعدَّتِ
من نُزُلٍ (٢ اذا الامور غبَّتِ من سَعْي دنيا طال ما قد مُدَّتِ
حتى انقضى قضاؤها فأدَّتِ الى الإلهِ خَلقَهُ اذ طمَّتِ (٣
غاشيةُ الناسِ التي تَغَشَّتِ (٤ يومَ يَرى المرتابُ أن قد حَقَّتِ
اذا رأى مَتْنَ السماءِ انْقَدَّتِ وَحيَ الالهِ والبلادَ رُجَّتِ
وهو الذي أنعمَ نُعمى عمَّتِ دافعَ عنّي بنُقَيرٍ (٥ مُوتَتي

١) المُسنِت الذي اصابهُ الجَدْب من اسنَتَ القوم اذا اجدبوا
٢) النزل طعام الضيف يريد بهِ الاعمال الصالحة
٣) اذ طمَّتْهم اي دفنتهم في التراب
٤) الغاشية الهلاك . وتغشَّاهُ غطَّاهُ ٥) النُّقَير تصغير نَقَر هو فقد المال

بعد اللّتيّا واللتيّا والّتي (١ اذا علتها أنفسٌ تردّتِ

فارتاع ربّي واراد رحمتي ونعمةً أتمّها فتمّتِ

فردّها عني وقد أعدّتِ أظفارَها ونابها وحدّتِ

فأساً ومِسْحاةً لنَحْتِ جِبلتي

فلمّا سمع ابو هريرة انشادهُ قال: اشهد انك تؤمن بيوم الحساب. وللعجّاج آثار دينيّة تراها آنفاً

﴿ديوانهُ﴾ قد نجا ديوان العجّاج من الضياع. وكان اوّل من اهتمّ بجمعه الاصمعيّ وابو عمرو الشيباني كما روى ابن النديم في الفهرست (ص١٥٨) . وامّا اخبارهُ واخبار ابنهِ رؤبة فجمعها عبد العزيز الجلودي من اهل البصرة . وفي المكتبة الخديويّة نسخة من هذا الديوان نقلها العلّامة وليم بن الورد (W. Ahlwardt) فنشرها مع ترجمتها الالمانيّة في برلين سنة ١٩٠٣

وها نحن نقتطف من اراجيزهِ بعض المقطّعات تنويهاً بفضلهِ فمنها قولهُ مستنيباً ومستغفرًا ثمّ ذاكرًا ويلات الحرب :

يا رَبِّ ربَّ البيتِ والمُشَرَّقِ والمُرقِلاتِ كلَّ سَهْبٍ سَمْلَقٍ (٢

ايّاكَ ادعو فتقبَّلْ مَلَقي (٣ فاغفرْ خطاياي وثمِّرْ وَرَقي

انّا اذا حربٌ غدَتْ لا تتّقي دَيناً ولا مستأخِرًا لم يَلحَقِ

تَرُدُّ حدَّ النابِ منها الأزرَقِ في كلّ يومٍ كاللَّياح الأبلَقِ (٤

والحُمْسُ قد تعلمُ يومَ مُلْزَقِ انّا نقي احسابَنا ونَمتقي (٥

١) اللّتيا والّتي المصيبة والداهية

٢) المُشَرَّق مصلّى العيد. والمُرقِلات السَّهْب اي الابل القاطعة الفلاة. والسَّمْلَق الصحراء

٣) اي تقبّلْ دعائي واصل المَلَق الودّ واللطف

٤) الناب الأزرق اي ذو الزَّرَق وهو طول الثنايا العليا على السُّفلى . واللياح الصبح . والأبلق الذي يختلط سوادهُ ببياضهِ ٥) الحُمْس جمع أحمَس الشجاع . المُلزق القتال . ونمتقيهِ نختبئهُ

بالمشرفيّـات افتخارَ الأحمقِ (١) اذ هَمَّتِ الذُّهلانُ بالتفرّقِ
بعـد جخيفِ البَغي والتعمّقِ (٢) دارَت رَحانا ورحاهم تستقي
سِجالَ موتٍ مَنْ يَخُضْها يغرَقِ

وقال يذكر حُسْن سيرتهِ وعفافهُ :

يا ربِّ اذ شدّدْتَني عِقالا ولو تَشاء أسرَعَ انحلالا
ان كنتَ قد غيّرتَ حالي حالا من كِبَرٍ قـد أوهن الأوصـالا
فـلم أكُن استنطقُ العُـذّالا من أن يَرَوني للخَنا قوّالا
ولم أكُـن لجـارتي غوّالا ولم أكُن في جَنبهـا جهّالا
ولم أكُنْ أخـادعُ الضـلّالا ولا لِمـا حرّمْتَـهُ أكّـالا
ولا لبَيْتِ جـارَتي خَتّـالا (٣) بعد المنـام ابتغي الإدغالا
تَبَغّياً مـا ليس لي حَلالا على الإله الباعثِ الأثقـالا
يُعقِبُني من جَنّـةٍ تَظلالا (٤) وقد يشيبُ الصـابرَ النّوالا

ومن اقوالهِ ايضاً يذكر صفاتهِ تعالى :

فالحمدُ لله العليِّ الأعظمِ ذي الجَبَروت والجلالِ الأفخمِ
وعالمِ الإعلانِ والمُـكَتَّمِ وربِّ كُلِّ كافـرٍ ومُسْلمِ
والساكن الارض بأمرٍ مُحْكمِ بَنى السماواتِ بغيرِ سُلَّمِ

---

(١) اراد بالأحمق الذي لا يُبالي بأهوال الحرب . وبالذُّهلان الجُبناء
(٢) الجخيف الافتخار الباطل . والرحى حومة الحرب
(٣) الختّال الخدّاع . والإدغال الخيانة (٤) التّظلالا من المصادر النادرة كالتظليل

وربَّ هذا البلَدِ المحرَّمِ والقاطناتِ البيتَ غيرَ الرُّيَّمِ (١

من عهد ابرهيمَ لمَّا تُطسَمِ

ومن مديح العجّاج قولهُ في يزيد بن معاوية :

فقد رأى الرَّاؤون غيرُ البُطَّلِ أنَّك يا يزيدُ يا ابنَ الأفحَلِ (٢

اذ زُلزِلَ الاقوامُ لم تُزَلزَلِ (٣ عن دينِ موسى والرسولِ المُرسلِ

اذ طارَ بالناس قلوبُ الضُّلَّلِ (٤ قتلًا وإضرارًا بمن لم يُقتَلِ

وكنتَ سيفَ الله لم يُفَلَّلِ يَفرَعُ احياناً وحيناً يَختلي (٥

سوالفَ العادينَ هَذَّ العُنصُلِ والهامَ والبَيضَ انتقافَ الحنظَلِ (٦

حتى ارفأنَّ الناسُ بَعدَ المِجوَلِ وبعد تَشوَالِ الحروبِ الشُّوَّلِ (٧

تفادياً منك ولم تُفَلَّلِ

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك وكان يكنَّى بابي العبَّاس :

كم قد حسَرنا من عَلاةٍ عَنسِ كَبدَاءَ كالقَوسِ وأُخرى جَلسِ (٨

---

١) الرُّيَّم جمع رائم من رام المكان اذا فارقهُ
٢) الأفحل الاكرم ٣) زُلزِل القوم اضطربوا
٤) الضُّلَّل جمع الضالّ المتشتّت المنهزم
٥) فَلَّلَ السيفَ ثلَمهُ . ويفرَع يعلو فوق رؤوس العدوّ . ويختلي يجزُّ ويقطع
٦) السَّوالف مفعول يختلي جمع سالفة وهي صفحة العُنق . والهَذّ القطع السريع . والعُنصُل البصل البرّي وانتقفَ الحنظلَ كسرهُ عن حبّهِ استعارهُ لكسر الرؤوس
٧) ارفأنَّ سكن وهدأ . المِجوَل كرَّة الحرب . وتَشوَال الحرب هيجانها
٨) حسَرَ العَلاةَ اي ساقَ الناقة سَوقًا شديدًا . والعَنس الناقة الصلبة الجسم . ويقال قوسٌ كبداء اذا ملأَ مقبضُها الكفَّ . والناقة الجَلس الوثيقة الجسم

حتى احتضَرْنا بعد سَيْرٍ حَدْسِ إمامَ رَغْسٍ في نِصابٍ رَغْسِ (١
رأسَ قِوامِ الدينِ وابنَ رأسِ خليفةً ساسَ بغير فَجْسِ (٢
في قِنْسِ مَجْدٍ فاتَ كلَّ قِنْسِ (٣ ملّكهُ اللهُ بغير نَحْسِ
قد علمَ القدُّوسُ رَبُّ القُدْسِ انَّ أبا العبَّاس أَوْلى نَفْسِ
بمَعْدِنِ المُلْكِ كريمِ الكِرْسِ فُرُوعهِ واصلهِ المُرَسِّي (٤

وقال في بني مَرْوان :

انَّ بني مَرْوانَ ضَرَّابو البُهَمْ والقاتلون مَن عَصَى اذا اعتَقَمْ (٥
ديناً سوى الحقّ الى أَمرٍ أَمَمْ كلُّهُمُ يُنمَى الى عِزٍّ أَشَمّْ (٦

وقال يفتخر بقومهِ :

قد علمَتْ بكرٌ وسعدٌ تعلَمُهْ لَنَصْرَعَنْ ليثاً يُرِنُّ مأتَمُهْ (٧
نطعَنُهُ نَجلاءَ فيها أَلَمُهْ بجيشُ من بين تراقيهِ دَمُهْ
كمِرْجَلِ الصَّبَّاغِ جاشَ بَقَّمُهْ (٨

---

١) السَّيْر الحَدْس هو السريع . واحتضَرَ كحَضَرَ . الرَّغْس النعمة والبركة خصَّها بالإمام اي الخليفة الوليد . والرَّغْس المشي البطيء من الإعياء
٢) الفَجْس الكِبْر والتعظُّم
٣) القِنْس أعلى الرأس والذُّروة
٤) كريم الكِرْس اي كريم الاصل . والمُرَسّي المتأصّل
٥) البُهَم الشجاع . اعتقم الرجل الى الشرّ تردَّد اليهِ
٦) الامر الأَمَم الواضح البيّن . والأَشمّ العالي الشرَف
٧) يُرِنّ مأتَمُهُ اي يكون لموتهِ رنّة حزن وصراخ
٨) الطعنة النَّجلاء الواسعة . وجاش الدم انصبَّ بغَلَيان . ثم شبَّههُ بغليان خشَب البَقَّم الذي يطبخهُ الصبَّاغ ليصبغ بطبْخهِ

ومن حسن اقواله وصفهُ لليلةٍ قضاها بالالم والسهاد :

وليلةٍ من الليالي مَرَّتِ بكابدٍ كابدتُها وجَرَّتِ (١
كَلكَلَها لولا الإلـهُ ضَرَّتِ في ظُلَمٍ أزلّها فزلّتِ (٢
عنّي ولولا اللهُ مـا تجلّتِ بتُّ لها يَقظانَ واقسأنّتِ (٣
اذا رجوتُ ان تُضيء اسودّتِ دون قُدامَى الصُّبحِ فارجَحَنّتِ (٤
منها عَجَاساءُ اذا ما التَجّتِ حَسِبتُها ولم تَكُرّ كَرّتِ (٥
كأنّما نجومُها اذ وَلّتِ زَورًا تباهي الغَورَ اذ تدلّتِ (٦

ومن اقواله الدينيَّة قولهُ يذكر العمل الصالح وجزاءهُ عند الله :

يعلَمُ والعالِمُ لا كالأجهَلُ أنَّ حسابَ العَمل المُحَصَّلِ
والأُولى من غِبِّ الامور الأُوَلِ عند الاله يومَ جمع العُمَّلِ
بمَجمع الحساب والمُزَيّلِ (٧ وأنَّ خير الحَوَلِ المخوَّلِ
فَلَذُ العطاء في الحقوقِ النُزَّلِ

وقال في مثل ذلك :

لا اشتمُ المرءَ الكريم المُسلِما ولا أرى شَتمَ البريء مَغنَما

---

١) الكابد المكابدة والمشقّة
٢) الكَلكَل الصدر. واستعار جرّ الداهية بكلكلها لحلول مصائبها . وأزلّها اي الله أزلَقها وغمّاها ٣) اقسأنّت اشتدّت وصَعُبت
٤) قُدامى الصبح لوائحهُ الاولى . ارجحنّت مالت واهتزّت
٥) العجاساء ظلمة الليل . والتجّت اي التبست واشتدّ ظلامها
٦) ولّت زَورًا اي ولّت بزَورها اي صدرها ٧) المُزيّل هنا المختار

ولا ابنِ عمّي أن أراهُ مُفحَما ... وجارةُ البيتِ أراها مُحرَمًا(١

كما قضاها اللهُ إلّا إنّما ... مكارمُ السَّعي لمن تكرّما

مَخافةَ اللهِ وعلماً انّما ... يَجزي المُجازي عاملًا ما قدّما

ومن التشابيه النصرانيّة قولهُ يصف بقرة وحش :

واعتادَ أرباضاً لها آرِيُّ ... من مَعدِنِ الصِّيرانِ عُدمُلِيُّ

كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ ... وبيعةً لسُورها عِلِيُّ(٢

فمن هذه الامثلة يلوح للقرّاء ما صار اليهِ شعر الرَّجز في عهد بني اميّة اذ بلغ الغاية من المتانة والتبسُّط وكان للعجّاج في ذلك السهم الفائز وعلى اثرهِ جرى ابنهُ رؤبة من بعدهِ وعاش الى زمن دولة بني عبّاس ولا نعرف من نصرانيّتهِ شيئاً كما ظهر من شعر والدهِ ولعلّهُ لم يثبت على دينهِ او جمع بينهُ وبين الدين المحمّدي كما وقع لغيرهِ من نصارى عهد الاسلام الاوّل الذين لم يستقرُّوا على رأي فتقلّبوا على حسب احوال الزمان والله اعلم

وبهذه الترجمة نختم هذا القسم من شعراء النصرانية بعد الاسلام في ايّام بني اميّة . وسنتبعهُ ان شاء الله بقسم ثالث نخصهُ بالشعراء النصارى في عهد بني عبّاس

---

١) المُفحم المنقطع صوتُهُ لكثرة البكاء . مُحرَم اي معدودة حراماً

٢) اي اعتاد هذا البقر السيِّر في نواحيَ ذات بطون وحزون ووصفهُ بكونهِ من خير الصيران . والصيران جمع صَوْر وهي جماعة البقر . والعُدملي التقدُّم في السنّ . ثمّ شبّههُ بالنصراني المتردّد في الاعياد الى كنيستهِ ذات السور المرتفع العليّ

فهرس

القسم الثاني من شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الامويّة

Mais il faut se souvenir que ces arabes chrétiens étaient plus ou moins imbus des erreurs de l'hérésie. Les Nestoriens d'une part, les Eutychéens de l'autre avaient fortement entamé l'orthodoxie des Arabes chrétiens et les prédisposaient plus facilement à un certain libéralisme de mauvais aloi. De là vient également le peu de place qu'occupent les idées chrétiennes dans leurs chants. Ce silence peut aussi venir des rapsodes Musulmans qui nous ont transmis leurs œuvres poétiques, laissant de côté tout ce qui pouvait éveiller le fanatisme de leurs coreligionnaires.

Beyrouth, 10 *Juin* 1925.

S POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

2d Fascicule

PÉRIODE OMAYYADE

L'histoire des Poètes chrétiens de cette période embrasse l'époque du règne des Caliphes Omayyades à Damas (41-132 H = 661—750 J. C.). Elle a été plus brillante que l'époque précédente. La tolérance relative de Moʿawiah I et de ses successeurs à l'égard des chrétiens de leur empire a certainement dû influer sur la verve poétique d'un Aḫṭal ou d'un Qoṭâmi, quand ils pouvaient donner libre cours à leur génie.

Cette liberté n'est cependant pas sans entraves, et l'on sent plus d'une fois l'influence de l'Islâm dans les poètes chrétiens de cette époque. Ils n'osent aborder franchement des sujets chrétiens, ni heurter de front les préjugés de leurs maitres. Bien plus pour gagner les bonnes grâces des souverains ou de leurs fonctionnaires, ils ne se font pas faute d'accorder à leur religion des éloges déplacés.

De plus à cette époque les tribus arabes restées chrétiennes se trouvaient forcément engagées dans les luttes politico-religieuses qui divisaient les Musulmans ; on les trouve les unes dans le parti de ʿAli, les autres dans celui de Moʿawiah à Ṣiffîn, comme plus tard dans les armées ennemies d'Ibn Zobeir et de Marwan à Marj-Rahiq. Leurs poésies se ressentent de ces itsuations politiques teintées de considérations religieuses.

LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS

APRÈS L'ISLAM

2d *fascicule*

PÉRIODE OMAYYADE

par

LE P. LOUIS CHEIKHO S. J.



IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH (SYRIE)

1925